

أسماء الله وصفاته
في معتقد أهل السنة والجماعة
تأليف
الدكتور عمر سليمان الأشقر
دار النفائس

أسماء الله وصفاته

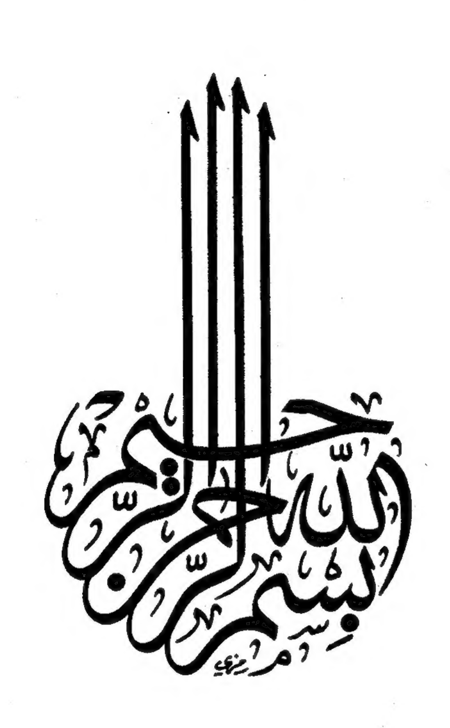
في معتقد أهل السنة والجماعة

تأليف

الدكتور عمر سليمان الأشقر



دار النفائس
عمان ـ الاردن


بسم الله الرحمن الرحيم


أسماء الله وصفاته
في معتقد أهل السنة والجماعة

الطبعة الثانية
١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤م



دار النفائس للنشر والتوزيع

الأردن ـ عمان ـ العبدلي ـ مقابل جوهرة القدس
هاتف : ٤٠ ٣٩ ٦٩ ـ فاكس : ٤١ ٣٩ ٦٩ ـ ص .ب : ٢١١٥١١



﴿هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ، هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون ، هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى ، يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾

سورة الحشر : ٢٢ ـ ٢٤

كلمة الافتتاح

الحمد لله الذي هدانا إليه صراطا مستقيما ، وأحيا قلوبنا بمعرفته والإيمان به ، وأنار نفوسنا بما أنزله في كتابه من أنوار الهداية ، والصلاة والسلام على الرسول المجتبى ، والنبي المصطفى ، الذي كشف الله به الغمّة ، وأقام به الملّة ، وجعله حجّة وبرهانا على الخلق ، من سلك سبيله نجا ، ومن تنكّب طريقه هلك ، وعلى صحابته الأعلام ، وآله الكرام الذين ساروا سيرته ، واهتدوا بهداه ، فامتلأت قلوبهم بالإيمان والعلم والحكمة ، فرضي الله عنهم ورَضُوا عنه ، وعلى من سار مسارهم ، وسلك سبيلهم إلى يوم الدين وبعد :

فإنَّ مباحث أسماء الله وصفاته من أهم مباحث الاعتقاد ، وقد سَلَكَتْ فيها الفرق الإسلامية مذاهب شتى ، ونشأ عن الضلال فيها معتقدات باطلة ، وتصورات خاطئة، وهدى الله سلفنا الصالح من الصحابة وتابعيهم على إثرهم إلى الحق فيما اختلف فيه.

وقد أحببت أن أدون في هذا الموضوع مؤلفا أوضح فيه مذهب أهل السنة والجماعة، مبينا الأسس التي يقوم عليها مذهبهم ، والخصائص التي تميزهم عن غيرهم، وتُجَلّي في الوقت نفسه معالمَ المنهج القرآني الإيماني النبوي في هذا الموضوع ، وهو المنهج الذي سلكه سلفنا الصالح واعتمدوه .

واتّباع هذا المنهج هو السفينة التي ينجو من ركبها ، ويغرق من تركها ، فقد شهد الله لصحابة نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أكرم شهادة ، وأخبر برضاه عنهم :

﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ [1] .

فمن سلك سبيلهم فإنه ينال مثل ما نالوه من الإكرام والرضوان كما قال تعالى : ﴿والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم﴾ [2] .

وكان من دعاء إبراهيم عليه السلام : ﴿ فمن تبعني فإنّه مني﴾ [3] ولذلك فإن ﴿أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا﴾ [4] .

ومخالفة القوم وسلوك طريق غير طريقهم تباعد بين الفريقين والحزبين ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾ [5] .

وقد حكمت النصوص على من تولى قوما في هديهم وطريقتهم بأنّه منهم ﴿يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾ [6] .

والذي كان يتبع في الدنيا قادة الضلال ، وأهل الزيغ والتحريف ، فإنه يحشر معهم ، فقوم فرعون الذين تابعوه في الدنيا على ضلاله يوردهم يوم القيامة النار ﴿فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد ، يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار﴾ [7] .

وجاء في الأحاديث أن الله يُمَثِّلُ في يوم القيامة لكل أمة ما كانوا يعبدونه في

---

(١) سورة التوبة: ١٠٠

(٢) سورة الطور : ٢١

(٣) سورة ابراهيم : ٣٦

(٤) سورة آل عمران : ٦٨

(٥) سورة النساء : ١١٥

(٦) سورة المائدة : ٥١

(٧) سورة هود: ٩٧ ــ ٩٨

الدنيا من حجر أو شجر أو بشر أو قمر أو غير ذلك ، فيتابعونها حتى تهوي بهم في النار ، إلا الذين أخلصوا دينهم لله الواحد المعبود .

وكذلك كل من اتبع في الدنيا إماما في سنّة أو بدعة ، أو خير أو شرّ ، كان معه في الآخرة ، فمن أحب أن يكون مع السلف الصالح في الآخرة ، وأن يصاحبهم في المحشر والجنات فعليه أن يسلك سبيلهم ، وينهج نهجهم .

و الذي عظم الرغبة في تدوين هذا المؤلف أنني لم أجد كتابا منهجيا وافيا بالغرض يصلح مرجعا لمن يدرسون هذا العلم ، والمأمول أن يحقق هذا الكتاب الهدف الذي ألف من أجله ، والله المستعان .

وقد تمت هذه الدراسة في مقدمة وخمسة فصول وخاتمة .

وقد جاءت المقدمة في أربعة مباحث .

حَدَّد المبحث الأول موضوع هذه الدراسة وغايتها .

والمبحث الثاني أوضح الطريق إلى معرفة أسماء الله وصفاته .

والمبحث الثالث ألقى أضواء على أهمية العلم بأسماء الله وصفاته .

وأما المبحث الرابع فإنه يتحدث عن فوائد مزعومة لمعرفة الأسماء والصفات .

والفصل الأول مخصص للبحث في الأسماء الحسنى ، وقد بلغت مباحثه خمسة مباحث .

حَقَّقتُ في المبحث الأول منه القول في عدد أسماء الله الحسنى .

وخصصت المبحث الثاني لتعيين هذه الأسماء .

وبينت في المبحث الثالث الضوابط والقواعد التي اعتمدتها في تحديد ما هو من أسماء الباري مما ليس من أسمائه ، وقد بلغت هذه القواعد والضوابط أربعة عشر ضابطا ، عَقَدْتُ للحديث عنها وبيانها أربعة عشر مطلبا .

والمبحث الرابع عقدته لتحديد أسماء الله الحسنى في ضوء الضوابط والقواعد التي تحدثت عنها في المبحث السابق.

والمبحث الخامس - من هذا الفصل - بيّنتُ فيه أقسام أسماء الله وصفاته ودلالاتها.

وفي هذا المبحث بيان لعدّة قضايا منها تحقيق القول في تفاضل أسماء الباري، والبحث في النصوص المتحدثة عن اسم الله الأعظم، وعلاقة صفات الله بذاته، والحقيقة والمجاز في أسماء الله تعالى.

وعرّفت في المبحث الأول والثاني من الفصل الثاني أهل السنة والجماعة، كما توسعت بتعريف معتقدهم في أسماء الله وصفاته، وقد بينت الأسس التي يقوم عليها معتقدُهم في هذا الباب، وقد بلغت تسعة أسس، وتجد تحت كلٍّ أساس من هذه الأسس مباحث كثيرة لها علاقة بهذه الأسس.

ثم عقدت في هذا الفصل مبحثين آخرين، أولهما: للتدليل على أن ما ذكرناه يمثل مذهب السلف الصالح، والثاني: لإبراز الخصائص التي يتصف بها المنهج السلفي.

والفصل الثالث بمباحثه الأربعة مخصص للتعرف على الذين انحرف بهم المسار في باب الأسماء والصفات على اختلاف توجهاتهم، وبيان الشبهات التي سببت لهم تلك الانحرافات، وإيراد الأدلة التي تكشف عوار مذاهبهم، وتزيل اللبس الذي خالط أدلتهم.

وبينت في الفصل الرابع الأسباب التي أدت إلى الاختلاف في باب الأسماء والصفات.

والفصل الخامس والأخير يتحدث عن مذهب السلف في معترك الصراع، وفي المبحث الأول منه بينت مدى مزاحمة المناهج الباطلة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وتوسّعت في المبحث الثاني في إيراد الأدلة الدالة على أنّ مذهب

السلف هو الأسلم والأحكم ، وأوردت في هذا المبحث نقولا كثيرة تدلّ على مدى تناقض علماء الكلام وتضارب أقوالهم وحيرتهم في أمرهم .

والمبحث الثالث بينت فيه موقف علماء السلف من مخالفيهم .

والمبحث الرابع بينت فيه عدّة أنماط قصد بها أصحابها تشويه مذهب السلف الصالح .

ودعوت في الخاتمة إلى المحافظة على منهج أهل السنة والجماعة متميزا عن غيره ، كي يبقى منارة تهدي السالكين ، وتنير الدرب الذي دلّ عليه ربّ العالمين .

آمل أن أكون قد وفقت في عرض هذا الموضوع الذي هو في غاية الأهمية ، وفق طريقة منهجية مرتبة مبوبة مفصلة ، ومن الله تعالى أسأل المثوبة ، وإليه أتوجه بطلب المغفرة عما وقعت فيه من تقصير ، فالقصور من طبيعة البشر ، وعذري أني بذلت جهدي وفق قواعد البحث التي اعتمدها علماؤنا ، والحمد لله رب العالمين .

د.عمر سليمان عبد الله الأشقر

كلية الشريعة ـ الجامعة الأردنية

عمان

المقدّمة

المبحث الأوّل
موضوع هذه الدّراسة وغايتها

تهدف هذه الدراسة إلى تجلية أصل العقيدة الإسلامية ولبها ، ألا وهو التعريف بالله وصفاته وأسمائه عبر نصوص الكتاب والسنّة ، كما تهدف إلى كشف الزيف الذي تلبّست به مباحث الأسماء والصفات في كثير من مدّونات العقيدة .

كما تهدف إلى تجلية القواعد الضّابطة في باب الأسماء والصفات الموضوعة حماية للعقول والقلوب من الانحراف في مبحث من أهمّ مباحث الاعتقاد .

وتكشف هذه الدراسة عن المنهج الحقّ في هذا الباب الذي كان عليه الرعيل الأوّل من هذه الأمة ، وما سار عليه أتباعهم بإحسان من بعدهم .

وتسلّط هذه الدراسة الأضواء على الانحرافات التي شطّ أصحابها عن منهج أهل السنة والجماعة ، كما تكشف عن الجماعات التي صدرت عنها تلك الانحرافات .

والأصل الذي تقوم عليه هذه الدراسة هو الوحي السماويّ الذي جاء معرّفا للعباد بربّ العباد ، وقد أرشدنا الحقّ - تبارك وتعالى - إلى خط سير مثل هذه الدراسة بقوله : ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه﴾ [1] .

فالآية تقرّر ثلاثة خطوط :

---

(١) سورة الأعراف : ١٨٠

الأول : إثبات ما أثبته الحقّ من أسمائه الحسنى ، وما دلّت عليه الأسماء من صفات .

الثاني : ثمرة هذا العلم ، وهو دعاء الله بأسمائه الحسنى .

الثالث : معرفة خطرٌ الانحراف الذي يتمثل في الإلحاد في أسمائه ، ثم اجتنابه واجتناب أهله .

وقد تحدَّث شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – مبينا موضوع البحث في هذا الباب وأبعاده فقال : الأصل في باب الصفات أن يوصف اللَّه بما وصف به نفسه ، وبما وصفته به رسله نفيا وإثباتا ، فيثبت لله ما أثبته لنفسه ، وينفى عنه ما نفاه عن نفسه، وقد علم أنَّ طريقة سلف الأمة وأئمتَّها إثبات ما أثبته من الصفات ، من غير تكييف ولا تمثيل ، ومن غير تحريف ولا تعطيل .

وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه ، مع إثبات ما أثبته من الصفات من غير إلحاد، لا في أسمائه ولا في آياته ، فإنَّ اللَّه ذمَّ الذين يلحدون في أسمائه وآياته ، كما قال تعالى: ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون ﴾ [1]. وقال تعالى : ﴿ إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا ﴾ [2][3].

---

(١) سورة الأعراف : ١٨٠

(٢) سورة فصلت : ٤٠

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام :٣/٣

المبحث الثاني
الطريق إلى معرفة أسماء الله وصفاته

لم يتوقف البشر عن البحث عن الله ربهم وخالقهم لحظة ، فهناك شوق عظيم فوّار مركوز في أعماق النفوس البشرية يدفعها إلى معرفة الله والعلم به ، وقد استخدم كثير من الباحثين عقولهم للتعرف على أسماء الله وصفاته ، وتوصّلوا من خلال النظر في الكون إلى بعض العلم ، فقد هداهم النظر في الكون المحكم الصنع ، البديع التكوين ، الواسع الأبعاد ، الهائل الخلق ، إلى أنّ خالقه لا بدّ أن يكون عليما حكيما ، قديرا قويا ، ولكن أنىّ للعقول أن تصل إلى القدر الذي يشبع نهمها في معرفة أسماء الله وصفاته ، فما غاب عنها من الأسماء والصفات التي تعرّف بالله أكثر بكثير مما عرفوه ، وما عرفوه لم يقرّوا فيه على قرار ، بل كان في كثير من الأحيان مجال أخذ وردّ ، والعلم بالله إن لم يقم على يقين ثابت لا يعطي ثماره الطيبة .

لقد تشكّك الباحثون بالعقل المجرد في إحاطة علم الله بكل شيء ، وقالوا : إنّ الله يعلم الكلّيات ، ولا يعلم الجزئيات ، وسمّوه ـ تبارك و تعالى ـ بواجب الوجود، كما سمّوه بالعقل الفعّال .

أضف إلى هذا أنّ بعضا من صفاته وأسمائه لا يمكن أن يدركه الناس بعقولهم ، وطريق العلم به السمع مثل نزوله – تبارك وتعالى – في ثلث الليل الآخر إلى السماء الدنيا ، واستوائه على العرش ، وإثبات السمع والبصر واليدين والوجه له .

إنّ التّعرّف على أسماء الله وصفاته عن طريق العقل وحده طريق دحض مزلّة ، وما يتوصل إليه الإنسان من حقّ قد لا يصفو لصاحبه ، وقسم عظيم من هذا الباب لا

تستطيع العقول البشرية إدراكه بعيدا عن العلم السماويَ .

يقول ابن بدزان :« إن صفاته تعالى لاتخلو من أنها إمّا أن تعلم بطريق العقل أو بطريق النقل الصادق.

فإن قلنا بالأوّل وقفناموقف الحائر ، لأننا نرى العقلاء قد اضطربوا اضطرابا شديدا في إثبات الصفات له تعالى ، فبعضهم ادعى الإثنينية ،وآخرون ادعوا التثليث ، وقوم ادعوا الحلول ، وكل هذا من أوصاف المخلوق ، ولايليق بواحد منها أن يكون من أوصاف الخالق .

وكذلك القول في الكلام والسمع والبصر ، فإن العقل ربما ينكراتصاف الخالق بهذه الصفات كما جرى للمعطلة ، وإما أن يثبتها على وفق ما هي للمخلوق كما حصل للمجسمة ، وإما أن يتردد بين النفي والإثبات ، فيبقي حائرا لا يدري إلى أي طريق يذهب »[١]

إن اللّه – تبارك وتعالى – غيب لم نشاهده ، ولم نره ، وقد أمرنا بالإيمان به ، وخشيته بالغيب ، وطريقة معرفة الغيب الخبر الصادق عن الله تعالى وتقدّس .

ولا يجوز أن نتحدّث عن الغيب بغير دليل ولابرهان ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ﴾ [٢]، وقد ذم الله قوما زعموا أن الملائكة إناثا ، وجعل هذه المقالة منهم شهادة سيسألهم عنها عندما يوقفهم بين يديه : ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون ﴾ [٣].

فإذا كان القول بغير علم في الملائكة هذا شأنه ، فكيف بالقول على الله بغير علم ، إنَّ القول على الله بغير علم جريمة توضع في مصاف الجرائم الكبرى في

---

(١) العقود الياقوتية بشيئ من الاختصار : ص ٥٥

(٢) سورة الإسراء : ٣٦

(٣) سورة الزخرف : ١٩

ميزان الحقّ وشرعه : ﴿ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والإثم والبغي بغير الحق ، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ، وأن تقولوا على الله مالاتعلمون﴾[1].

إنَّ الطريق الآمن الذي يقودنا إلى معرفة الباري – جل وعلا – هو طريق الوحي الذي جلَّى لنا هذا العلم أعظم تجلية ، وهذا السبيل سبيل نيِّر مأمون العواقب ، لأنَّ مصدره العليم الخبير ورسوله الكريم .

ولا يوجد أحد أعلم باللَّه من اللَّه ، كما لا يوجد في خلق اللَّه أحد أعلم بالله من رسوله صلى اللَّه عليه وسلم .

ولذا فإنَّ مجال بحثنا في هذا الموضوع النصوص القرآنيَّة ، والأحاديث النبويَّة ، ونستعين على فهم هذه النصوص بما تركه لنا أهل العلم من تفسير وتوضيح .

---

(١) سورة الأعراف : ٣٣

المبحث الثالث
أهمية العلم بأسماء الله وصفاته

أنى لقلم العبد العاجز الضعيف أن يبرز الفوائد العظيمة والمنافع الهائلة التي تعود على الإنسان من وراء هذه الدراسة .

لقد تحدّث العارفون بالله والعالمون بجلاله وكماله عن الخير الكبير الذي عاد عليهم من وراء العلم بالله وصفاته وأسمائه ، وعلى الرغم مما بهروا به العقول ببيانهم ، فإنّ علمهم الذي أناروا به القلوب ، وهدوا به العقول يبقى قطرة من بحر ، وشربة من نهر ، ووراء النصوص من الأسرار والأنوار ما يبهر العقول ، ويضيء النفوس .

وحسبك أنّ أعرف الخلق بربّه ، الذي هو أخشاهم للّه وأتقاهم له قرّر فيما أخبرنا به أنّه لايستطيع أن يحصي المحامد والمدائح التي يستحقّها ربّ العباد ، فقد قال في خطابه لربّه :(لا أحصي ثناء عليك) .

ونحن في هذه الدراسة ، نستعين بالنصوص وأقوال العلماء للكشف عن منافع هذه الدراسة وفوائدها ، وسنعقد في هذا المبحث ثمانية مطالب لبيان الثّمرات والمنافع التي تعود على العباد من وراء علمهم بأسماء الله وصفاته .

المطلب الأوّل
العلم بأسماء الله وصفاته هو الطريق إلى معرفة الله

إذا شاء العباد أن يعرفوا ربهم ويزدادوا به علما فليس أمامهم من طريق إلا التعرف إليه عبر النصوص الواصفة له ، والمصرحه بأفعاله وأسمائه ، لأنّ الله غيب لايُرى في الحياة الدنيا .

انظر إلى قوله تعالى معَرفا بنفسه : ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولانوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ﴾ (١).

وانظر إلى قوله تعالى :﴿ هو الله الذي لا إله إلاهو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ، هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر.. ﴾ (٢) .

وانظر إلى حديث الله عن فعله في كونه ﴿ أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ، وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون ، وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون ، وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون ﴾ (٣) .

وعندما سأل فرعون موسى ـ عليه السلام ـ عن ربه الذي أرسله عرفه بأسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿ قال فرعون وما رب العالمين . قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين . قال لمن حوله ألا تستمعون . قال ربكم ورب أبائكم الأولين . قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون . قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون ﴾ (٤) .

والنصوص الواردة في هذا كثير ، بل القرآن كلُّه حديث عن الله تبارك وتعالى ، وقد أوجز القرآن خلاصة الرسالات السماوية في آية واحدة من كتابه هي قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ (٥).

---

(١) سورة البقره : ٢٥٥

(٢) سورة الحشر : ٢٢ - ٢٣

(٣) سورة الأنبياء : ٣٠ - ٣٣

(٤) سورة الشعراء : ٢٣ - ٢٨

(٥) سورة الأنبياء : ٢٩ - ٣٣

وقال موجزا خلاصة ما أوحاه الله إلى رسوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ قل إنما يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون ﴾ [1] .

ولايستطيع العباد إدراك حقيقية العبودية وتحقيقها قولا وعملا إذا لم يعرفوا صفات الباري جلّ وعلا .

ومن هنا ندرك عظم جناية الذين ينفون عن الله صفاته وأسماءه وأفعاله أو شيئا منها ، لأنّهم بذلك يغلقون باب المعرفة باللّه تبارك وتعالى ، فالموجود إذا جهلت صفاته وأسماؤه وأفعاله ، أصبح فكرة مجردة ، لا يكاد صاحبها ينتفع بها.

والذين انحرف بهم المسار فنفوا عن الله صفاته أغلقوا من باب المعرفة الإلهية بمقدار ما نفوه من الأسماء والصفات ، فإنّه يمتنع - كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية- معرفة ذات الله بدون معرفة شيء من أسمائه وصفاته الثبوتية و السلبية ، ولو قدّر ذلك أو فرض العبد في نفسه ذاتا مجرّدة عن جميع القيود السلبية والثبوتية فليس ذلك معرفة بالله ألبتّة ، وقد أخطأ خطأ عظيما من ظنّ أنّ ربّ العالمين ذات مجردة عن كلّ أمر سلبي أو ثبوتي ، ولهذا لم يتجه هذا الاتجاه ، أعني السلب الكلي لما هو ثبوتي أو عدمي إلا القرامطة الباطنية ويقرّرون فيما يقررونه من باطل عدم جواز إطلاق الوجود أو العدم على الله ، وكذلك يأبون أن يطلق على الله كونه عالما أو ليس بعالم ، أو قادرا أو ليس بقادر [2] .

العلم بالأسماء والصفات أحد ركني التوحيد

يدلّنا على أهمية العلم بأسماء الله وصفاته ، أنّ المعرفة بهما أحد ركنيّ التوحيد ، والتوحيد هو الأمر الأعظم الذي جاءت الرسل لتقرّره .

فالتوحيد الذي جاءت به الرسل نوعان : نوع في العلم والاعتقاد ، ونوع في

---

(١) سورة الأنبياء : ١٠٨

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ١٧/ ١٠٥

الإرادة والقصد ، ويسمّى الأول : التوحيد العلمي ، والثاني : التوحيد القصديّ الإراديّ لتعلّق الأول بالإخبار والمعرفة ، والثاني : بالقصد والإرادة . ومدار النوع الأول من التوحيد على إثبات صفات الكمال للّه ربّ العالمين ، وعلى نفي التشبيه والمثال عنه ، وتنزيهه عن العيوب والنقائص [1] .

المطلب الثاني
تزكية النفوس وإقامتها على منهج العبودية للواحد الأحد

إنّ الشريعة المنزلة من عند الله تهدف إلى إصلاح الإنسان ، وطريق الصلاح هو إقامة العبادعلى منهج العبودية الحقّة للّه الواحد الأحد ، ولقد كان المفتاح الذي فتح به الرسل قلوب العباد هو آيات الله التي تحدّثهم عن ربهم ، وتربط قلوبهم به ، وبذلك تتّجه قلوبهم ووجوههم إلى الواحد الأحد .

لقد كان المحور الذي يدور حوله القرآن كلّه هو الحديث عن اللّه ـ تبارك وتعالى ـ وصفاته وفعله في الكون وبيان عظمته وجلاله ، والدّعوة إلى الاستجابة لشرعة ، والابتعاد عن مقته وغضبه ، وبيان فعله بأهل طاعته وأهل معصيته .

ولقد كان هذا الحديث على هذا النحو ـ ولا يزال ـ هو الذي يهزّ النفوس ، ويحرّك القلوب ، ويزيل الأدران والأرجاس التي تحبس الإنسان عن الخير ، استمع إلى قوله تعالى يحدّثنا عن تأثير النصوص المنزلة في نفوس الأخيارمن هذه الأمة : ﴿الله نزّل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني ، تقشعر منه جلو د الذين يخشون ربهم، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ [2] .

إنّ العلم بأسماء الله وصفاته هوالعاصم من الزلل ، والمقيل من العثرة ، والفاتح لباب الأمل ، والمعين على الصبر ، والواقي من الخمول والكسل .

---

(1) التفسير القيم لابن القيم : ص ٢٤

(2) سورة الزمر : ٢٣

إنّ النفوس قد تهفوا إلى مقارفة الفواحش والذنوب ، فتذكر أنّ الله يراها ويبصرها ، وتذكر وقوفها بين يديّ الله فترعوي ، وتجانب المعصية .

ويقع الإنسان في الذنب والمعصية ، ثم يذكر سعة رحمة الله ، فلا يتمادى في الخطيئة ، ولا يوغل في طريق الهاوية ، بل يعود إلى الله ربه التواب الرحيم قارعا بابه فيجد الله توابا رحيما .

وتتناوش العبد المصائب والمكاره ، فلا يجزع ولا يهلع ، ويلجأ إلى الحصن الحصين ، والركن الركين ، ويقابل المكاره بنفس راضية .

ويقارع الأشرار فيجدّون في منع الرزق عنه ، وقصم العمر منه ، ويعلم الفارس في مجال الصراع أنّ الأرزاق والأعمار بيد الله .

وقد تحدّث ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ عن الآثار التي يورثها الإيمان بأسماء الله وصفاته ، وذكر أنّ لكلّ صفة من صفات الله عبودية خاصّة هي من موجباتها ومقتضياتها.

فعلم العبد بتفرُّد الربّ تعالى بالضّر والنفع ، والعطاء والمنع ، والخلق والرزق ، والإحياء والإماتة ، يثمر له عبوديّة التوكّل عليه باطنا ، ولوازم التوكل وثمراته ظاهرا.

وعلمنا بسمعه وبصره وعلمه يقضي بأنّه لا يخفى عليه مثقال ذرّة في السموات ولا في الأرض ، وأنّه يعلم السّر وأخفى ، ويعلم خائنة الأعين ، وما تخفي الصدور يثمر للعبد حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كلّ ما لا يرضي الله ، ويجعل تعليق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه ، فيثمر له ذلك الحياء باطنا ، ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح .

ومعرفة العبد بغنى الربّ وجوده وكرمه وبرّه وإحسانه ورحمته توجب له سعة الرجاء ، وتثمر له ذلك من أنواع العبودية الظاهرة والباطنة بحسب معرفته وعلمه .

ومعرفة العبد بجلال الله وعظمته وعزّته تثمر له الخضوع والإستكانة والمحبّة ، وتثمر له تلك الأحوال الباطنة أنواعا من العبوديّة الظاهرة هي موجباتها .

وكذلك علمه بكماله وجماله وصفاته العلى يوجب له محبّة خاصّة ، بمنزلة أنواع العبوديّة ، فرجعت العبودية كلُّها إلى مقتضى الأسماء والصفات [1].

وتحدَّث ابن القيِّم في موضع آخر عن تأثير العلم بأسماء الله وصفاته وأوامره وأفعاله في نفوس العباد فقال : « إنَّ أحد أسرار القرآن العظام هو تحديثه عن ربِّ العباد حديثا يجلِّي فيه القرآن الربَّ لعباده عبر صفاته ، فتارة يتجلَّى الربُّ عبر آيات الكتاب في جلباب الهيبة والعظمة والجلال ، فتخضع الأعناق ، وتنكسر النفوس ، وتخشع الأصوات ، ويذوب الكبر ، كما يذوب الملح في الماء .

وتارة يتجلَّى في صفات الجمال والكمال ، وهو كمال الأسماء ، وجمال الصفات ، وجمال الأفعال الدالِّ على كمال الذات ، فيستنفذ حبُّه من قلب العبد قوة الحبِّ كلها ، بحسب ماعرفه من صفات جماله ، ونعوت كماله ، فيصبح فؤاد العبد فارغا إلاَّ من محبته ، فإذا أراد منه الغير أن يعلِّق تلك المحبة به أبى قلبه وأحشاؤه ذلك كلَّ الإباء كما قيل :

يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقل

فتبقى المحبة طباعا لا تكلفا .

وإذا تجلَّى بصفات الرحمة والبرِّ واللُّطف والإحسان انبعثت قوَّة الرجاء من العبد، وانبسط أمله ، وقوي طمعه ، وسار إلى ربِّه وحادى الرجاء يحدو ركاب سيره ، وكلما قوي الرجاء جدَّ في العمل كما أنَّ الباذر كلَّما قوي طمعه في المغلِّ غَلَّقَ أرضه بالبذر ، وإذا ضعف رجاؤه قصَّر في البذر .

وإذا تجلى بصفات العدل والانتقام والغضب والسُّخط والعقوبة انقمعت النفس الأمَّارة، وبطلت أوضعفت قواها من الشَّهوة والغضب واللهو واللعب ، والحرص على المحرَّمات ، وانقبضت أعنَّة رعونتها ، فأحضرت المطيَّة حظَّها من الخوف والخشية والحذر .

(١) مفتاح دار السعادة : ٢/ ٩٠

وإذا تجلّى بصفات الأمر والنهي ، والعهد والوصيّة ، وإرسال الرسل ، وإنزال الكتب ، وشرع الشرائع ، انبعثت منها قوة الامتثال والتنفيذ لأوامره ، والتبليغ لها ، والتواصي بها ، وذكرها وتذكيرها ، والتصديق بالخبر ، والامتثال للطلب ، والاجتناب للنهي .

وإذا تجلّى بصفات السمع والبصر والعلم انبعثت من العبد قوة الحياء ، فيستحي من ربّه أن يراه على ما يكره ، أو يسمع منه ما يكره ، أو يخفي في سريرته ما يمقته عليه ، فتبقى حركاته وأقواله وخواطره موزونة بميزان الشرع غير مهملة ولا مرسلة تحت حكم الطبيعة والهوى .

وإذا تجلّى بصفات الكفاية والحبّ والقيام بمصالح العباد ، وسوق أرزاقهم إليهم ، ودفع المصائب عنهم ، ونصره لأوليائه وحمايته لهم ومعيتة الخاصة لهم ، انبعثت من العبد قوّة التوكّل عليه والتفويض إليه ، والرضا به ، وبكلّ ما يُجْريه على عبده ويقيمه فيه مما يرضى به هو سبحانه .

والتوكّل معنى يلتئم من علم العبد بكفاية الله وحسن اختياره لعبده ، وثقته به ، ورضاه بما يفعله به ، ويختاره له .

وإذا تجلّى بصفات العزّ والكبرياء أعطت نفسه المطمئنة ما وصلت إليه من الذل لعظمته ، والانكسار لعزته ، والخضوع لكبريائه ، وخشوع القلب والجوارح له ، فتعلوه السكينة والوقار فـ . قلبه ولسانه وجوارحه وسمته ، ويذهب طيشه وقوّته وحدّته .

وَجِمَاع ذلك : أنّه سبحانه يتعرّف إلى العبد بصفات إلاهيته تارة ، وبصفات ربوبيته تارة ، فيوجب له شهود صفات الإلهية المحبّة الخاصّة ، والشوق إلى لقائه ، والأنس والفرح به ، والسرور بخدمته ، والمنافسة في قربه ، والتودد إلى ـنه ، واللهج بذكره ، والفرار من الخلق إليه ، ويصير هو وحده همّه دون ما سواه ، ويوجب له شهود صفات الربوبية التوكّل عليه ، والافتقار إليه ، والاستعانة به ، والذّل

والخضوع والانكسار له .

وكمال ذلك أن يشهد ربوبيّته في ألوهيّته ، وألوهيته في ربوبيته ، وحمده في ملكه ، وعزّه في عفوه ، وحكمته في قضائه وقدره ، ونعمته في بلائه ، وعطاءه في منعه ، وبرّه ولطفه وإحسانه ورحمته في قيُّوميّته ، وعدله في انتقامه ، وجوده وكرمه في مغفرته وستره وتجوّزه .

ويشهد حكمته ونعمته في أمره ونهيه ، وعزه في رضاه وغضبه ، وحلمه في إمهاله ، وكرمه في إقباله ، وغناه في إعراضه .

وأنت إذا تدبرت القرآن وأجرته من التحريف ، وأن تقضي عليه بآراء المتكلمين، وأفكار المتكلفين ، أشهدك مَلِكًا قيُّوما فوق سماواته على عرشه يدبِّر أمر عباده ، يأمر وينهى ، ويرسل الرسل ، وينزل الكتب ، ويرضى ويغضب ، ويثيب ويعاقب ، ويعطي ويمنع ، ويعزُّ ويذلُّ ، ويخفض ويرفع ، يرى من فوق سبع ويسمع ، ويعلم السرَّ والعلانية ، فعَّال لما يريد ، موصوف بكلِّ كمال، منزَّه عن كلِّ عيب ، لا تتحرك ذرَّة فما فوقها إلا بإذنه ، ولاتسقط ورقة إلا بعلمه ، ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه ، ليس لعباده دونه وليٌّ ولا شفيع [1]» .

المطلب الثالث
العلم بأسماء الله وصفاته أشرف العلوم

أولع النَّاس قديما وحديثا بالعلم والمعرفة ، فتراهم ينقِّبون في الخرائب والكهوف ليتعرَّفوا على أخبار الماضين وأحوالهم ، ويدرسون نبوءات الذين يتحدَّثون عن الغيب، ليعرفوا الأحداث الآتية ، ويخترعون المراصد ليتعرفوا على النجوم والشموس والأقمار ، بل أرسلوا المراكب الفضائيَّة التي تنطلق في الفضاء تحمل رجالا ، أو آلات تكشف الكون ، وتبيِّن الخافي من أموره وأحواله .

---

(١) الفوائد : ص ٨٠

وبحث البشر في الأرض : جبالها وسهولها وطبقاتها ، وغاصوا في البحار ليعرفوا ما فيها من حيوانات وأسرار ، ودرسوا أحوال الإنسان والنّبات والحيوان ، ووضعوا المؤلفات التي تدوّن العلوم التي عرفوها ، فدوّنوا علم التاريخ والجغرافيا، والفلك والكيمياء والفيزياء ، والطب والنبات وغيرها من العلوم في شتى أنواع المعرفة .

وإذا كان شرف العلم بشرف المعلوم ، فإنَّ العلوم التي تعرّفنا بربّنا أشرف العلوم، فالعالم بالله أفضل من العالم بالديدان و الحيتان وطبقات الأرض والحيوانات والنجوم والإنسان.

يقول ابن العربيّ رحمه الله تعالى : « شرف العلم بشرف المعلوم ، والباري أشرف المعلومات ، فالعلم بأسمائه أشرف العلوم » [1] .

إن الإسلام يدعو أتباعه إلى العلم والنّظر وارتياد الكون والبحث في أسراره ، ولكنّه يذمُّ الذين يقف علمهم عند حدود الحياة ، ولا يتعداه إلى العلم بخالق الحياة وفقه الغرض الذي أوجد الله من أجله الحياة والأحياء ﴿ يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾ [2].

وإذا كانت علوم الدين أفضل العلوم ، فإنَّ العلم الذي يعرفنا بالله أفضل من غيره من العلوم ، ولذلك كانت النّصوص المعّرفة بالله وأسمائه وصفاته أفضل نصوص القرآن ، فآية الكرسيّ كما صحَّ في الأحاديث أفضل آية في كتاب الله و ﴿ قل هو الله أحد ﴾[3] تعدل ثلث القرآن .

وما عظمت هذه النصوص إلا بحديثها عن الإله الواحد المعبود .

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي : ٢/٩٩٣

(٢) سورة الروم : ٧

(٣) سورة الإخلاص : ١

المطلب الرابع

العلم بأسماء الله وصفاته أصل للعلم بكلّ ما سواه

العلم بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا أصل للعلم بكلّ معلوم ، فإنّ المعلومات غير الله ـ تبارك وتعالى ـ قسمان :

الأوّل : المخلوقات التي أنشأها الله – تبارك وتعالى – وكوّنها وأوجدها .

والثاني : الأوامر التي أمر بها ، وهي قسمان : الأمر الكوني الذي خلق به الخلق، والأمر الشرعي الديني .

والله ـ تبارك وتعالى ـ هو صاحب الخلق والأمر ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ [(١)].

ومصدر الخلق والأمر عن أسمائه الحسنى ، وهما مرتبطان بالأسماء الحسنى ارتباط المقتضى بمقتضيه ، فالأمر كلّه مصدره عن أسمائه الحسنى ، وهذا كلّه حسن لا يخرج عن مصالح العباد والرأفة والرحمة بهم ، والإحسان إليهم بتكميلهم بما أمرهم به ، ونهاهم عنه ، فأمره كلّه مصلحة وحكمة ورحمة ولطف وإحسان ، إذ مصدره أسماؤه الحسنى .

وفعل الله لا يخرج عن العدل والحكمة والمصلحة والرحمة ، إذ مصدره أسماؤه الحسنى ، فلا تفاوت في خلقه ولا عبث ، ولم يخلق خلقه باطلا ولا سدى ولا عبثا .

وكما أنّ كلّ موجود سواه فبإيجاده ، فوجود سواه تابع لوجوده ، تبع المفعول المخلوق لخالقه ، فكذلك العلم به أصل للعلم بكلّ ما سواه ، فالعلم بأسمائه وإحصاؤها أصل لسائر العلوم ، فمن أحصى أسماءه كما ينبغي للمخلوق أحصى جميع العلوم ، إذ إحصاء أسمائه أصل لإحصاء كلّ معلوم ، لأنّ المعلومات هي من مقتضاها ومرتبطة بها ، وتأمّل صدور الخلق و الأمر عن علمه وحكمته تعالى ، ولهذا لا تجد فيها خللا ولا تفاوتا ، لأنّ الخلل الواقع فيما يأمر به العبد أو يفعله ، إمّا أن يكون

---

(١) سورة الأعراف : ٥٤

لجهل به ، أو لعدم حكمته ، وأمّا الربّ تعالى فهو العليم الحكيم ، فلا يلحق فعله ولا أمره خلل ولا تفاوت ولا تناقض [1].

المطلب الخامس
زيادة الإيمان

الإيمان يزيد بالعلم والعمل ، فكلّما علم العبد عن الله وآياته شيئا ازداد إيمانا ، وكذلك إذا استجاب العبد لما أمره الله به ازداد إيمانا ، وينقص الإيمان بنقص العلم والعمل ، قال تعالى : ﴿ وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون ،و أما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون ﴾ [2].

فالمؤمنون يصدّقون بآيات الله المنزلة وما تضمّنته من علوم وتشريعات مع عزمهم على الامتثال لما دعتهم إليه ، وهذا يزيد إيمانهم ، أمّا المنافقون فإنّها تزيدهم كفرا بسبب تكذيبهم واستكبارهم عن الاستجابة لله .

ولا شكّ أنّ من أعظم ما جاءت به النصوص وبينته : أسماء الله وصفاته ، فمن آمن بها وفقه معناها ، وعمل بمقتضاها ، فإن إيمانه يزداد زيادة عظيمة .

إنّ العلم بأسماء الله وصفاته والفقه لمعناها والعمل بمقتضاها وسؤال الله بها يوجد في قلوب العابدين تعظيم الباري ، وتقديسه ومحبّته ، ورجاءه ، وخوفه ، والتوكّل عليه ، والإنابة إليه ، بحيث يصبح الباري في قلوبهم المثل الأعلى الذي لا شريك له في ذاته ، ولا في صفاته ، وليس لأحد مثل هذه المكانة التي في قلوبهم ، وبذلك يحقق العبد التوحيد القلبيّ ، وتتحقق العبوديّة للّه ، وتتخضع القلوب لجلاله ، وتسكن النفوس لعظمته .

---

(١) راجع بدائع الفوائد : ١/١٦٣

(٢) سورة التوبة : ١٢٤

المطلب السادس

عظم ثواب من أحصى أسماء الله

ينال الحافظ لأسماء الله ـ تبارك وتعالى ـ العارف بمعناها ، العامل بمقتضاها ، من الأجر مالا يعلمه إلا الله ، روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إنَّ لله تسعة وتسعين اسما ، مائه إلا واحدا ، من أحصاها دخل الجنَّة »[1].

تحقيق القول في المراد بالإحصاء المذكور في الحديث

اختلف اهل العلم في المراد بالإحصاء المذكور في الحديث ، فقيل : المراد به الإحاطة بمعانيها ، وقيل : العمل بمقتضاها مع فقه معناها ، والصواب من القول : أن المراد بالإحصاء هو عدها حتى يستوفيها حفظا ، فإنَّ هذا هو معنى الإحصاء في اللغة، يقول ابن منظور : « الإحصاء :العدد والحفظ ، وأحصى الشيء أحاط به . وفي التنزيل : ﴿ وأحصى كل شيء عددا ﴾ [2]. قال الأزهري : أي أحاط علمه سبحانه باستيفاء عدد كل شيء ، وأحصيت الشيء : عددته . وقال الفراء في قوله تعالى : ﴿ علم أن لن تحصوه فتاب عليكم ﴾ [3] عَلِمَ أن لن تحفظوا مواقيت الليل[4]. وقال الفيروزآبادي : « أخذ من لفظ (الحصى) الإحصاء ، وهو التحصيل بالعدد .

يقال : أحصيت كذا ، واستعمال ذلك فيه من حيث أنهم كانوا يعتمدونه بالعدد كاعتمادنا فيه على الأصابع[5].

---

(١) صحيح البخاري .

(٢) سورة الجن : ٢٨

(٣) سورة المزمل : ٢٠

(٤) لسان العرب : ٦٥٦/١

(٥) بصائر ذوي التمييز : ٤٧٣/٢

وقال ابن الأثير : « في أسماء الله المحصي » ، وهو الذي أحصى كل شيء بعلمه، وأحاط به ، فلا يفوته دقيق منها ولا جليل ، والإحصاء العدّ والحفظ .

ومنه الحديث : « لا أحصي ثناء عليك » ، أي لا أحصي نعمك، والثناء بها عليك ، ولا أبلغ الواجب فيه .

والحديث الآخر : « أكلَّ القرآن أحصيت؟ » أي حفظت [1].

وقال الزجاج : « يقال : حصيت الحصى ، إذا عددته ، وأحصيته ، إذا ميَّزته بعضه من بعض »[2].

وقد فسَّر البخاريُّ الإحصاء بالحفظ ، فقال بعد روايته للحديث : « أحصيناه : حفظناه » [3] .

ويدلُّ على صحَّة هذا القول أنَّه وردت رواية في صحيح البخاريِّ عن أبي هريرة بلفظ « للَّه تسعة وتسعون اسما ، مائة إلاّ واحدا ، لا يحفظها أحد إلا دخل الجنَّة ، وهو وتر يحبُّ الوتر »[4]. قال ابن حجر العسقلانيّ : « قال النووي: قال البخاري وغيره من المحققين : معنى أحصاها حفظها ، وهذا هو الأظهر لثبوته نصًّا في الخبر.

وقال في الأذكار ، هو قول الأكثرين .

وقال ابن الجوزيّ : لما ثبت في بعض طرق الحديث : « من حفظها » بدل : « من أحصاها » اخترنا أنَّ المراد العدُّ ، أي من عدَّها ليستوفيها حفظا [5]

هذا هو الصواب من القول – إن شاء الله تعالى – فإن حفظ هذه الأسماء

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج : ص ٢٢

(٢) صحيح البخاري . فتح الباري : ١٣/ ٣٧٧

(٣) صحيح البخاري . فتح الباري : ١١/ ٢١٤

(٤) فتح الباري : ١١/ ٢٢٦

(٥) فتح الباري : ١١/ ٢٢٦

المباركة يبارك النفس ويزكيها ، ويملؤها بالأسماء الفاضلة الطيبة ، ولا ينافي هذا ما ذكره العلماء من أنَّ الحافظ لها ينبغي له التفقه في معانيها ، ودعاء الله بها ، يقول ابن عطية فيما ذكره عنه ابن حجر العسقلانيُّ : « معنى أحصاها : عدها وحفظها ، ويتضمن ذلك الإيمان بها ، والتعظيم لها ، والرغبة فيها ، والاعتبار بمعانيها »[1] .

ورتبه الفقيه بمعاني هذه الأسماء الحافظ لها فوق رتبة الذي أحصاها ولم يحط بمعناها ، وفوق هذين الحافظ لها الفقيه بمعناها الذي يدعو الله ويمجده بها .

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى : **مراتب إحصاء أسماء الله ثلاث :**

الأولى : إحصاء ألفاظها وعددها .

الثانية : فهم معانيها ومدلولها .

الثالثة : دعاؤه به كما قال تعالى : ﴿و لله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾[2][3] .

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن المراد بالإحصاء هنا الإيمان و الفقه لمعناها ، أو حفظ كتاب الله المتضمن لها ، أو العمل بمقتضاها .

قال ابن حجر العسقلانيُّ في قوله : « من أحصاها » أربعة أقوال :

أحدها : حفظها .

ثانيها : من عرف معانيها وآمن بها .

ثالثها : من أطاقها بحسن الرعاية لها ، وتخلَّق بما يمكنه من العمل بمعانيها .

رابعها : أن يقرأ القرآن حتى يختمه ، فإنَّه يستوفي هذه الأسماء في أضعاف التلاوة .

واختار هذا المذهب أبو عبد الله الزبيري .

قال النووي : **الأول** هو المعتمد .

قلت : ويحتمل أن يراد مَنْ تتبعها من القرآن ، ولعله مراد الزبيري[4] .

---

(١) المصدر السابق

(٢) سورة الأعراف : ١٨٠

(٣) بدائع الفوائد : ١/ ١٦٤

(٤) تلخيص الحبير : ٤/ ١٧٤

المطلب السابع
تعظيم الله وتمجيده ودعاؤه بأسمائه وصفاته

أسماء الله وصفاته تدلُّ على عظمته تبارك وتعالى ، ومن هنا كثرت أسماؤه وصفاته ، وقد قيل : « العظيم من كثرت صفات كماله »[1] .

وإذا كانت صفات الله وأسماؤه تدل العباد على عظمة الباري – جلَّ وعلا – وكماله وسؤدده ، فإنَّها أعظم سبيل يستطيع العباد سلوكه لتعظيم الله وتقديسه وتمجيده ودعائه .

وقد أمرنا الحقُّ بدعائه بأسمائه الحسنى فقال : ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾[2]. « والدعاء في اللغة والحقيقة هو الطلب . أي اطلبوا منه بأسمائه »[3] .

ودعاء الله بأسمائه الحسنى مرتبتان كما أشار إلى ذلك ابن القيم رحمه الله تعالى[4]:

الأولى : دعاء ثناء وعبادة : وقد أمرنا الله ـ تبارك و تعالى ـ أن نمجده ونثني عليه فقال : ﴿ يأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا﴾[5].

وفي الحديث الذي يرويه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال : « ما من أحد أحب إليه المدح من الله »[6]، وقدْ وعد الله بذكر من يذكره ، قال تعالى : ﴿ فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا

---

(١) راجع بدائع الفوائد : ١/ ١٦٠

(٢) سورة الأعراف : ١٨٠

(٣) أحكام القرآن لابن العربي : ٢/ ٨٠٥

(٤) بدائع الفوائد : ١/ ١٦٤

(٥) سورة الأحزاب : ٤١ـ ٤٢

(٦) رواه البخاري . فتح الباري : ١٣/ ٣٨٣

تكفرون ﴾[1] . وفي الحديث الذي يرويه البخاريّ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النّبيُّ صلى اللّه عليه وسلّم : « يقول اللّه تعالى : أنا عند ظنّ عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم»[2] .وأخبرنا الحقُّ أن الذاكر للّه يطمئنُّ قلبه ، وتهدأ نفسه ﴿ ألا بذكر الله تطمئنُّ القلوب ﴾[3].

الثانية : دعاء طلب ومسألة :وقد أمرنا ـ تبارك و تعالى ـ بدعائه والطلب منه ووعدنا بالإجابة ﴿ وقال ربكم ادعوني استجب لكم ﴾[4].

ودعاء الله وسؤاله لا ينبغي أن يكون إلاَّ بأسمائه الحسنى وصفاته العليا ، فلا يقال: يا موجود ، أو يا شيء ، اغفر لي وارحمني .

وقد نبَّه علماؤنا إلى أن السائل ينبغي أن يتخيَّر في كلِّ سؤال الأسماء المناسبة للطلب الذي يطلبه ، يقول ابن القيم : « يسأل في كلِّ مطلوب باسم يكون مقتضيا لذلك المطلوب ، فيكون السائل متوسلا إليه بذلك الاسم ، ومن تأمَّل أدعية الرسل وجدها مطابقة لهذا »[5]. ويقول : يأتي السائل بالاسم الذي يقتضيه المطلوب ، كما تقول: اغفر لي وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم، ولايحسن أن تقول : إنَّك أنت السميع البصير[6] .

ويقول ابن العربي :« يطلب بكلِّ اسم ما يليق به ، تقول : يارحيم ارحمني ، ياحكيم احكم لي ، يا رزّاق ارزقني ، يا هادي اهدني »[7]، ونبّه ابن العربي إلى أنَّ بعض أسمائه ـ تبارك وتعالى ـ أسماء عامَّة تصلح لأن يدعى بها في كلِّ موضع ،

---

(١) سورة البقرة : ١٥٢

(٢) صحيح البخاري . فتح الباري : ١٣/ ٣٨٤

(٣) سورة الرعد : ٢٨

(٤) سورة غافر : ٦٠

(٥) بدائع الفوائد : ١/ ١٦٤

(٦) بدائع الفوائد : ١/ ١٦٠

(٧) أحكام القرآن لابن العربي : ٢/ ٨٠٥

وفي كلَ الأمور ، مثل : اللّه ، الربّ .

نماذج من تمجيد الله ودعائه بأسمائه وصفاته

جاء في الكتاب والسنّة نصوص كثيرة ، فيها تمجيد وثناء على الله وتعظيم له بأسمائه وصفاته ، كما فيها دعاء وسؤال له .

فمن النصوص الممجِّدة للّه ربِّ العالمين قوله : ﴿ الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ﴾ [١].

وقوله : ﴿ وهو الله الذي لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون ﴾ [٢] .

وقوله : ﴿ الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء ﴾ [٣] . وقوله : ﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ، وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون﴾[٤]. وقوله : ﴿ يسبح لله ما في السموات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم ﴾ [٥]. وقوله : ﴿ تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ، الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور ، الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ... ﴾ [٦].

ومن دعاء العبادة في الأحاديث ما جاء في دعائه صلى الله عليه وسلم :« اللّهمّ أنت السلام ومنك السّلام ، تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام ». رواه أبوداود

---

(١) سورة الأنعام : ١

(٢) سورة القصص : ٧٠

(٣) سورة فاطر : ١

(٤) سورة الروم : ١٧

(٥) سورة الجمعة: ١

(٦) سورة الملك : ١ ـ ٣

والنسائي [1]. ومنه دعاؤه ـ صلى الله عله وسلم ـ في تهجده في الليل الذي يقول فيه مثنيا على ربّه ممجّدا له : « اللّهمّ لك الحمد ، أنت نور السّموات والأرض ومن فيهنّ ، ولك الحمد أنت قيّم السّموات والأرض ومن فيهنّ ، ولك الحمد ، أنت الحقّ، ووعدك حقٌّ ». رواه البخاري ومسلم [2].

وكان دعاء الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند الكرب : « لا إله إلاّ الله العظيم الحليم ، لا إله إلاّ الله ربُّ السّموات والأرض ، وربُّ العرش العظيم » [3]. وفي سنن النسائي أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقول في ركوعه « سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة» [4].

وروى البخاري في صحيحه عن شدّاد بن أوس ـ رضي الله عنه ـ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « سيّد الاستغفار أن يقول : اللّهمّ أنت ربّي لا إله إلاّ أنت، خلقتني وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شرّ ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك عليّ ، وأبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذّنوب إلا أنت . قال : من قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنّة ، ومن قالها من الليل وهو موقن بها، فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنّة» [5].

وعندما اشتكى المقلّون ذهاب أهل الدثور بالأجر لما يفعلونه من الخيرات بأموالهم ، قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم : « أفلا أخبركم بأمر تدركون من كان قبلكم، وتسبقون من جاء بعدكم ، ولا يأتي أحد بمثل ما جئتم به إلا من جاء بمثله : تسبحون في دبر كل صلاة عشرا ، وتحمدون عشرا ، وتكبرون عشرا » [6].

---

(١) جامع الأصول : ٢١٧/٤

(٢) صحيح البخاري . انظر فتح الباري : ١١٦/١١

(٣) صحيح البخاري . انظر فتح الباري : ١٤٥/١١

(٤) جامع الأصول : ١٩٨/٤

(٥) صحيح البخاري . فتح الباري : ٩٧/١١

(٦) صحيح البخاري . فتح الباري : ١٣٢/١١

ومن دعاء المسألة قوله تعالى : ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحمِّلنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا و ارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ (١).

وقوله : ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ، ربنا إنك جامع الناس ليوم لاريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد ﴾ (٢).

وقوله : ﴿ رب اشرح لي صدري ، ويسر لي أمري ، واحلل عقدة من لساني ، يفقهوا قولي ﴾ (٣). وقوله : ﴿ ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما﴾ (٤).

وقد جمعت سورة الفاتحة ـ وهي أفضل سورة في القرآن ، بل في الكتب السماويَّة كلِّها ـ بين دعاء العبادة ودعاء المسألة ، ففي الحديث الذي يرويه أبو هريرة عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قال : « قال اللّه عز وجلَّ : قسمت الصَّلاة بيني وبين عبدي نصفين ، ولعبدي ما سأل ، فإذا قال العبد : ﴿الحمد للّه ربِّ العالمين ﴾. قال اللَّه : حمدني عبدي . فإذا قال :﴿ الرَّحمن الرَّحيم ﴾ قال : أثنى عليَّ عبدي. فإذا قال :﴿ مالك يوم الدِّين﴾. قال : مجَّدني عبدي . وقال مرَّة : فوَّض إليَّ عبدي . وإذا قال :﴿ إياك نعبد وإيَّاك نستعين﴾ . قال : هذا بيني وبين عبدي ، ولعبدي ما سأل . فإذا قال : ﴿ اهدنا الصِّراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضَّالِّين ﴾ (٥). قال : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل » رواه الجماعة إلا البخاريَّ وابن ماجة(٦) .

---

(١) سورة البقره : ٢٨٦

(٢) سورة آل عمران : ٨

(٣) سورة طه : ٢٥ ـ ٢٨

(٤) سورة الفرقان : ٧٤

(٥) سورة الفاتحة

(٦) نيل الأوطار : ٢/ ٢١٤

المطلب الثامن

العلم بالله وفق المنهج القرآني النبوي سبب للتمكين في الأرض، والضلال عنه سبب للهزيمة والخذلان

العلم بالله تبارك و تعالى ، وفق المنهج القرآني النبوي يرسّخ العقيدة الحقّة والمعرفة الصادقة بالله تعالى ، ويجعل العباد سائرين على الصراط المستقيم ، وهذا يقرّب العباد من ربهم ، فيحل الله بهم رضوانه ، وينزل عليهم بركاته ، ويكون هذا سببا للنّصر والتأييد ، والتمكين للمسلمين في الأرض تحقيقا لموعود الله ، ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ﴾[1] .

فإذا حاد العباد عن الدّين الذي ارتضاه لهم ، فإنّ ذلك يكون سببا لانقراض ملكهم وسلطانهم ، وإدالة عدوّهم عليهم .

وقد تحدّث شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمة الله تعالى ـ عن الآثار المدمّرة التي نشأت عن هذه الانحرافات وأمثالها في المجتمع الإسلامي فقال : هذا الجعد بن درهم الذي ينسب إليه مروان بن محمد الجعدي آخر خلفاء بني أمية ، كان شؤما عليه حتى زالت الدولة ، فإنّه إذا ظهرت البدع التي تخالف دين الرسل انتقم الله ممن خالف الرسل وانتصر لهم ، ولهذا لما ظهرت الملاحدة الباطنيه وملكوا الشام وغيرها ظهر فيها النفاق والزندقة الذي هو باطن أمرهم ، وهو حقيقة قول فرعون « إنكار الصانع وإنكار عبادته » وخيار ما كانوا يتظاهرون به الرفض ، فكان خيارهم وأقربهم إلى الإسلام : الرافضة ، وظهر بسببهم الرفض والإلحاد ، حتى كان من ينزل الشام مثل بني حمدان والغالية ونحوهم متشيّعين ، وكذلك من كان من بني بويه في المشرق .

وكان ابن سينا وأهل بيته من أهل دعوتهم ، قال : وبسبب ذلك اشتغلت

---

(١) سورة النور : ٥٥

بالفلسفة.

وكان مبدأ ظهورهم من حين تولّي المقتدر، ولم يكن بلغ بعد، وهو مبدأ انحلال الدولة العباسية، ولهذا سمّي حينئذ بأمير المؤمنين الأمويُّ الذي كان بالأندلس، وكان قبل ذلك لايسمّى بهذا الاسم، ويقول: لا يكون للمسلمين خليفتان، فلمّا ولي المقتدر، قال: هذا صبيٌّ لا تصحُّ ولايته، فسمّي بهذا الاسم.

وتحدّث شيخ الإسلام عن بني عبيد الله القداح، وأنّهم كانوا في الباطن ملاحدة زنادقة منافقين، وكان نسبهم الذي ادّعوه باطلا كدينهم، بخلاف الأموي والعباسي، فإنّ نسبهما صحيح، وهم مسلمون كأمثالهم من خلفاء المسلمين.

وبين شيخ الإسلام كيف كان ظهور النفاق والبدع والفجور المخالف لدين الرسل سببا في تسليط الأعداء على المسلمين، فخرجت الروم النصارى إلى الشام والجزيرة مرّة بعد مرّة، وأخذوا الثغور الشاميّة شيئا بعد شيء إلى أن أخذوا بيت المقدس في أواخر المائة الرابعة، وبعد هذا بمدة حاصروا دمشق، وكان أهل الشام بأسوأ حال بين الكفار النصارى والمنافقين الملاحدة.

وبين شيخ الإسلام كيف أن الله أظهر دينه وأعز أتباع هذا الدين عندما تولى نور الدين الشهيد، وقام بأمر الإسلام، وأظهر الإسلام، وجاهد في سبيل الله، وكيف قضى صلاح الدّين الأيوبي على العبيديين، فأظهر الله به الإسلام وقمع به المرتدين، والفاسدين.

وقد أطال شيخ الإسلام الحديث عن تأثير البدع والانحرافات وظهور الضلالات في مجتمع المسلمين، وكيف أن ظهورها يكون سببا في ذلّ المسلمين، وتسليط عدوهم عليهم، وأن استقامة المسلمين على أمر الله يكون سببا في عزّة الإسلام وأهله إلى أن قال: «والمقصود هنا أنّ دولة بني أميّة كان انقراضها بسبب هذا الجعد المعطل وغيره من الأسباب التي أوجبت إدبارها»[1].

---

(١) راجع مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ١٣/ ١٧٧ - ١٩٢

المبحث الرابع
فوائد مزعومة

يذكر بعض الباحثين في أسماء الله وصفاته فوائد ومنافع لم يدلّ عليها عقل أو نقل ، وسنأتي على بعض ما يذكرونه في هذا الباب ، حتى يكون المسلمون على بيّنة من أمرهم فيما يأتون وفيما يتركون ، والله المستعان .

المطلب الأول
الزعم بأن للأسماء خواصًا وأسرارًا خفية (١)

يدّعي هؤلاء بأنّ لكلّ اسم من أسماء الله الحسنى خواصًا وأسرارا تتعلق به على إفاضة فيها أو إيجاز ، وقد يغلو بعض الناس فيتجاوز هذا القدر إلىّ الزعم بأن لكلّ اسم خادما روحانيا يخدم من يواظب على الذكر به ، ويذكر بعض الذين ساروا في هذا الاتجاه أنّهم يكشفون بأسماء الله أسرار المغيبات ، والخافي من المكنونات ، ويزعم بعض هؤلاء أنّ اسم الله الأعظم سرّ من الأسرار ، يمنح لبعض الأفراد ، فيفتحون به المغلقات ، ويخرقون به العادات ، ويكون لهم به من الخواص ما ليس لغيرهم من الناس .

وهؤلاء الذين قالوا هذه المقالة لم يأتوا بنصّ من كتاب ربّنا ولا حديث من صحيح سنة نبيّنا ، وكلّ ما اعتمدوا عليه لا تقوم به حجة ، ولا ينهض به دليل ، وما كان كذلك فلا اعتبار له ، وحسبنا في ردّه قوله صلى الله عليه وسلم : « كلّ عمل

---

(١) راجع في هذه المسألة : أبجد العلوم لصديق حسن خان . الجزء الثاني . القسم الأول ص ٨١ ، ٢٨٨ . ومجموع الرسائل للشيخ حسن البنا : ص ٤٤٤ .
وإن شئت التوسع في الإطلاع على هذا الموضوع فارجع إلى مقدمة ابن خلدون فقد أطال في عرض هذه المسألة .

ليس عليه أمرنا فهو ردّ».

وقد فتحت هذه المقولة باب الخرافة ، ودخل السَّحرة والمشعوذون من هذا الباب ، فترى عبَّاد الشيطان يمكرون بالنَّاس ، ويكيدونهم بالسِّحر ، ويزعمون أنَّهم يسخِّرون غيرهم ، ويؤثِّرون فيهم ، ويعلمون المستور من الأخبار بما اطلَّعوا عليه وعرفوه من أسماء الله الحسنى وصفاته العليا .

ولا يزال لهذا النَّوع من النَّاس وجود في ديار المسلمين ، وبعض البسطاء من الناس يثقون بهم ، ويتابعونهم على ضلالهم ، فعلى العلماء وطلبة العلم أن يحذِّروا من هذا الصنف وكيده ، نصيحة لله ورسوله والمؤمنين .

المطلب الثاني
المطالبة بالتشبه بصفات الله تبارك وتعالى

يرى بعض الباحثين أنَّ من فوائد معرفة صفات الباري التَّشبه بأخلاق الله ، أو التَّخلق بأخلاق الله ، وهذه العبارة مأخوذه من قول الفلاسفة : الفلسفة التشبه بالله على قدر الطاقة .

وهذا المنحى غير سديد لأمور :

الأوَّل : أن صفات الله لا يجوز أن يقال فيها : أخلاق الله ، بل الأخلاق للإنسان ، أمَّا فيما يتعلق بالله فيقال : صفاته .

الثاني : أنَّ الفلاسفة متناقضون ، فتحقيق مذاهبهم نفي الصفات عن الله عز وجل ، فكيف يدعون إلى التشبه بصفات الله وهم ينفونها عن الله .

الثالث : وعلى فرض أنَّ من قال هذه المقالة يثبت صفات الباري ، فإنَّ من صفاته ماجاءت النصوص مانعة من إطلاقه على العباد ، فقد نهانا الحق عن الاتصاف بالكبر والعظمة ، فالله وحده المتكبر العظيم .

والصواب أن يقال : إن علينا أن نتخلق بالأخلاق التي أمرنا الله ورسوله بالتخلق بها ، ونبتعد عن الأخلاق التي نهينا عن التخلق بها ، فقد أمرنا الله بالتخلق بصفة الرحمة والصدق والعلم ، والله متصف بهذه الصفات ، ونهينا عن التخلق بأخلاق الكبر والعظمة ، وهذه من صفات الله ، كما نهينا عن التخلق بالكذب والغيبة والنميمة ، وهذه ليست من صفات الله .



الفصل الأول
أسماء الله الحسنى

المبحث الأول
تحقيق القول في عدد أسماء الله

ذهبت طائفة من أهل العلم إلى أنّ أسماء الله الحسنى محصورة في تسعة وتسعين اسما لا تزيد ، واستدلّوا على ذلك بالحديث الذي نص فيه الرّسول صلى الله عليه وسلم على هذا العدد .

يقول ابن حزم رحمه الله تعالى : « إنّ له ـ عزّ وجلّ ـ تسعة وتسعين اسما ، مائة غير واحد ، وهي أسماؤه الحسنى ، من زاد شيئا من عند نفسه فقد ألحد في أسمائه ، وهي الأسماء المذكورة في القرآن والسنّة »[١] .

وساق بإسناده الحديث : « إنّ للّه تسعة وتسعين اسما ، مائة إلاّ واحدا ، من أحصاها دخل الجنّة » . زاد همام ـ احد رواة الحديث ـ : « إنّه وتر يحبّ الوتر » ، ثم قال ابن حزم : « وقد صحّ أنّها تسعة وتسعون اسما فقط ، ولا يحلّ لأحد أن يجيز أن يكون له اسم زائد ، لأنّه عليه السلام قال : « مائة غير واحد »[٢] .

ولم يرتض جمهور أهل العلم حصر أسماء الله الحسنى في هذا العدد ، والذي

---

(١) المحلى لابن حزم : ١/ ٣٠

(٢) المصدر السابق

ألجأهم إلى هذا وجود نصوص تدل على أنّ العدد أكثر من هذا ، يقول ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى : « ذهب جمهور أهل العلم إلى أنّ أسماء الله الحسنى لا تنحصر في هذه العِدّة ، وأنّها أكثر من ذلك ، ونقل النوويّ اتفاق العلماء عليه ، ... ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابن مسعود الذي أخرجه أحمد وصحّحه ابن حبان : « أسألك بكلّ اسم هو لك ، سمّيت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علّمته أحدا من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك » ، وعند مالك عن كعب الأحبار في الدعاء : « وأسألك بأسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم ». أورده الطبري عن قتادة نحوه.[1] وجاء في الحديث أيضا : « لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » ، وفي حديث الشفاعة : « فيفتح عليّ من محامده بما لا أحسنه الآن » .

فحديث ابن مسعود جعل أسماء الله ثلا ثة أقسام :

القسم الاول : ما أنزله الله في كتابه ، فمن علم الكتاب، وتتبّع آياته، فإنه قادر على استخراج الأسماء المنزلة فيه .

القسم الثاني : ماعلّمه الله بعض خلقه دون بعض ، فقد يكون خص به بعض الملائكة، أو خص به الملائكة دون بني آدم ، أو خص به بعض أوليائه .

والقسم الثالث : ما استأثر به في علم الغيب عنده ، فلم يطلع عليه ملكا ولا نبيًّا، ولا أحدا من خلقه .

وبهذا نتبين أنّ العدد أكثر من تسعة وتسعين لوجود أسماء لا يستطيع البشر إحصاءها لأن الله استأثر بعلمها ، أو علّمها بعض خلقه ، ولم ينزلها في كتابه .

ولذلك قال العلماء : إنّ الرسول صلى الله عليه لم يرد بقوله : « إنّ للّه تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنّة » حصر أسماء الله في هذا العدد ، وإنما مقصود الحديث أنّ هذه الأسماء من أحصاها دخل الجنّة ، فالمراد دخول الجنّة بإحصائها ، لا

---

(١) فتح الباري : ١١/ ٢٢٠

الإخبار بحصر الأسماء[1].

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى : « الأسماء الحسنى لا تدخل تحت حصر، ولا تحدّ بعدد ، فإنّ للّه تعالى أسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده ، لا يعلمها ملك مقرب ولا نبيّ مرسل »[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في : « التقيد بالعدد عائد إلى الأسماء الموصوفة بأنها هي هذه الأسماء.

فجملة « من أحصاها دخل الجنّة » صفة للتسعة والتسعين ، ليست جملة مبتدأة ، والتقدير: إن لله أسماء بقدر هذا العدد من أحصاها دخل الجنّة ، كما يقول القائل : لي مائة غلام أعددتهم للعتق ، وألف درهم أعددتها للحجّ ، فالتقييد بالعدد هو الموصوف بهذه الصفة ، لافي استحقاقه لذلك العدد، فإنّه لم يقل : إنّ أسماء الله تسعةوتسعون »[3].

ويقول ابن القيم : قوله : « إنّ للّه تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنّة ». الكلام جملة واحدة . وقوله : « من أحصاها دخل الجنّة » ، صفة لا خبرا مستقلاً ، والمعنى : له أسماء متعددة من شأنها من أحصاها دخل الجنّة

وهذا لا ينفي أنّ له أسماء غيرها ، كما تقول : لفلان مائة مملوك قد أعدهم للجهاد ، فلا ينفي هذا أنّ يكون له مماليك سواهم معدون لغير الجهاد ، وهذا لا خلاف فيه بين العلماء »[4].

فإن قيل : فإذا كانت أسماء الله كثيرة لا تدخل تحت حصر ، فما معنى قصر الإحصاء على تسعة وتسعين ؟

---

(١) فتح الباري : ١١/ ٢٢٠

(٢) بدائع الفوئد : ١/ ٦٦

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ٦/ ٣٨١

(٤) بدائع الفوائد : ١/ ١٦٧

قلنا للعلماء الذين قالوا هي أكثر من التسعة والتسعين قولان :

الأول : أنَّ الأسماء التي يدخل الجنَّة من أحصاها أسماء معينة محدّدة مبثوثة في أسمائه الكثيرة ، وبما أنَّ الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ لم يحدِّد هذه الأسماء ، ولم يصحّ عنه حديث بذلك ، فإنَّ الإنسان لا ينال هذا الثواب العظيم حتى يحفظ جميع الأسماء الحسنى التي وردت في الكتاب والسنّة ، ليتأكد أنَّه جاء بالأسماء التسعة والتسعين التي ينال العبد دخول الجنَّة بحفظها .

يقول ابن العربيّ : « أخفيت هذه الأسماء المتعددة في جملة الأسماء الكلية ، لندعوه بجميعها ، فنصيب العددِ الموعود به فيها »[1].

ويرى ابن العربي أن أسماء الله التسعة و التسعين التي يدخل محصيها الجنة مخبوءة في الكتاب و السنة ، كما خبئت ساعة الإجابة في يوم الجمعة ، وليلة القدرفي رمضان ، يقول ابن العربي في هذا : «والذي أدلكم عليه أن تطلبوها في القرآن والسنة ،فإنها مخبوءة فيهما ، كما خبئت ساعة الجمعة في اليوم ، وليلة القدر في الشهر رغبة ، والكبائر من الذنوب رهبة ، لتعم العبادات اليوم بجميعه ، والشهر كله وليقع الاجتناب لجميع الذنوب ، وكذلك أخفيت هذه الأسماء الكلية لندعوه بجميعها فنصيب العدد الموعود به فيها .وقال مثل ذلك الفخر الرازي فيما نقله عنه ابن حجر العسقلاني :« المراد من عدم تفسيرها أن يستمروا على المواظبة بالدعاء بجميع ما ورد من الأسماء رجاء أن يقعوا على تلك الأسماء المخصوصة ، كما أبهمت ساعة الجمعة ، وليلة القدر ، والصلاة الوسطى » .

ولذا فإنَّ ابن العربيّ بلغ بها عندما عدَّها في كتابه القيم (أحكام القرآن) مائة وستة وأربعين اسما ، وذكر أنَّه بقي من أسمائه ـ تبارك وتعالى ـ ثلاثين اسما ضمنها كتاب (الأمد) [2].

---

(١) أحكام القرآن : ٧٩٤/٢

(٢) أحكام القرآن : ٨٠٥/٢

وقال ابن حجر : «حكى القاضي أبو بكر بن العربيَ عن بعضهم أنّ لله ألف اسم. قال ابن العربيٍ : هذا قليل فيها»[1] .

الثاني : أنَّ المراد بالعدد المذكور هو إحصاء تسعة وتسعين اسما من جملة أسمائه، فكلُّ من حفظ هذا العدد من أسمائه استحقَّ هذا الأجر ، فهي تسعة وتسعون غير معيَّنة، ولا محددة .

يقول شيخ الإسلام مبينا هذين التوجهين عند أهل العلم : « الذين جمعوا أسماء الله اعتقدوا هم وغيرهم أنَّ الأسماء الحسنى التي من أحصاها دخل الجنَّة ليست شيئا معينا ، بل من أحصى تسعة وتسعين اسما من اسماء الله دخل الجنة ، أو أنها وإن كانت معينة ، فالاسمان اللذان يتفق معناهما ، يقوم أحدهما مقام صاحبه ، كالأُحد والواحد ، والمعطي والمغني »[2] .

أقول هذا الذي ذكره شيخ الإسلام آخراً توجيه ثالث في المسألة .

---

(١) فتح الباري : ١١/ ٢٢٠

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ٦/ ٣٨٠

المبحث الثاني
تعيين أسماء الله الحسنى

هيج الرسول صلى الله عليه وسلم النفوس المؤمنة بوعده محصيها بالجنّة إلى إحصائها وطلبها رجاء أنّ يفوزوا بموعود رسول الله صلى الله عليه وسلم .

اسماء الله الحسنى في رواية الترمذي

وقد ورد في تعيينها حديث رواه الترمذي وابن ماجه ، ففي سنن الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لله تعالى تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة ، هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، البارىء ، المصور ، الغفار ، القهار ، الوهاب ، الرزاق ، الفتاح ، العليم ، القابض ، الباسط ، الخافض ، الرافع ، المعز ، المذل ، السميع ، البصير ، الحكم ، العدل ، اللطيف ، الخبير ، الحليم ، العظيم ، الغفور ، الشكور ، العليّ ، الكبير ، الحفيظ ، المقيت ، الحسيب ، الجليل ، الكريم ، الرقيب ، المجيب ، الواسع ، الحكيم ، الودود ، المجيد ، الباعث ، الشهيد ، الحق ، الوكيل ، القوي ، المتين ، الولي ، الحميد ، المحصي ، المبدي ، المعيد ، المحي ، المميت ، الحي ، القيوم ، الواجد ، الماجد ، الواحد ، الصمد القادر ، المقتدر ، المقدم ، المؤخر ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الوالي ، المتعالى ، البر ، التواب ، المنتقم ، العفو ، الرءوف ، مالك الملك ، ذو الجلال والإكرام ، المقسط ، الجامع ، الغني ، المغني ، المانع ، الضار ، النافع ، النور ، الهادى ، البديع ، الباقي ، الوارث ، الرشيد ، الصبور »[1].

---

(١) سنن الترمذي : ٥/ ٥٣٠ ، ورقم الحديث : ٣٥٠٧

مدى صحة الأحاديث المصرّحة بأسماء الله

لو كانت الأحاديث المصرّحة بذكر الأسماء الحسنى صحيحة الإسناد لكان فيها غنية لمن أراد أنّ يحصي أسماء الباري تبارك وتعالى ، ولكنّ نقاد الحديث وحفّاظه حكموا على هذه الأحاديث بالضعف ، ونقدوها سندا ومتنا .

أما السند فضعيف بضعف رواته ، وأما المتن ففيه اضطراب واختلاف ، قال الترمذي بعد سياقه للحديث الذي رويناه عنه فيما سبق : « هذا حديث غريب ، حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح ، ولا نعرفه إلا من حديث صفوان بن صالح ، وهو ثقة عند أهل الحديث .

وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن أبي هريرة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ولانعلم في كثير شيء من الروايات له إسناد صحيح ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث »[1] .

وقال الحافظ ابن حجر في تخريجه : « له طرق ، رواه ابن خزيمة وابن حبان والترمذيّ والحاكم من حديث الوليد عن شعيب عن أبي الزّناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، وسرد الأسماء ، وذكر آدم بن أبي إياس هذا الحديث بإسناد آخر عن أبي هريرة ، وذكر فيه الأسماء ، وليس له إسناد صحيح » .

قال ابن حجر : « ورواه ابن ماجه من طريق زهير بن محمد ، عن موسى بن عقبة عن الأعرج ، وساق الأسماء ، وخالف سياق الترمذي في الترتيب ، والزيادة والنقص .

فأمّا الزيادة فهي : البارُّ ، الرّاشد ، البرهان ، الشّديد ، الواقي ، القائم ، الحافظ ، الفاطر ، السّامع ، المعطي ، الأبد ، المنير ، التامُّ ، والطريق التي أشار إليها الترمذيّ رواها الحاكم في المستدرك من طريق عبد العزيز بن الحصين ، عن أيوب ، وعن هشام بن حسّان جميعا ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة ، وفيها أيضا زيادة

---

(١) سنن الترمذي : ٥/ ٥٣٠ ، ورقم الحديث : ٣٥٠٧

ونقصان.

وقال: المحفوظ عن أيوب وهشام بدون ذكر الأسامي.

قال الحاكم: وعبد العزيز ثقه. قلت: بل متفق على ضعفه، وهّاه البخاريّ ومسلم وابن معين، وقال البيهيقيّ: ضعيف عند أهل النقل، قال البيهيقيّ: ويحتمل أن يكون التفسير وقع من بعض الرواة، ولهذا الاحتمال ترك الشيخان إخراج حديث الوليد في الصحيح.

وقال القاضي أبوبكر بن العربيّ: لا نعلم هل تفسير هذه الأسامي في الحديث أو من قول الراوي.

قال ابن حجر: والدّليل على ذلك اختلافها، وإن كان حديث الوليد أرجحها من حيث الإسناد.

وقال أبو محمد بن حزم: جاء في إحصائها احاديث مضطّربة، لا يصح منها شيء.

وقال ابن عطية: حديث الترمذيّ ليس بالمتواتر، وفي بعض الأسماء التي فيه شذوذ، وورد في دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم: يا حنان، يامنّان، وليس في حديث الترمذيّ واحد منهما»[1].

وقد توسّع الحافظ ابن حجر في تخريج الحديث أكثر من هذا في «فتح الباري»، فبيّن طرقه في كتب السنّة، وبيّن ما فيه من ضعف، ثمّ قال: «ليست العلة عند الشيخين تفرد الوليد فقط، بل الاختلاف فيه، والاضطراب، وتدليسه، واحتمال الإدراج»[2].

ومن الذين جزموا بضعف الأحاديث التي عينت التسعة والتسعين اسما ابن تيمية رحمه الله فإنه قال: «إنّ التسعة والتسعين اسما لم يرد في تعيينها حديث صحيح عن

---

(١) تلخيص الحبير: ٤/١٧٢

(٢) فتح الباري: ١١/٢١٥

النبيّ صلى الله عليه وسلم » .[1]

ورجّح مارجحه غيره من حفّاظ الحديث أنّ ذكر الأسماء في حديث الترمذي ممّا جمعه أحد رواة الحديث ، وهو الوليد بن مسلم عن شيوخه من أهل الحديث.[2] .

ومما يدل على عدم صحة هذا الحديث أنّه خلا من عدّة أسماء منصوص عليها في الكتاب والسنّة مثل الربّ ، الخلاّق ، القدير ، القريب ، وفي مقابل ذلك يورد عدّة من الأسماء التي لم ينصّ عليها في الكتاب ولا في السنة مثل : الصّبور ، المحصي، الرّشيد ، الباقي .

سبب الاختلاف في تعيين أسماء الله تبارك وتعالى

لما كانت النصوص الجامعة لأسماء الله الحسنى غير صحيحة ، فإنّ أهل العلم اجتهدوا في التّعرف على هذه الأسماء وسياقها ، وقد توسّع بعضهم في عدّها حتى جاوز بها المائة والخمسين ، وقصّر آخرون حتى لم يستطيعوا أن يصلوا بها إلى التسعة والتسعين.

فابن حزم عدّها فبلغ بها واحدا وثمانين اسما ، لأنّه اقتصر على ماورد في القرآن بصيغة الاسم كما ادعى، والحقّ أنّ ما أورده غير مقصور على القرآن ، بل تجاوزه إلى ما ورد في الأحاديث[3] .

وعدّها ابن العربيّ في كتابه «أحكام القرآن » فبلغ بها (١٤٦) اسما ، وذكر أنّه بلغ بها في كتابه « الأمد » (١٧٦) اسما[4] .

وعدّها ابن الوزير فبلغ بها (١٧٣) اسما، وإن قال في إحصائه لها

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ٤٨٢/٢٢

(٢) المصدر السابق

(٣) راجع سبل السلام : ١٤٣/٤

(٤) أحكام القرآن : ٨٠٥/٢

إنها(١٥٧)[1].

وحكى ابن حجر انَّ ابن العربيِّ نقل عن بعضهم أنَّ لله ألف اسم . قال ابن العربيِ بعد حكايته لهذا القول : وهذا قليل فيها .

ونقل ابن حجر عن الفخر الرازي أنَّه نقل عن بعضهم أنَّ لله أربعة آلاف اسم.وهذه الأعداد دعوى تحتاج إلى دليل كما يقول ابن حجر [2].

جملة ما عده أهل العلم في أسماء الباري تبارك وتعالى

جملة ما عده أهل العلم في أسماء الباري تبارك وتعالى– مما اطلعت عليه – (٢٩٠) اسما أسوقها في هذا المواضع لتعلم :اللّه ، الآخذ، الإله ، الأول ، الآخر ، الأكرم ، الأعلى ، الأكبر ، الأعظم الأعزُّ ،الأعلم، الأحكم ، الأقوى ، الأقرب ، الأبد ، الأمد،الأحد ، أرحم الرَّاحمين ، أحكم الحاكمين ، أسرع الحاسبين أحسن الخالقين،أهل التقوى ، أهل المغفرة .

البارئ ، البديع ، البر ،الباطن ، الباسط، الباعث ، الباقي ، البرهان ، البالغ أمره البالي ، البصير، البادي .

التَّواب ،الثابت ، الجبَّار ، الجامع ، الجليل ، الجاعل ، الجواد ، الجميل ، الحليم ، الحكيم ، الحيُّ ، الحسيب ، الحفيظ ، الحميد ، الحقُّ ، الحكم ، الحافظ ، الحفيُّ ، الحاسب ، الحنَّان ، الحاكم .

الخالق ، الخَّلاق ، الخبير ، الخافض ، خير الماكرين ، خير الرَّازقين ، خيرالنَّاصرين ، خير الفاصلين ، خير الوارثين ، خيرالمنزلين ،خير الرَّاحمين ،خير الحافظين ، خير الغافرين ، خير وأبقى .

الدائم ، الدَّهر ، الدَّاعي ، الدافع ، الديان، الدَّارئ .

---

(١) سبل السلام : ٤/١٤٣

(٢) فتح الباري : ١١/ ٢٢٠

ذوالجلال والإكرام ، ذو الطول ،ذو القوّة ، ذوالفضل ، ذو الرّحمة ، ذو العرش ، ذوالعقاب ، ذو المعارج ، ذو الجبروت ، ذو الملكوت ، ذو الكبرياء ، ذو العظمة .

الرحمن ، الرحيم ، الرّزاق ، القريب ، الرؤوف ، الربّ ، الرّافع ، الرّشيد ، الرّضا ، الرّاشد ، رابع الثّلاثة ، الرّفيق ، الرّفيع ،رفيع الدّرجات ، الزّارع ،السّلام .

السّميع ، السابق ،سريع العقاب ، سريع الحساب ، السالم ، السخط ، السيّد، السبّوح ، سادس الخمسة ، الشّكور ، الشّاكر.

الشّهيد ، الشفيع ، الشافي ، شديد العقاب ، شديد المحال ، شيء .

الصّمد ، الصّبور ، الصّادق ، الضّارّ .

الطّيب، الطبيب ، الطّاهر ، الظاهر ، العزيز .

العالم ، العليم ، العلاّم ، العليّ ، العظيم ، العدل ، العادل ، العفوّ ، عدوّ الكافرين ،عين ، الغفور ، الغفّار ، الغافر ، الغالب، الغنيّ ، الغيور .

الفاطر ، فالق الحبّ والنوى ، فالق الإصباح ،الفعّال لما يريد ، الفاعل ، الفاتن ، الفرد ، الفاتح، الفتّاح .

القائم ، القيّم، القيّام ، القهّار، القاهر، القدّوس، القريب ، القيوم،القادر،القدير، قابل التوب ، القاضي، القويّ ، القديم ، القاسم ، القاصم ، القابض.

الكبير ، المستغاث ، الكريم ، الكفيل ، الكافي، الكائن ، الكاتب ، كاشف الضرّ ، كثير العفو ، اللّطيف.

المالك ، المليك ، المستعاذ ، الملك ، المؤمن ، المعاذ ،المهيمن ، المتكبر ، المصوّر،المستجار ، المحيط ، المولى ، المجيب ، المقيت ، المجيد ، الماحي ،

المبين،المتين،المقتدر ، المستعان ، المحيي ، المثبت ، المميت ، المتعالي ، المقدر ، المستمع، المعطي ، المؤيِّد ، المغيث ، المنيب ، المدبر ، المنعم ، المتفضل ،المدافع،المنير، المنَّان ، المؤمِّل ، الماهد ،المسعِّر، المجيد ، المحسن ، المحسان ، المتكلم ،المملي ، المبقي، المزكِّي ، الموجد ، المبدع ، الموجود ، المعزُّ ، المذل ، الموفق ، المحصي ، المبدي، المعيد ، الماجد ، المقدم ، المصرِّف ، المؤخِّر ، المقسط ، المغني ، المانع ، المكرم ، الممكن ، المبرم ، المنذر ، المرسل ، الموسع ، المنشي، المخشي ، المريد ، المحبُّ ، المبغض ، المبتلي ، المبلي ، المرهوب، الممتحن ، المثيب ، المستجيب ، المنتقم ، المطعم ، الملجأ ، المسقي ، المذكور ، المعبود ، متمُّ نوره، مقلِّب القلوب ، المنجا مخزي الكافرين مخرج الحيِّ من الميت مخرج الميت من الحي المنجي.

النَّاصر ،النصير، النُّور ، النفس ، الهادي .

الوهَّاب ، الواسع ،الوكيل ،الودود، الوارث، الوليُّ ، الواحد، الواجد ، الوالي ، الوفيُّ، الواقي، الوتر .

المبحث الثالث
الضوابط والقواعد التي تحدد في ضوئها أسماء الباري جل وعلا

أمام هذا العدد الضخم الذي أورده أهل العلم في أسماء الباري – تبارك وتعالى– لابدَّ للباحثين من أنَّ يضعوا القواعد والضوابط التي يتحدَّد في ضوئها ما هو من أسمائه مما ليس منها .

ولم أجد من أهل العلم من جمع هذه الضوابط ، اوعني بجمعها ، لذا فقد أجهدت نفسي في التعّرف على هذه الضوابط وتقعيدها ، لتكون معلما وحكما يفرّق بهابين ما هو من أسماء الله تبارك وتعالى مما ليس منها .

وسنعقد في هذا المبحث ثلاثة عشر مطلبا لبيان هذه الضوابط وتوضيحها .

المطلب الأول
الاقتصار في عدّها على الكتاب والسّنّة

الناظر المدقِّق في الأسماء التي أوردتها يجد فيها جملة من الأسماء ليس لها ذكر في الكتاب والسنة مثل : الأبد ، الأمد ، البرهان ، البالي ، البارُّ ، الثابت ، الدائم ، الرشيد ، السالم ، الشفيع ، القديم ، الكائن ، المنير ، البادي ، المذكور .

قد يقال : إنَّ بعض هذه الأسماء وردت في السنَّة مثل البرهان ، الباري ، الرشيد.والجواب أنَّ النصوص التي وردت فيها هذه الأسماء غير صحيحة مثل حديث الترمذي وحديث ابن ماجه التي ساقت أسماء الله تبارك وتعالى .

والسرُّ في الاقتصار على الأسماء التي وردت في الكتاب والسنَّة أن أسماء الله

توقيفية ، فلا يجوز أن يسمّى الحقّ باسم لم يسمَ الله به نفسه ، أو لم يخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن ربّه أنّه تسمى به .

وإذا كنّا لا نوافق على تجاوز الكتاب والسنّة في هذا الباب ، فإنّنا لا نوافق من اقتصر على القرآن وحده ، فإنّ ما جاء به الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حق كالذي أنزل في القرآن ، فليس لمن اقتصر على نصوص القرآن دون الحديث حجّة ، فقد جاء في الأحاديث عدّة أسماء لم ترد في القرآن مثل : الحنّان ، المنّان ، السبُّوح ، الشافي ، ، المحسن .

وإذا كنا ندعو للاقتصار على الكتاب والسنّة فإنّنا نعني بالسنّة ما صحّ من الأحاديث ، دون الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، فقد جاء في الأحاديث الضعيفة جملة من أسماء الله التي لم يصح فيها حديث مثل : الأبد ، الرشيد ، الصبور .

المطلب الثاني
ليس كل ما أخبرت به النصوص فهو من أسمائه تبارك وتعالى

والسرُّ في ذلك أنّ الأخبار يتوسع فيها ما لايتوسع في الأسماء ، فالله أخبر عن نفسه تبارك وتعالى أنّه كثير العفو ، قابل التوب ، فالق الإصباح ، فالق الحبّ والنوى ، محبّ المؤمنين ، مبغض الكافرين ، فعال لما يريد ، عدُو الكافرين ، منعم ، متفضل ، مكرم ، مقلّب القلوب ، ونحو ذلك ، فجعلها بعض أهل العلم من أسمائه .

والعلماء يتوسّعون في الأخبار ، فيجيزون إطلاق اسم : الموجود ، والشّيء،والثّابت على الله من باب الإخبار ، وإن لم ترد في الكتاب والسنة .

يقول ابن القيّم : « ما يدخل في باب الإخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته كالشّيء والموجود والقائم بنفسه ، فإنّه يخبر به عنه ، ولا يدخل في

أسمائه الحسنى ، وصفاته العليا »[1] .

وكثير مما عدَّه أهل العلم من أسمائه الحسنى ممَّا ورد في الكتاب والسنَّة وممَّا لم يرد فيهما هو من باب الأخبار لا من باب الأسماء ، وهنا أمر مهم نبَّه عليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، فقد أفاد أنه لايجوز الإخبار عن الله تعالى باسم سيِّء ، يقول رحمه الله تعالى : « يفرِّق بين دعائه والإخبار عنه ، فلا يدعى إلا بالأسماء الحسنى ، وأما الإخبار عنه ، فلا يكون باسم سيء ، لكن قد يكون باسم حسن ، أو باسم ليس بسيٍّء ، وإن لم يحكم بحسنه ، مثل اسم شيء ، وذات ، وموجود »[2] .

المطلب الثالث
لا يجوز أن يشتق لله أسماء من صفاته وأفعاله

وهذا الضابط من معنى التوقيف في أسماء الله ، فلا يجوز أن نشتقَّ لله أسماء من أفعاله التي وردت في الكتاب والسنَّة ، فلا يقال من أسمائه : الجائي ، المطعم ، المسقي ، الكاتب ، القاضي ، المؤيد ، المبتلي ، ونحو ذلك أخذا من قوله تعالى : ﴿وجاء ربك والملك صفاصفا ﴾[3] وقوله : ﴿ والذي هو يطعمني ويسقين ﴾[4] وقوله : ﴿ كتب ربكم على نفسه الرحمة ﴾[5] وقوله : ﴿ والله يقضي بالحق ﴾[6] وقوله : ﴿ هو الذي أيَّدك بنصره ﴾[7] وقوله : ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾[8] .

---

(1) بدائع الفوائد : ١/ ١٦١

(2) مجموع فتاوى شيخ الإسلام

(3) سورة الفجر : ٢٢

(4) سورة الشعراء : ٧٩

(5) سورة الأنعام : ٥٤

(6) سورة غافر : ٢٠

(7) سورة الأنفال : ٦٢

(8) سورة الأنبياء : ٣٥

ومن هذا الباب غير ما سبق : الباعث ، الباقي ، القاضي ، الصبور ، العدل ، العادل ، الفاتح ، القيام .

يقول ابن القيم : « لا يلزم من الإخبار عنه بالفعل مقيّدا أن يشتقّ له منه اسم مطلق، كما غلط بعض المتأخرين ، فجعل من أسمائه الحسنى المضلّ الفاتن الماكر ، تعالى الله عن قوله ، فإنّ هذه الأسماء لم يطلق عليه منها إلا أفعال مخصوصة معيّنة ، فلا يجوز أن يسمّى بأسمائه المطلقة »[1].

وخالف هذا النهج ابن العربيّ حيث ذهب إلى أنّ المشتق يدخل في أسمائه تبارك وتعالى ، وادّعى أنّ الصحابة والعلماء عدُّو المشتقّ من أسمائه تبارك وتعالى[2]، ولكنّه لم يأت بدليل يدلُّ على صحة مقاله .

المطلب الرابع
لا يجوز أن يسمّى الحقّ ـ تبارك وتعالى ـ بالأسماء المذمومة أو التي تشعر بالذم

فلا يجوز أن يسمى الربّ ـ تبارك وتعالى ـ بالأسماء المذمومة كالعاجز والخائن والفقير ، وكذلك الصفات التي تشعر بالذم كالمخادع ، والماكر ، والفاتن ، والسّخط، والمنتقم ، أو الأسماء المنقسمة إلى كمال ونقص كالزّراع والماهد والآتي والمريد ، والمتكلم ، والفاعل ، والفعال ، والمبرم ، ونحو ذلك .

قال ابن حجر رحمه الله : « اتفقوا على أنّه لا يجوز أن يطلق على الله تعالى اسم أو صفه توهم نقصا ، فلا يقال : ماهد ولا زارع ولا فالق ، وإن جاء في القرآن

(١) بدائع الفوائد : ١٦٢/١

(٢) أحكام القرآن : ٧٩٣/٢

فنعم الماهدون ، ونحن الزارعون »[1] وسيأتي مزيد بحث لهذه المسألة في الأساس الثاني من الأسس التي يقوم عليها مذهب أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته.

المطلب الخامس
لا يجوز أن تنقص عدة أسمائه عن تسعة وتسعين إسماً

والسبب في ذلك أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخبر أنّ لله تسعة وتسعين اسما، من أحصاها دخل الجنة ، والله أخبرنا أنّ له الأسماء الحسنى ، وأمرنا بدعائه بها ، فإذا كانت هذه الأسماء غير موجودة في الكتاب والسنّة ، ولا يمكن معرفتها ، فكيف نتمكن من دعائه بها ، وكيف نستطيع إحصاءها ؟

إذا ادعى مدّع هذه الدعوى فيؤول الأمر إلى تكذيب الأخبار الصحيحة الثابتة عن الله ورسوله .

والسبب في تقصير من عد أسماء الله عدّة أقل من المنصوص عليه هو ضعف التتبع والاستقراء لنصوص الكتاب والسنّة .

المطلب السادس
كل إسم لا يقبل أن يدعى به فإنّه ليس من أسماء الله

أسماء الله الحسنى التي تسمّى بها الباري تقبل أن يدعى بها الحقّ سبحانه وتعالى، لأنّه أمرنا سبحانه بدعائه بأسمائه الحسنى ، فإذا كان الاسم غير قابل للدّعاء به ، فإنّه لا يجوز أن يجعل هذا الاسم من أسمائه .

وعلى ذلك فلا يجوز أن يعدّ من أسمائه : الدّهر ، والأبد ، والأمد ، والبرهان ، والداعي ، والدارئ ، والزارع ، والرضا ، والسّخط ، والشيء ، والقاضي ،

---

(١) فتح الباري : ١١/٢٢٣ . وانظر سبل السلام : ٤/١٤٣

والمستمع ، والمملي ، والمتكلم ، والماهد ، والثابث ، والجاعل ، والسريع ، والعين ، والغيور ، والكامن ، والفاعل ، والفعال ، والقاتل ، والكائن ، والكاتب ، والكاشف، والمبرم ، والمتمّ نوره ، والنّفس .

فإنه لا يصح أن يدعى فيقال : يا دهر، ياأمد ، يابرهان ، ياداعي ، ياداريُ...الخ.

ولا يجوز لطالب العلم أنّ يظن أن دعاءه ـ تبارك وتعالى ـ مقصور على أسمائه الحسنى دون صفاته وأفعاله ، فكما يدعى ـ تبارك وتعالى ـ بأسمائه الحسنى فإنّه يدعى كذلك بصفاته الحسنى وأفعاله ، فيقال : ياداحي الأرض ، ورافع السماء ، ومنزل الغيث ، ومنجي المؤمنين ، ومهلك الظالمين ، ومجير المظلومين ، ومعلي شأن المجاهدين ، وهذا كثير في السنّة .

وجواز دعاء الله بصفاته وأفعاله لا يلغي الضابط الذي قرّرناه هنا ، فالضابط أنّ كلّ ما لا يقبل الدعاء به فإنه ليس من أسماء الباري تبارك وتعالى ، وهذا لا يعني أنّه لا يجوز دعاء الله ـ تبارك وتعالى ـ بصفاته و أفعاله .

ومن هنا يعلم مجانبة الزجّاج للصواب فيما قرّره بقوله : « الضابط أنّ كلّ ما أذن الشّرع أن يدعى به سواء كان مشتقا أو غير مشتقّ فهو من أسمائه ، وكلّ ما جاز أن ينسب إليه سواء كان مما يدخله التأويل أو لا فهو من صفاته ، ويطلق عليه اسم أيضا»[1] .

فإنّ الشارع لم يقصر دعاء الله على أسمائه فحسب ، ولكن كلّ اسم لا يدعى الله به فلا يكون من أسمائه ، والفارق بين الضابطين واضح بيّن .

وقد حمل ابن العربي حملة شديدة على « الذين يخترعون أدعية يسمون فيها الباري بغير أسمائه ، ويذكرونه بما لم يذكره من أفعاله »[2].وعدّ هذا من الإلحاد في

---

(١) نقله عنه في فتح الباري : ٢٢٣/١١

(٢) أحكام القرآن : ٨٠٥/٢

أسماء الله الذي حذّر الله منه في قوله : ﴿ وذروا الذين يلحدون في أسمائه ﴾ [1].

ولكنه تناقض تناقضا بيّنا ، فقد عدّ في أسمائه ـ تبارك وتعالى ـ مالم يرد في الكتاب والسنة .

المطلب السابع
لا يدخل في أسماء الله تعالى ما كان من صفات أفعاله

وذلك مثل شديد العقاب ، وسريع العقاب ، وسريع الحساب ، وشديد المحال ، ورفيع الدرجات ، لانّ الشديد والسريع من صفات أفعاله ، فلا فرق في المعنى بين قوله : إن الله شديد العقاب ، وسريع العقاب ، وشديد المحال ، وسريع الحساب ، وبين قولنا : إنّ عقاب الله شديد ، وعقابه سريع ، ومحاله شديد ، وحسابه سريع ، ودرجاته رفيعه .[2]

المطلب الثامن
لا يخرج من أسماء الله ما اتفق معناه وتغاير لفظه

لا يجوز أن نخرج من دائرة أسماء الله الحسنى مما ورد في الكتاب والسنة ما اتفق معناه وتغاير لفظه بدعوى أنه من باب التكرار ، فالرحمن الرحيم اسمان وليسا اسما واحدا ، والقادر والمقتدر والقدير ثلاثة أسماء ، وكلٌّ واحد منها اسم مستقل بذاته مادام قد ورد في الكتاب والسنّة كذلك .

وينبغي أن ننبّه هنا إلى أنّ هذا ليس تكرارا من كلّ وجه ، فالاسم الذي يرى مكرّرا يفيد معنى خاصًّا لا يفيده الاسم الآخر ، وإن شاركه في أصل المعنى .

---

(١) سورة الأعراف : ١٨٠

(٢) إيثار الحق : ص ١٦٠

يقول ابن حجر العسقلاني : « الاسماء المشتقة من صفة واحدة لا يمنع ذلك من عدّها، فإن فيها التغاير في الجملة ، فإنّ بعضها يزيد بخصوصيّة على الآخر ليست فيه»[1].

ونقل ابن حجر عن أبي العباس بن معد قوله : « ليس في أسماء الله شيء مترادف ، إذ لكل اسم خصوصية ، وإن اتفق بعضها مع بعض في أصل المعنى »[2].

وفي مقابل الذين جعلوا الأسماء التي وردت في المعنى الواحد اسما واحدا ، ذهب فريق آخر مذهبا مغايرا لهذا المذهب ، فقد جعلوا الأسماء المكرّرة بألفاظها أسماء مختلفة باعتبار إضافتها وقطعها عن الإضافة ، فقد جعلوا الربّ ، وربّ المشرقين ، وربّ المغربين ، وربّ الملائكة والروح ، وربّ الناس ، وربّنا ورب كل شيء ، أسماء متعددة ، والحقُّ أنّ هذه كلها اسم واحد وهو الربّ ، ومما جعلوه متعددا وهو اسم واحد : واسع المغفرة الواسع ، بديع السموات والأرض البديع ، النُّور نور السموات والأرض ، الوكيل نعم الوكيل ،القادر نعم القادر ،الناصر نعم الناصر .

المطلب التاسع

لا يجوز استثناء الأسماء المضافة من دائرة أسماء الله الحسنى إذا وردت في الكتاب والسنّة

فلا يقرُّ من أخرج من أسمائه ـ تبارك وتعالى ـ عالم الغيب والشهاده ، ومالك الملك، وبديع السموات والأرض ، ونور السموات والأرض ، وغافر الذنب ، وعلاّم الغيوب ، وفاطر السموات والأرض ، إذلاحجة لهؤلاء إلاّ أنّ هذه الأسماء مضافة ، وهذه ليست بحجة ، فما الإشكال في أن تكون أسماء الله مضافة ؟ وحسبنا أن نعلم أن إسما من أعظم أسماء الباري: ـ تبارك وتعالى ـ لم يرد في القرآن إلامضافا ، وهو

---

(١) فتح الباري : ١١/٢١٩

(٢) فتح الباري : ١١/٢٢٣

الربّ على الرغم من أنّ أكثر الدعاء والتوسل والاستغاثه وردت في القرآن به ، وأكثر دعاء البشر إنما هو باسم الرب .

المطلب العاشر

صحّة تعبيد أسماء العباد بأسماء الله

لا يصحُّ أن يعبَّد العباد بغير أسماء الباري تبارك وتعالى ، فإذا كان الاسم مما لا يصحُّ أن يعبَّد العباد له ، فإنه ليس من أسمائه .

فلا يجوز أن يسمى العباد بعبد الزارع ، وعبد عدو الكافرين ، وعبد المرسل ، وعبد رابع ثلاثه ، وعبد السّخط ، وعبد القاضي ، وعبد المبغض ، وعبد المتكلم ، وعبد القائم ، وعبد البالغ ، وعبد الغيور، وعبد المنزل ، وعبد الماهد ، فدلّ ذلك على أن هذه الأسماء وما أشبهها ليست من أسماء الباري جلّ وعلا .

المطلب الحادي عشر

الأسماء الجامدة ليست من أسمائه

ليس من أسماء الباري ـ تبارك وتعالى ـ الأسماء الجامدة التي لا تتضمن معنى يلحقها بالأسماء الحسنى ، لأنّ أسماء الله أعلام وأوصاف .

وعلى ذلك فلا يكون من أسمائه : الدهر ،والأبد ، والأمد ، والشيء ، والعين ؛ فالدهر والأبد والأمد أسماء للزمن ، قال تعالى فيما حكاه عن منكري البعث : ﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر﴾ [1] .

قد يقال : ورد في صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لاتقولوا ياخيبة الدّهر ، فإنّ اللّه هو الدهر » [2] .

---

(١) سورة الجاثية : ٢٤

(٢) مشكاة المصابيح : ٢/٥٦٧ . ورقم الحديث : ٤٧٦٣

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يسبُّ أحدكم الدهر ، فإن الله هو الدَّهر »[1].

وجاء في الحديث القدسي الذي يرويه الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن ربِّه : « يؤذيني ابن آدم يسبُّ الدَّهر ، وأنا الدَّهر ، أقلِّب الليل والنَّهار » فالمراد أن العباد يسبون من يوقع بهم البلاء ، ويصيبهم بالمصائب والأحزان ، وينسبون ما يصيبهم ويقع بهم إلى الدهر ، وحقيقة الأمر أنَّ الذي يوقع بهم كلَّ ذلك هو الله الذي يصرِّف أمورهم وأمورالكون ، يخفض ويرفع ، ويعطي ويمنع ، ويعزُّ ويذل ، ويضحك ويبكي ، ويميت ويحيي ، ويقلب الليل على النهار، والنهار على الليل ، فإذا سبوا الذي يفعل ذلك فقد سبوا الله تبارك وتعالى ، وإن سموه دهرا ، لأن الفاعل هو الله ، وقد أخطأوا في نسبة هذه الأفعال إلى الدهر .

المطلب الثاني عشر

لا يدخل في أسمائه ما بدئ بذو

الوارد في الكتاب والسنة من الأسماء المبدوأة (بذو) المضافة إلى صفة من صفات الله ، أو فعل من أفعاله ، أوخلق من مخلوقاته من أعظم ما يمدح به ربُّ العزة ويدعى به ، ولكنَّها لا تدخل في أسمائه الحسنى التسعة والتسعين على الأرجح ، لأن معنى ذي القوة وذي الرحمة وذي الكبرياء : صاحب القوة والرحمة والكبرياء ، فذو في اللغة بمعنى صاحب ، وهذه الأسماء ثلاثة أقسام :

الأول : ما أضيف منها إلى صفة من صفات الباري ، وهذا نوعان :

النوع الأول : أن تكون لهذه الصفات أسماء تدلُّ عليها صرَّحت بها النصوص،وهي : ذو الرحمة ، ذو القوة ، ذو الجبروت ، ذو الملكوت ، ذو الكبرياء، ذو العظمة .

والأسماء التي تضمنت هذه الصفات هي : الرحمن ، الرحيم ، القويُّ ، الجبَّار ،

---

(١) مشكاة المصابيح : ٢/٥٦٧ . ورقم الحديث : ٤٧٦٤

الملك، الكبير ، العظيم .

والنوع الثاني : صفات ليس لها أسماء تدلُّ عليها في الكتاب والسنة .

وهي : ذو الطول ، ذو الفضل ، ذو الجلال والإكرام ، فإن هذه الصفات أضيفت « ذو » إلى كل منها ، ليس لايّ منها اسم مصرَّح به في النصوص .

القسم الثاني : ما أضيف إلى فعل من أفعال الباري تبارك وتعالى ، وهو اسم واحد هو : ذو عقاب أليم .

القسم الثالث : ما أضيف إلى بعض مخلوقاته ، وهو اسم واحد وهو :ذوالعرش.

المطلب الثالث عشر
ما جاء على صيغة أفعل التفضيل

ما جاء منصوصا عليه من أسمائه على صيغة أفعل التفضيل من غير إضافة ، فإنَّه من أسمائه مثل : الأعلى ، الأكرم .

أما ما جاء على صيغة أفعل التفضيل مضافا فهو وإن كان من أعظم الممادح التي يمدح بها ربُّ العزة ، ويثنى عليه بها ، ويدعى بها إلا أنها ليست من أسمائه على الأرجح ، مثل : أرحم الراحمين ، وأحكم الحاكمين ، وأسرع الحاسبين ، وأحسن الخالقين ، وخير الفاصلين ، وخيرالرازقين ، وخيرالناصرين ، وخيرالوارثين ، وخيرالمنزلين ، وخيرالراحمين ، وخيرالحافظين ، وخيرالغافرين ، وخيرالماكرين .

وهذه الأسماء على هذه الصيغة جاءت للدّلالة على كمال الربِّ تبارك وتعالى ، فكلُّ كمال اتصف به المخلوق من غير نقص بوجه من الوجوه فللربِّ منه أكمله .

وللدلالة على هذا المعنى يصحُّ أن يصاغ من الصفات الثابتة للربِّ تبارك وتعالى أسماء على صيغة أفعل التفضيل ، وإن لم ترد في الكتاب والسنة مثل : الأعظم ، الأقوى ، الأعلم ، الأقرب ، الأكبر .

المبحث الرابع
تحديد أسماء الله في ضوء الضوابط السابقة

بينا في المبحث السابق عدة ضوابط حددت بوضوح أن بعض ما عده أهل العلم في أسمائه غير داخل في دائرة الأسماء ، وبعض ما أخرجوه غير خارج من دائرة أسمائه.

وفي هذا المبحث سننظر في الأسماء التي وردت في الكتاب والسنة مراعين في ذلك الضوابط التي أشرنا إليها في المبحث السابق ، موردين من أدلة الكتاب والسنة ما يكفي لإثبات نسبة هذه الأسماء إلى ـ الله تبارك ـ وتعالى من غير استقصاء للأدلّة في هذا الباب ، لأنّ الهدف إثبات هذه الأسماء دون استقصاء النصوص في ذلك .

والأسماء الواردة في النصوص **قسمان** :

الأول: ما ورد في القرآن. **والثاني** : ما ورد في السنة .

والواردة في القرآن **نوعان** : **الأول** : ما ورد فيه مفردا ، **أعني غير مضاف** .

والثاني : ما ورد فيه مضافا .

النوع الأول : ما ورد في القرآن مفردا .

(١-١٥) ـ ورد منها خمسة عشر اسما هي : الله ، الرحمن ، الرحيم ، الملك، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، البارىء ، المصور ، الحكيم في قوله تعالى : ﴿ هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ، هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون ، هو الله الخالق البارئ

المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾[1] .

(١٦-١٩) - وورد الأول ، والآخر ، والظاهر ، والباطن ، في قوله تعالى : ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ﴾[2] .

(٢٠-٢٣) - وورد في آية الكرسي أربعة أسماء هي الحي ، القيوم ، العلي ، العظيم ، ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم ﴾[3] .

(٢٤-٢٥) - وورد الأحد الصمد في قوله تعالى : ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد ﴾[4] .

(٢٦-٣٨) - وورد ثلاثة عشر اسما هي : العليم ، الحليم ، العفو ، الغفور ، السميع ، البصير ، الحق ، الكبير ، اللطيف ، الخبير ، الغني ، الحميد ، الرؤوف في قوله تعالى : ﴿ ليدخلنهم مدخلا يرضونه وإن الله لعليم حليم ، ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثمّ بغي عليه لينصرنه الله إن الله لعفوغفور ، ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير ، ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير ، الم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير ، له ما في السموات وما في الأرض وإن الله لهو الغني الحميد ، ألم تر أن الله سخر لكم مافي الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس

---

(١) سورة الحشر : ٢٢ - ٢٤

(٢) سورة الحديد : ٣

(٣) سورة البقرة : ٢٥٥

(٤) سورة الإخلاص: ١-٢

لرؤوف رحيم ﴾ [1] .

(٣٩-٤١) - وورد ثلاثة أسماء هي : الواحد القهار الغفار في قوله تعالى : ﴿لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق مايشاء سبحانه هو الله الواحد القهار ، خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر ، كل يجري لأجل مسمى ألاهو العزيز الغفار ﴾ [2].

(٤٢) - وورد اسم المتعالي في قوله تعالى : ﴿ عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال﴾ [3] .

(٤٣) - وورد اسم التواب في قوله تعالى : ﴿ إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم ﴾ [4] .

(٤٤) - وورد اسم الوهاب في قوله تعالى : ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾ [5] .

(٤٥) - وجاء اسم الولي في قوله تعالى : ﴿ وهو الولي الحميد ﴾ [6] .

(٤٦) - وجاء اسم البرّ في قوله تعالى : ﴿ إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم ﴾ [7].

(٤٧) - وجاء اسم الودود في قوله تعالى : ﴿ وهو الغفور الودود ﴾ [8].

---

(١) سورة الحج : ٥٩ - ٦٥

(٢) سورة الزمر : ٤ - ٥

(٣) سورة الرعد : ٩

(٤) سورة البقرة : ١٦٠

(٥) سورة آل عمران : ٨

(٦) سورة الشورى : ٢٨

(٧) سورة الطور : ٢٨

(٨) سورة البروج : ١٤

(٤٨) ـ وورد اسم الخلاق في قوله تعالى : ﴿ إن ربك هو الخلاق العليم ﴾[1].

(٤٩-٥٠) وورد اسم الرزاق والمتين في قوله تعالى ﴿ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾[2].

(٥١) ـ وورد اسم الفتاح في قوله تعالى : ﴿ قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم ﴾[3].

(٥٢) ـ وورد اسم القدير في قوله تعالى : ﴿ والله قدير والله غفور رحيم ﴾[4].

(٥٣) ـ وورد اسم الواسع في قوله تعالى : ﴿ والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم ﴾[5].

(٥٤) ـ وجاء اسم الكريم في قوله تعالى : ﴿ يأيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ﴾[6].

(٥٥-٥٦) ـ وورد اسم القريب والمجيب في قوله تعالى : ﴿ إن ربي قريب مجيب ﴾[7].

(٥٧-٥٨) ـ وجاء اسم المليك والمقتدرفي قوله تعالى : ﴿ إن المتقين في جنات ونهر، في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾[8].

(٥٩) ـ وجاء اسم الحكم في قوله تعالى : ﴿ أفغير الله ابتغي حكما وهو الذي

---

(١) سورة الحجر : ٨٦

(٢) سورة الذاريات : ٥٨

(٣) سورة سبأ : ٢٦

(٤) سورة الممتحنة : ٧

(٥) سورة البقرة : ٢٦٨

(٦) سورة الانفطار : ٦

(٧) سورة هود : ٦١

(٨) سورة القمر : ٥٤-٥٥

أنزل إليكم الكتاب مفصلا ﴾ [1] .

وجاء في السنن لأبي داود والنسائي وابن حبان ومستدرك الحاكم عن هانئ بن يزيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله هو الحكم ، وإليه الحكم» [2].

(٦٠) ـ وجاء اسم المجيد في قوله تعالى : ﴿ إنه حميد مجيد ﴾ [3] .

(٦١) ـ وجاء اسم الشاكر في قوله تعالى : ﴿ ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم ﴾ [4] .

(٦٢) ـ وورد اسم الشكور في قوله تعالى : ﴿ ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا إن الله غفور شكور ﴾ [5] .

(٦٣) ـ وورد اسم الإله في قوله تعالى : ﴿ وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله ﴾ [6] .

(٦٤) ـ وورد اسم القوي في قوله تعالى : ﴿ إن الله قوي شديد العقاب ﴾ [7].

(٦٥) ـ وورد اسم الأعلى في قوله تعالى : ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾ [8] .

(٦٦) ـ وورد اسم القادر في قوله تعالى : ﴿ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم ﴾ [9] . وقوله : ﴿ إنه على رجعه لقادر ﴾ [10] .

---

(١) سورة الأنعام : ١١٤

(٢) صحيح الجامع : ٢/١٣٥ورقم الحديث : ١٨٤١

(٣) سورة هود : ٧٣

(٤) سورة البقرة : ١٥٨

(٥) سورة الشورى : ٢٣

(٦) سورة الزخرف : ٨٤

(٧) سورة الأنفال : ٥٢

(٨) سورة الأعلى : ١

(٩) سورة الأنعام : ٦٥

(٦٧) ـ وورد اسم الأكرم في قوله تعالى : ﴿ اقرأ وربك الأكرم ﴾ [١] .

(٦٨) ـ وورد اسم الكفيل في قوله تعالى : ﴿ وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ﴾ [٢] .

(٦٩) ـ وورد اسم النصير في قوله تعالى : ﴿ وكفى بالله نصيرا ﴾ [٣] .

(٧٠) ـ وورد اسم الحفي في قوله تعالى : ﴿ إنه كان بي حفيا ﴾ [٤] .

(٧١) ـ وورد اسم الحفيظ في قوله تعالى : ﴿ إن ربي على كل شيء حفيظ ﴾ [٥] . وقوله : ﴿ وربك على كل شيء حفيظ ﴾ [٦] .

(٧٢) ـ وورد اسم المقيت في موضع واحد من كتاب الله تعالى : ﴿ وكان الله على كل شيء مقيتا ﴾ [٧] .

(٧٣) ـ وجاء اسم الرقيب في قوله تعالى : ﴿ إن الله كان على كل شيء رقيبا ﴾ [٨] . وقوله : ﴿ وكان الله على كل شيء رقيبا ﴾ [٩] .

(٧٤) ـ وجاء اسم الهادي في قوله تعالى : ﴿ وكفى بربك هاديا ونصيرا ﴾ [١٠] .

(٧٥) ـ وورد اسم الحسيب في قوله تعالى : ﴿ وكفى بالله حسيبا ﴾ [١١] .

---

(١٠) سورة الطارق : ٨

(١) سورة العلق : ٣

(٢) سورة النحل : ٩١

(٣) سورة النساء : ٤٥

(٤) سورة مريم : ٤٧

(٥) سورة هود : ٥٧

(٦) سورة سبأ : ٢١

(٧) سورة النساء : ٨٥

(٨) سورة النساء : ١

(٩) سورة الأحزاب : ٥٢

(١٠) سورة الفرقان : ٣١

(١١) سورة النساء : ٦

(٧٦) - وورد اسم الصادق في قوله تعالى : ﴿ ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون﴾[1] . وقوله : ﴿ وأتيناك بالحق وإنا لصادقون ﴾[2] .

(٧٧) - وورد اسم الوارث في قوله تعالى : ﴿ وإنا لنحن نحي ونميت ونحن الوارثون ﴾[3] وقوله : ﴿ وكنا نحن الوارثين ﴾[4] .

ولا يمنع ورود الاسم بصيغة الجمع « الصادقون ، الوارثون » أن يكون اسما لله تبارك وتعالى . فقوله في هذه النصوص « نحن » المراد بها الباري دون غيره ، وهذا جاء على طريقة العرب في كلامها ، فالمعظم نفسه يقول : نحن ، وإن كان فردا .

والخبر يجب أن يطابق المبتدأ ، ولذا جاء بصيغة الجمع .

(٧٨) - وورد اسم المستعان في قوله : ﴿ وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون﴾[5] .وقوله : ﴿ والله المستعان على ما تصفون ﴾[6] .

النوع الثاني : الأسماء المضافه في كتاب الله

الأسماء التي سبق ذكرها هي الواردة في كتاب الله بصيغة الاسم غير مضافة .

وورد في القرآن عدة من أسمائه مضافة ، وهي داخلة في أسمائه الحسنى ، كيف لا ومنها اسم الرب الذي لم يرد في القرآن إلا مضافا .

(٧٩-٨٠) - ورد منها في سورة الفاتحة اسمان هما الرب ، والمالك ، في قوله تعالى : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾[7] ، وقوله : ﴿ مالك يوم الدين ﴾[8] . وقال

---

(١) سورة الأنعام : ١٤٦

(٢) سورة الحجر : ٦٤

(٣) سورة الحجر : ٢٣

(٤) سورة القصص :٥٨

(٥) سورة الأنبياء : ١١٢

(٦) سورة يوسف : ١٨

(٧) سورة الفاتحة : ٢

(٨) سورة الفاتحة : ٤

تعالى : ﴿ قل اللهم مالك الملك ﴾ [1] .

(٨١) وورد اسم النور في قوله تبارك وتعالى : ﴿ الله نور السموات والأرض﴾ [2] .

(٨٢) ـ وورد اسم غافر في قوله تعالى : ﴿ غافر الذنب وقابل التوب ﴾ [3] .

(٨٣) ـ وورد اسم المحيي في قوله تعالى : ﴿ إن الذي أحياها لمحي الموتى ﴾ [4] . وقوله : ﴿ إن ذلك لمحي الموتى وهو على كل شيء قدير ﴾ [5] .

(٨٤) ـ ومنها العالم ، ورد في قوله تبارك وتعالى : ﴿ إن الله عالم غيب السموات والأرض إنه عليم بذات الصدور ﴾ [6] . وقوله : ﴿ ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة ﴾ [7] .

(٨٥) ـ ومنها علاَّم ، ورد في قوله تعالى : ﴿ قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب﴾ [8] . وقوله : ﴿ قل إن ربي يقذف بالحق علام الغيوب ﴾ [9] .

(٨٦) ـ ومنها بديع ، فإنه جاء في القرآن مضافا إلى السموات والأرض في موضعين : **الأول** : في البقرة ﴿ بديع السموات والأرض وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون ﴾ [10] . وفي سورة الأنعام في قوله : ﴿ بديع السموات والأرض أنى

---

(١) سورة آل عمران : ٢٦

(٢) سورة النور : ٣٥

(٣) سورة غافر : ٣

(٤) سورة فصلت : ٣٩

(٥) سورة الروم : ٥٠

(٦) سورة فاطر : ٣٨

(٧) سورة التوبة : ٩٤

(٨) سورة المائدة : ١٠٩

(٩) سورة سبأ : ٤٨

(١٠) سورة البقرة : ١١٧

يكون له ولد ﴾[1] .

(٨٧) ـ ومن أسمائه ـ تبارك وتعالى ـ المضافة اسم فاطر ، قال تعالى : ﴿ الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا ﴾[2] .

(٨٨) ـ ومنها اسم الجامع ، قال تعالى : ﴿ إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا ﴾[3] .وقال تعالى ﴿ ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه﴾[4]

القسم الثاني : ما ورد في السنة

(٨٩ـ٩٠) ـ دلت الأحاديث على أنَّ الله ـ تبارك وتعالى ـ الحنَّان المنَّان ، ففي مسند أحمد عن أنس قال : كنت جالسا مع رسول الله في الحلقة ، ورجل قائم يصلي ، فلمَّا ركع وسجد جلس ، وتشهد ، ثم دعا فقال : اللهم إني أسألك بأنَّ لك الحمد ، لاإله إلا أنت الحنان ، بديع السموات والأرض ، ذا الجلال والإكرام ، ياحيُّ ياقيوم ، إني أسألك .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتدرون بما دعا ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال : « والذي نفسي بيده لقد دعا باسمه العظيم ، الذي إذا دعي به أجاب ، وإذا سئل به أعطى »[5] .

وفي رواية الترمذي وأبي داود والنسائي أنه قال في دعائه : المنَّان[6] .

وروى أحمد أيضا في مسنده عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:« إن عبدا في جهنم لينادي ألف سنة ، ياحنَّان ، يامنَّان .

---

(١) سورة الأنعام : ١٠١

(٢) سورة فاطر : ١

(٣) سورة النساء : ١٤٠

(٤) سورة آل عمران : ٩

(٥) مسند الإمام احمد : ١٥٨/٣

(٦) جامع الاصول : ٤/ ١٧١

قال : فيقول الله - عزّ وجل - لجبريل عليه السلام : اذهب فائتني بعبدي هذا .

فينطلق جبريل ، فيجد أهل النار مكبين يبكون ، فيرجع إلى ربه فيخبره .

فيقول : ائتني به ، فإنّه في مكان كذا وكذا ، فيجيء به ، فيوقفه على ربّه عزّ وجلّ .

فيقول : يا عبدي ، كيف وجدت مكانك ومقيلك ؟

فيقول : أي ربّ ، شرّ مكان ، وشر مقيل .

فيقول : ردوا عبدي .

فيقول : ياربّ ماكنت أرجو إذ أخرجتني منها أن تردّني فيها .

فيقول : دعوا عبدي »[1] .

(٩١) - وورد في الحديث أن من أسمائه السبُّوح ، ففي صحيح مسلم عن عائشة أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في ركوعه وسجوده : « سبّوح قدّوس رب الملائكة والروح »[2] .

قال النووي : « قال ابن فارس والزبيدي وغيرهما : سبُّوح هو الله عزّ وجلّ ، فالمراد بالسبُّوح القدوس المسبّح المقدّس .

ومعنى سبُّوح المبرأ من النقائص والشريك ، وكل مالا يليق بالإلهية »[3] .

(٩٢) - ومن أسمائه الشافي ، ففي صحيح البخاري ومسلم عن عائشة أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو للمريض بقوله : « اللهمّ ربّ الناس ، أذهب الباس ، اشف ، أنت الشافي ، لاشفاء إلا شفاؤك ، شفاءً لايغادر سقما »[4] .

---

(١) مسند أحمد : ٣/ ٢٣٠

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي : ٤/ ٢٠٤

(٣) شرح النووي على مسلم : ٤/ ٢٠٤

(٤) صحيح الجامع الصغير : ٣/ ١٣١

(٩٣ -٩٤) ــ ومن أسمائه الحيي الستير ، ففي مسند أحمد وسنن أبي داود والنَّسائي عن يعلى بن أمية أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ الله – تعالى – حيي ستير ، يحب الحياء والستر ، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر »[١] .

وفي سنن الترمذي عن سلمان الفارسي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «إن الله حيي كريم ، يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردَّهما صفرا خائبتين »[٢] .

(٩٥ -٩٨) ــ ومن أسمائه التي وردت في الأحاديث : الجواد ، النظيف ، الطيب ، الماجد ، ففي سنن الترمذي عن صالح بن أبي حسان قال : سمعت سعيد بن المسيب يقول : « إنَّ الله طيب يحبُّ الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكرم ، جواد يحب الجود ، فنظفوا أفنيتكم ، ولا تشبهوا باليهود » .

قال : فذكر ذلك لمهاجربن مسمار ، فقال : حدثنيه عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله ، إلا أنه قال :« نظِّفوا أفنيتكم» .

قال الترمذي ، هذا حديث غريب ، وخالد بن إلياس يُضعف[٣] .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إنَّ الله طيِّب لا يقبل إلا طيِّبا »[٤] .

وجاء في الحديث القدسّي الذي يرويه الترمذيُّ عن أبي ذر : « ذلك بأنِّي جواد ماجد أفعل ما أريد » . قال الترمذي : هذا حديث حسن[٥] .

(٩٩) ــ ومما ورد في الأحاديث من أسمائه المحسن ، ففي الكامل لابن عدي عن

---

(١) صحيح الجامع الصغير : ٢/١٠٨ ورقم الحديث : ١٧٥٢

(٢) صحيح سنن الترمذي : ٣/١٧٩ ، والسنن لابن ماجة : ٢/ ١٢٧١ ، وانظر صحيح سنن ابن ماجة : حديث رقم: ٣٨٦٥

(٣) سنن الترمذي : ٥/١١٢ ، وحكم عليه الشيخ ناصر الدين الألباني في تعليقه على مشكاة المصابيح : ٢/ ٥٠٢ حديث رقم : ٤٤٨٧ بالحسن.

(٤) مشكاة المصابيح : ٢/٧٣ حديث رقم : ٢٧٦١ .

(٥) سنن الترمذي : ٤/٦٥٧ ورقم الحديث : ٢٤٩٥

سمرة بإسناد صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله تعالى محسن فأحسنوا »[1] .

وفي معجم الطبراني الكبير عن شداد بن أوس بإسناد صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إنَّ الله محسن يحب الإحسان ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتل ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح ، وليحدَّ أحدكم شفرته ، ثم ليرح ذبيحته »[2] .

(١٠٠) ــ ومن اسمائه الوتر، فقد ورد في الحديث : « لله تسعة وتسعون اسما ، من حفظها دخل الجنة، وإن الله وتر يحب الوتر »[3] .

وفي سنن الترمذي عن عليّ أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله وتر يحب الوتر ، فأوتروا ياأهْل القرآن » . وفي مسند أبي يعلى عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ الله وتر يحبُّ الوتر ، فإذا استجمرت فأوتر .

(١٠١) ــ و من أسمائه الجميل لقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « لايدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» .

قال رجل : إنَّ الرجل يحبُّ أن يكون ثوبه حسنا ، ونعله حسنا .

قال : إنَّ الله جميل يحبُّ الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس»[4].

(١٠٢ ـ ١٠٣)ــ ومن اسمائه المقدم والمؤخر احتجاجا بما رواه البخاريُّ ومسلم في صحيحهما عن أبي موسى الأشعري أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم كان يدعو بهذا الدعاء : « ربِّ اغفر لي خطاياي وعمدي وجهلي وحدّي ، وكل ذلك عندي ، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، أنت المقدم ، وأنت المؤخر ، وأنت على كل شيء قدير »[5] .

---

(١) صحيح الجامع الصغير : ٢/ ١٢٩ ورقم الحديث : ١٨١٩

(٢) صحيح الجامع الصغير : ٢/ ١٢٩ ورقم الحديث : ١٨٢٠

(٣) صحيح مسلم : ٤/ ٢٠٦٢ حديث رقم : ٢٦٧٧

(٤) صحيح مسلم ، انظر مسلم بشرح النووي : ٢/ ٨٩

(٥) صحيح البخاري : فتح الباري : ١١/ ١٩٦ كتاب الدعوات ، ومسلم رقم : ٢٧١٩ في كتاب الذكر والدعاء :

(١٠٤-١٠٩) – ومن أسمائه الرفيق والمسعر والسيد والقابض والباسط ففي سنن ابن ماجه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف»[١].

وعن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنَّ الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله»[٢]

وروى مسلم عن عائشة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله تعالى رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق مالايعطي على العنف، ومالايعطي على ما سواه»[٣]

ووردفي سنن ابن ماجة عن أنس بن مالك، قال: غلا السعر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يارسول الله، قد غلا السعر، فسعِّر لنا.

فقال: «إن الله هو المسعِّر القابضُ الباسط الرازق، إني لأرجو أن ألقى ربي، وليس أحد يطلبني بمظلمة في دم ولا مال»[٤].

(١٠٩) – ومن أسمائه السيد، ففي مسند الإمام أحمد عن عبد الله بن الشخير قال: «جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: أنت سيد قريش.

فقال: النبي صلى الله عليه وسلم: السيد الله.

فقال: أنت أفضلها فيها قولا، وأعظمها فيها طولا.

٢٠٨٧/٤، واللفظ للبخاري

(١) صحيح سنن ابن ماجة: ٢٩٩/٢ ورقم الحديث: ٢٩٧٤، وانظر مخرجيه في كتب السنة في صحيح الجامع: ١١٣/٢

(٢) صحيح سنن ابن ماجة: ٢٩٩/٢ ورقم الحديث: ٢٩٧٥

(٣) مشكاة المصابيح: ٦٢٨/٢ ورقم الحديث: ٥٠٦٨

(٤) صحيح سنن الترمذي: ٣٢/٢ ورقم الحديث: ١٠٥٩

صحيح سنن ابن ماجة: ١٤/٢ ورقم الحديث: ١٧٨٧، وعزاه في صحيح الجامع: رقم ١٨٤٢ إلى احمد في مسنده، وأبي داود، والترمذي، وابن ماجة، وابن حبان، والبيهقي في السنن، وحكم عليه بالصحة في تعليقه على المشكاة: ١٠٦/٢

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليقل أحدكم بقوله ، لا يستجره الشيطان»[1]

(١١٠) ـ ومما ثبت في الأحاديث الديان ففي صحيح البخاري : « أن الله ينادي يوم القيامة أنا الملك ، أنا الديان » .[2]

المسألة تحتاج الي مزيد من الاستقصاء والتحقيق

هذا الذي سقنا أدلته من الكتاب والسنة من أسماء الله ـ تبارك وتعالى ـ قسم كبير متفق عليه بين أهل العلم ، وبعضه موضع خلاف ، لاحتمال أن يكون ورد في النصوص على سبيل الإخبار لا على انه اسم ، مثل المسعر ، النظيف ، السيد وقد يوجد في السنة عند التتبع والاستقصاء أكثر مما أوردناه ، فالمسألة تحتاج إلى مزيد من التحقيق ، ولعلنا نقوم بذلك في طبعة قادمة بحول الله وقوته.

(١) مسند الامام احمد : ٤/٢٤

(٢) صحيح البخاري، كتاب التوحيد .وانظر مسند احمد :٣/٤٩٥

المبحث الخامس
أقسام أسماء الله وصفاته ودلالتها

المطلب الأول
أقسام الأسماء والصفات

تقسم أسماء الله ـ تبارك وتعالى ـ بحسب معانيها التي تبدو منها ، والصفات التي تضمنتها إلى أربعة أقسام :

الأول : الاسم العلم ، وهو الله ، وحريٌّ بأهل العلم أن يجعلوه قسما قائما بنفسه من بين أسمائه تبارك وتعالى ، لأنَّه متضمن لجميع معاني الأسماء الحسنى ، ولهذا تأتي الأسماء جميعها صفات له كقوله تعالى : ﴿ هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هوالرحمن الرحيم ، هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبرسبحان الله عما يشركون ، هو الله الخالق البارىءالمصور.. ﴾[1] .

الثاني : الأسماء الدالَّة على الصفات الثابتة لذات الحقّ تبارك وتعالى ، كالسميع والبصير ، والعليم والقدير والحكيم ، والرَّحمن والرحيم والودود وبعض أهل العلم يسمى هذه الصفات وأمثالها بالصفات المعنويَّة .

ويدخل في صفات الذات ما أخبرنا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم أنَّ الله يتصف به ، كإثبات اليدين والوجه والعينين والساق والأصابع والقدم لله تبارك وتعالى، وهي التي تسمّى بالصفات الخبريَّة .

---

(١) سورة الحشر : ٢٢ - ٢٤

الثالث : الأسماء الدالّة على صفات الأفعال مثل الخالق الرازق المحيي المميت ، ويدخل في صفات الأفعال كلّ ما أثبته الكتاب والسنة من أفعال الله مثل استواء الله على عرشه ، ونزوله تبارك وتعالى في ثلث الليل الآخر ، ومجيئه لمحاسبة عباده يوم القيامه ، وقبضه للسّموات بيمينه ، وقبض الأرض بيده الأخرى في يوم القيامه ، وتكليمه عباده في الدّنيا والآخرة .

والفرق بين صفات الذات وصفات الأفعال أنّ صفات الذات لازمة لله تبارك وتعالى أزلا وأبدا ، فهو لم يزل ولا يزال متصفا بها .

والفعلية هي التي تتعلق بمشيئة الله إن شاء فعلها ، وإن شاء لم يفعلها ، كالاستواء والنزول والكلام .

الرابع : الأسماء الدالّة على صفات التنزيه والتقديس السالبه عن الحقّ صفات النقص، مثل : القُدوس ، السّلام ، العليّ ، ونحوها[1] .

وقد أضاف العلاّمه ابن القيم إلى هذه الأقسام الأربعة قسمين آخرين :

الأول : الأوصاف الجامعة التي يدل كلّ واحد منها على أوصاف عديدة ، لا تختص بصفة معينة ، بل هو دال على معناه لا على معنى مفرد ، نحو المجيد العظيم الصّمد ، فإن المجيد من اتصف بصفات متعدّدة من صفات الكمال ، ولفظه يدلّ على هذا ، فإنّه موضوع للسّعة والكثرة والزيادة .

والعظيم : من اتّصف بصفات كثيرة من صفات الكمال ، وكذلك الصمد ، فهو السّيد الذي كمل في سؤدده كما قال ابن عباس ، وقال غيره : هو السّيد الذي انتهى سؤدده ، وقال ابن الأنباريّ : لا خلاف بين أهل اللغة أنّ الصّمد السّيد الذي ليس فوقه أحد ، الذي يصمد إليه النّاس في حوائجهم وأمورهم .

والثاني : صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر ، وذلك قدر زائد على مفرديهما ، نحو الغنيّ الحميد ، العفوّ القدير ، الحميد المجيد . وهكذا عامة

---

(١) راجع سبل السلام : ١٤٨/٤ ،وبدائع الفوائد : ١/ ١٦٠

الصفات المقترنة والأسماء المزدوجة في القرآن ، فإنّ الغنى صفة كمال ، والحمد كذلك ، واجتماع الغنى مع الحمد كمال آخر ، فله ثناء من غناه ، وثناء من حمده ، وثناء من اجتماعهما ، وكذلك العفو القدير ، والحميد المجيد ، والعزيز الحكيم[1] .

وقد نحا الحليمي فيما نقله عنه ابن حجر العسقلاني منحى آخر في تقسيمه لأسماء الله تبارك وتعالى ، فقد قسَّمها إلى خمسة أقسام كل قسم منها ينحو إلى جانب من جوانب الاعتقاد :

القسم الأول : الذي ينحو إلى تقرير إثبات الباري ردًّا على الجاحدين المعطّلين ، ويندرج تحت هذا القسم اسم الحي الباقي الوارث وما في معناها .

الثاني : الأسماء التي تقرّر توحيده ردا على من أشرك به في عبادته غيره ، مثل الكافي والعليّ والقديرونحوها .

الثالث : الأسماء التي تقرّر تنزيهه ـ تبارك وتعالى ـ ردًّا على المشبهة ، مثل القدّوس والمجيد والمحيط ونحوها .

الرابع : الأسماء التي تدلُّ على أنَّ كلَّ موجود فإنَّه من خلقه واختراعه ، ردًّا على القائلين بالعلّة ، والمعلول كالخالق والبارىء والمصوّر والقويّ ونحوها .

الخامس : الأسماء التي تقرّر أنّه مدبّر لما اخترع ومصرّفه على ماشاء ، وهو القيُّوم والعليم والحكيم ونحوها[2] .

وقسَّم علماء الكلام الصفات الواجبة في حقِّ الله ـ تبارك وتعالى ـ إلى أربعة أقسام:

القسم الأول : الصفات النفسيَّة ، وهي صفة واحدة هي الوجود .

القسم الثاني : صفات المعاني ، وهم لا يثبتون منها إلا سبع صفات ، وينكرون ما عداها ، وهي : القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام .

---

(١) راجع بدائع الفوائد : ١/ ١٦٠

(٢) فتح الباري : ١١/ ٢٢٣

وضابط صفات المعاني عندهم أنّها الصفات التي تدل على معنى وجوديّ قائم بذات الله تعالى .

القسم الثالث : الصفات المعنويّة ، وهي سبع صفات ، وهي ملازمة للسبع المذكورة في القسم السابق ، وهي كونه مريدا قادرا عالما حيًا سميعا بصيرا متكلما ، وهي عندهم في كيفية اتصافه بهذه الصفات .

والذين ذكروها من علماء الكلام ذكروها بناء على ثبوت ما يسمّونه بالحال المعنويّة التي يزعمون أنّها واسطة ثبوتيّة ، لا معدومة ولا موجودة ، والصحيح أنّ هذا الذي ذكروه خرافة وخيال ، فالعقل الصحيح لا يجعل بين الشيء ونقيضه واسطة ألبتّة ، فكلّ ما ليس بموجود فهو معدوم قطعا ، وكلّ ما ليس بمعدوم فهو موجود قطعا ، ولا واسطة ألبتّة .

القسم الرابع : الصفات السلبيّة ، وهي عندهم خمس : القدم ، والبقاء ، والمخالفة للخلق ، والوحدانية ، والغنى المطلق ، الذي يسمونه القيام بالنفس الذي يعنون به الاستغناء عن الحيّز والمحلّ[1] .

هذه هي الصفات الواجبه في حقّه ـ تبارك وتعالى ـ عند علماء الكلام . ويستحيل في حقّه ـ تبارك وتعالى ـ عشرون صفة ، وهي أضداد الصفات الواجبة في حقه ، والجائز في حقه عندهم كلّ ممكن وتركه .

المطلب الثاني
دلالة أسماء الله تعالى على ذاته وصفاته

أسماء الله الحسنى تدلّ على ذات الله بالمطابقة ، وعلى الصفات المشتقة منها بالتضمن ، وعلى غيرها من الصفات بالالتزام .

فاسمه الرحمن الرحيم يدلّ على ذات المسمّى وهو الله ـ عزّ وجلّ ـ مطابقة ،

---

(١) انظر ام البارهين في العقائد : ص ٣ من كتاب مجموع مهمات المتون .

وعلى الصفات المشتقة منها وهي الرحمة تضمنا ، وعلى غيرها من الصفات التي لم تشتق منها كالحياة والقدرة والعلم التزاما ، وهكذا باقي أسمائه .

وهذا بخلاف أسماء المخلوقين ، فقد يسمّى المرء قديرا وهو عاجز، وأمينا وهو خائن ، وعزيزا وهو ذليل ، وسعيدا وهو شقي .

المطلب الثالث
أسماء الله الحسنى أعلام مترادفة وأوصاف متباينة

أسماء الله الحسنى أعلام وأوصاف ، فهي أعلام يدلّ كلّ واحد منها على الواحد الأحد ، ينادى به ويناجى ويستغاث ، وهي من هذه الحيثيّة مترادفة ، لأنّها أعلام لذات الله تبارك وتعالى ، وكُل اسم من أسمائه فإنّه دال على ذاته .

وهي أوصاف يدلّ كلّ واحد منها على صفة من صفات الربّ ـ تبارك وتعالى ـ اللائقة بكماله وجلاله ، وهي من هذه الحيثية متباينة ، فالرحمن الرحيم من حيث دلالتهما على الرحمة مباينان لاسم القدير الدالّ على القدرة ، واسم السّميع الدالّ على السّمع ، واسم البصير الدال على البصر، وقد يشترك أكثر من اسم من أسماء الله ـ تبارك وتعالى ـ في الدّلالة على صفة واحدة ، مثل الرحمن الرحيم ، فإنهما دالان على الرحمة ، ومثل القادر والقدير والمقتدر فإنها دالّة على قدرة الله .

والوصف بأسماء الله ـ تبارك وتعالى ـ لاينافي علميّتها بخلاف أوصاف العباد ، فإنّ الوصف بها ينافي علميّتها لأمرين :

الأول : أنّ أوصافهم مشتركة ، واشتراكها يمنع من العلميّة المختصة ، بخلاف صفاته تبارك وتعالى .

والثاني : أنّ العبد قد يسمّى بالأمين والقوي والمؤمن ، ولا يكون متصفا بمادلّ عليه الاسم من صفة .

العطف بين أسماء الله

أكثر ما ترد أسماء الله في كتاب الله من غير عطف فيما بينها كقوله تعالى : ﴿هو الله الذي لاإله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر﴾[١] . وقوله : ﴿ الله لا إله إلا هو الحيُّ القيوم ﴾ [٢] . وقد جاء العطف في قوله تعالى : ﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن ﴾ [٣] . وفي بعض الصفات الواردة بالاسم الموصول كقوله : ﴿ الذي خلق فسوى ، والذي قدر فهدى ﴾ [٤] .

أما ترك العطف فلأنَّه الأصل ، لأنَّ الشيء لا يعطف على نفسه ، وأسماء ـ الله تبارك ـ وتعالى أعلام على ذاته المقدَّسه .

وأما العطف فلاعتبارات منها : أن ينظر إلى الأوصاف التي تضمنتها الصفات ، والأسماء بهذا الاعتبار متباينة .

ومنها : عدم التناسب بين الصفات التي تضمنتها الأسماء المعطوفة ، كالأول ، والآخر، والظاهر ، والباطن .

وإن أردت التَّوسع في دراسة هذا الموضوع فارجع إلى « بدائع الفوائد » لابن القيم[٥] .

---

(١) سورة الحشر : ٢٣

(٢) سورة البقرة : ٢٥٥

(٣) سورة الحديد : ٣

(٤) سورة الأعلى : ٢ـ٣

(٥) بدائع الفوائد : ١٨٩/١

المطلب الرابع
أسماؤه تبارك وتعالى متفاضلة

أسماء الله كلُّها حسنى ، وصفاته كامله عليا ، وأسماؤه ـ تبارك وتعالى ـ متضمِّنة لصفاته ، وبعض أسماء الله أفضل من بعض ، وبعض صفاته أفضل من بعض.

وقد صحَّ في الحديث أنَّ للّه اسما أعظم إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى ، وصحَّ أيضا أنَّ الله كتب في كتاب موضوع عنده فوق العرش أنَّ رحمته تغلب غضبه ، وفي رواية تسبق غضبه .

وقد لاحظ ابن تيميه أنَّ الصِّفة الواحدة قد تتفاضل ، فرضى الله عن النَّبيين أعظم من رضاه عن غيرهم ، ورحمته لهم أكمل من رحمته لغيرهم ، وتكليم الله لبعض عباده أكمل من تكليمه لبعض ، وكذلك سائر هذا الباب[1]

اسم الله الأعظم

ومما يدلُّ على تفاضل أسمائه تبارك وتعالى أنَّ له ـ تبارك وتعالى ـ من أسمائه الكثيرة الطيبة اسما هو أعظمها وأجلُّها ، وقد صحَّت بذلك نصوص كثيرة منها :

١- روى الترمذيُّ وأبوداود وابن حبَّان والحاكم بإسناد صحيح عن بريدة الأسلمي أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يدعو وهو يقول : « اللهمَّ إنِّي أسألك بأنِّي أشهد أنَّك أنت الله ، لا إله إلا أنت الأحد الصَّمد الذي لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد .

فقال : والذي نفسي بيده لقد سأل اللّه باسمه الأعظم ، الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى » .

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ٢١٢/١٧

وروى الترمذيّ والنسائيّ وأبوداود وابن حبّان والحاكم بإسناد صحيح من حديث أنس أنّه كان مع النبيّ صلى الله عليه وسلم جالسا ، ورجل يصلي ، ثم دعا : « اللهمّ إنّي أسألك بأنّ لك الحمد ، لاإله إلا أنت ، المنّان ، بديع السموات والأرض ، ياذا الجلال والإكرام ، ياحيّ ياقيوم .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب ، وإذا سئل به أعطى » .

٣- وفي سنن ابن ماجة ومستدرك الحاكم ومعجم الطبرانيّ الكبير بإسناد صحيح عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في ثلاث سور من القرآن : في البقرة ، وآل عمران ، وطه » .

٤- وقد ورد تحديد آيتي البقرة وآل عمران اللتين ورد فيهما اسم الله الأعظم ، فقد روى الترمذيّ وأبو داود وابن ماجة والدارمي بإسناد صحيح عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها ، أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : « اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين : ﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ﴾ [(١)] . وفاتحة آل عمران : ﴿ الم ، الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ [(٢)(٣)] .

وقد أنكر بعض أهل العلم تفضيل بعض الأسماء على بعض ، منهم أبوجعفر الطبري وأبوالحسن الأشعري وأبوحاتم ابن حبّان والقاضي أبوبكر الباقلاني ، ونسبه بعض أهل العلم إلى الإمام مالك رحمه الله تعالى .

وحجّة هؤلاء أنّ هذا التفضيل قد يجعل السامع يظن أنّ المفضول ناقص عن الأفضل[(٤)] ، ولا يجوز أن يلتفت إلى مثل هذا القول بعد أن صحّت الأحايث عن

---

(١) سورة البقرة : ١٦٣

(٢) سورة آل عمران : ١-٢

(٣) انظر هذه الأحاديث في مشكاة المصابيح : ٧٠٤/١ ، وصحيح الجامع : ٣٢٩/١ ،والوابل الطيب : ص ١٦١ ، وانظر جامع الأصول : ١٦٩/٤ .

(٤) فتح الباري : ٢٢٤/١١

الرسول صلى الله عليه وسلم بإثبات الاسم الأعظم لله تبارك وتعالى ، وهذا المحذور الذي نفوا لأجله التفاضل في أسماء الله ـ تبارك وتعالى ـ يزول بالبيان من أهل العلم لمن عرضت له مثل هذه الشبهة ، لابنفي الحقيقة التي جاءت بها النصوص ، وفي ظنّي أنّ عوام المسلمين لا يعرض لهم مثل هذا العارض ، فضلا عن علماء المسلمين ، لأنّ المسلم البصير بدينه إذا سمع أسماء الله وصفاته فإنه لايخطر بباله إلا الكمال والتعظيم ، ولا يخطر في نفسه النقص والقصور بحال .

ويرى الذين رفضوا القول بالتفاضل في أسمائه أنّ الأعظمية الواردة في الأحاديث هي لجميع أسمائه تبارك وتعالي ، أي أنّ كلّ اسم من اسمائه يستحقّ هذا الوصف ، وهذا بعيد ، لأنّ النصوص تدلّ على أنّ أسماءه كلّها عظمى ، وأن واحدا اختص من بينها بالأعظمية .

وقال بعضهم : إنّ المراد بالأعظمية هو الثواب العظيم الذي يناله الداعي بالاسم الذي يدعو به .

وقال آخرون : المراد بالأعظمية هو الاستغراق في الدّعاء بحيث لا يكون الداعي في فكره حالة الدعاء غير الباري تبارك وتعالى ، فالدّاعي على هذه الحال يستجاب له ، ويعطى سؤله[1] .

والذين ذهبوا إلى أن لله اسما بعينه هو أعظم أسمائه ، وهم جمهور أهل العلم اختلفوا ، فقال بعضهم : استأثر الله بعلم هذا الاسم ، ولم يطلع عليه أحدا من خلقه.

وينفي هذا القول أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر في أكثر من حديث أنّه محصور في عدة أسماءٍ دعا بها واحد من أصحابه ، أو تضمنها بعض نصوص الكتاب .

والذين قالوا هو معلوم معروف اختلفوا ، فقال بعضهم : هو الله ، أو الرحمن ،و من جعل الاسم الأعظم مكونا من عدة أسماء قال بعضهم هو : الله الرحمن الرحيم،

---

(١) فتح الباري : ١١/ ٢٢٤

وقال آخرون : هو الحيّ القيوم ، وقال فريق ثالث : هو الحنّان المنّان بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام الحيّ القيوم .

وقيل هو : ذو الجلال والإكرام . وقيل : الله لا إله إلا هو الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد . وقيل أقوال أخرى[1] .

والذي رجّحه شيخ الإسلام أنّ اسم الله الأعظم هو : الحيّ ، فالحيّ مستلزم لجميع الصفات وهو أصلها ، ولهذا كان أعظم آية في كتاب الله ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ [2] ، وما من حيّ إلا وهو شاعر مريد ، فاستلزم جميع الصفات ، فلو اكتفى بالتلازم لاكتفى بالحيّ[3] .

والذي نرجّحه أنّ اسم الله الأعظم هو « الله » لأمور :

الأوّل : دلالة الأحاديث الواردة في تعيين هذا الاسم ، فعندما نظرنا في الأسماء التي وردت في الأحاديث التي أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن اسم الله الأعظم موجود فيها ، وجدنا هذا الاسم هو الاسم الوحيد الموجود فيها جميعا .

الثاني : أنّ هذا الاسم تكرر في كتاب الله عددا يفوق كثيرا أيّ اسم آخر ، فقد تكرّر في كتاب الله (٢٦٠٢) مرّة ، منها (٩٨٠) مرّة مرفوعا ، و (٥٩٢) مرّة منصوبا ، و (١١٢٥) مرّة مجرورا ، وخمس مرات بلفظ ﴿ اللهم ﴾ [4] .

بينما ورد اسم الرحمن في كتاب الله (٥٧) مرة[5] .

وورد اسم الرحيم مطلقا على الله في كتاب الله (١١٤) مرة .

وورد اسم الحي مطلقا على الربّ ـ تبارك وتعالى ـ في خمس آيات من كتاب

---

(١) انظر هذه الأقوال في فتح الباري ١١/٢٢٤

(٢) سورة البقرة : ٥٥

(٣) راجع مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ١٨/٣١١

(٤) هذا حسب إحصاء المعجم المفهرس لألفاظ القرآن.

(٥) حذفنا من إحصاء المعجم المفهرس آية ورد فيها رحيم مطلقا على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ

الله فحسب .

الثالث : أنَّ هذا الاسم أكبر أسماء الله وأجمعها ، وكلُّ الأسماء ترجع إليه ، ويضاف إلى تفسيره كلُّ معنى ، وحقيقة اسم الله : المنفرد في ذاته وصفاته وأفعاله عن نظير ، وهذه هي حقيقة الألوهية ، ومن كان كذلك فهو الله[1] .

الرابع : أنَّ هذا الاسم لم يطلق على غير الله تبارك وتعالى بحال ، ولا يتجرأ أحد على ادعائه إلا ما كان من قادة الضلال الكبار أمثال فرعون الذين هم أرذل الناس وأضلهم[2] .

يقول الشيخ أحمد الشرباصي : « الله هو الاسم الذي تفرد به الحقُّ سبحانه ، وخص به نفسه ، وجعله أول أسمائه ، وأضافها كلَّها إليه ، ولم يضفه إلى اسم منها ، فكلُّ ما يرد بعده يكون نعتا له وصفة .

وهو اسم يدلُّ دلالة الْعَلَمَ على الإله الحقّ ، وهو يدلُّ عليه دلالة جامعة لجميع الأسماء الحسنى الإلهية الأحدية .

ويقال : الأسماء الحسنى من أسماء الله ، ولا يقال : الأسماء الحسنى من أسماء الرحيم أو الغفور »[3] .

المطلب الخامس
الحقيقة والمجاز في أسماء الباري تبارك وتعالى

ذهب أهل السنة و الجماعة إلى أن الأسماء التي تطلق على الله وعلى العباد كالحيِّ والسميع والبصير والعليم ، والقدير والملك حقيقة في الرب تبارك وتعالى ، وحقيقة في العبد .

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي : ٢/٧٩٨

(٢) فتح الباري : ١١/٢٢٥

(٣) موسوعة الأسماء الحسنى : ١/١٥

واختلاف الحقيقتين لا يخرجهما عن كون كل واحد حقيقة ، فحياة الرب وقدرته وسمعه وبصره يليق بجلاله وكماله وصفاته ، وصفات العبد تليق بعجزه ونقصه.

المطلب السادس
علاقة صفات الله بذاته

خاض علماء الكلام بعقولهم المجردة في مباحث دقيقة في صفات الله جعلتهم يؤصلون أصولا ، ويقعدون قواعد تخالف الحقّ الذي أنزله تبارك وتعالى .

فأهل السنة والجماعة لا يقولون : إن صفات الله هي عين ذات الله ، ولا هي غيره ، ذلك أن جزء الشيء اللازم وصفته اللازمة ليست غيره ، ولا يقال أيضا هذه الصفات هي عين الذات .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية فيما نقله عنه السفاريني ملخّصا له : « الذي عليه سلف الأمّة وأئمتها إذا قيل لهم : علم الله وكلام الله هل هو غير الله أم لا ؟ لم يطلقوا النفي ولا الإثبات ، فإنّه إذا قيل : هو غيره أوهم أنّه مباين له ، وإذا قيل : ليس غيره أوهم أنّه هو .

ويرى شيخ الإسلام أن المسؤول هنا يستفصل ، فإن أراد بقوله : « غيره » أنه مباين له ، منفصل عنه ، فصفات الموصوف لا تكون مباينة له ، منفصلة عنه ، وإن كان الموصوف مخلوقا ، فكيف بصفات الخالق ؟

وإن أراد « بغيرها » أنّها ليست هي هو ، فليست الصفة هي الموصوف ، فهي غيره بهذا الاعتبار ، واسم الرب إذا أطلق يتناول الذات المقدسة بما تستحقه من صفات الكمال ، فيمتنع وجود الذات عريّة عن الصفات .

فاسم الله ـ عز وجل ـ يتناول الذات الموصوفة بصفات الكمال ، وهذه الصفات ليست زائدة على المسمّى ، بل هي داخلة في المسمى . ولكنّها زائدة على

الذات المجردة التي يثبتها نفاة الصفات[1] .

والفلاسفة يرون أنّ صفات الباري ليست معاني قائمة بذات اللّه ، بل هي ذاته ، فليس عندهم لله صفات زائدة على الذات كالعلم والقدرة والإرادة ، بل علمه وقدرته وإرادته هي ذاته ، وقد أدّى بهم هذا إلى نفي الصفات نفيا تاما .

والمعتزلة وإن زعموا أنّ لله صفات يتصف بها ، ولكنّهم لم يتعدوا عن مذهب الفلاسفة عندما قرّروا أنّ الصفات عين الذات ، فقالوا : إنّ الله عالم بذاته ، سميع بذاته ، قدير بذاته ، ولم يثبتوا صفات زائدة على الذات .

وقد زعموا أنّ إثبات الصفات يلزم منه أحد أمرين :

الأول : أن تكون الصفات حادثه ، فيلزم من ذلك قيام الحوادث بذاته ، وخلوه - تبارك وتعالى - في الأزل عن العلم والقدرة والإرادة والحياة ، وهذا باطل بالاتفاق.

الثاني : أن تكون الصفات قديمة ، فيلزم من ذلك تعدد القدماء ، وهو كفر بإجماع المسلمين .

والجواب عن شبهتهم : أن المحظور هو تعدُّد القدماء المغايرة ، ونحن نمنع تغاير الذات مع الصفات ، والصفات بعضها مع بعض ، فينتفي التعدد ، ولئن سلّم ما زعموا من تعدد القدماء ، فالممتنع تعدد القدماء إذا كانت ذواتا مستقلة ، لا تعدد ذات وصفاتها.

والقول الحقّ أن ذات الله أزلية وصفاته أزلية كذلك .

(١) عقيدة السفاريني : ١/٢١٨

الفصل الثاني
عقيدة أهل الحق في أسماء الله وصفاته

اختلفت الأمة الإسلامية كما اختلفت الأمم من قبلها في أسماء الله وصفاته ، وقد هدى الله من اصطفاهم واختارهم إلى الحق الذي اختلف فيه ، وسنحاول أن نعرّف بأهل الحقّ الذين عرفوا الحقّ واتبعوه ، ثم نبين الأسس التي قام عليها معتقدهم في هذا الباب .

المبحث الأوّل
التعريف بأهل الحق أهل السنة والجماعة

أهل الحق من هذه الأمة وجميع الأمم هم الذين هداهم الله إلى صراطه المستقيم ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ [1] ، والذين أنعم الله عليهم هم الذين قال الله فيهم ﴿ و من يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ﴾ [2] .

وهم في هذه الأمّة الذين فقهوا دين الله ، واستقاموا عليه ، وقد اصطلح على

---

(١) سورة الفاتحة : ٦-٧

(٢) سورة النساء : ٦٩

تسميتهم بأهل السّنة والجماعة ، ويسمّون أيضا بالسلف الصالح .

أمّا إنّهم أهل السنة فلأنهم أتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ، الذين فقهوا عنه العلم الذي جاءهم به ، وتابعوه عليه .

وأمّا إنهم أهل الجماعة ، فلاجتماعهم على الحقّ الذي جاءهم من عند الله ، وهم في ذلك يتسمّون بما أمرهم الله به وأمرهم به رسوله صلى الله عليه وسلم من اتّباع نبيهم الكريم ، والاجتماع على الحقّ وترك الفرقة والاختلاف .

ولما كان الصحابة الكرام من المهاجرين والأنصار هم خير من مثل الإسلام فقها وعملا ، أصبح مسارهم الطريق الذي يقتدى به ، وينسج على منواله ، فهم السلف الصالح الذين عاصروا التنزيل ، وتربوا على يدي معلم البشرية محمد صلى الله عليه وسلم ، وهم أعلم هذه الأمة بالله وكتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وهم الذين شهد لهم ربّهم ـ تبارك وتعالى ـ بالخيريّة والأفضليّة على من بعدهم ، وتوفّي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راض عنهم .

وقد أصبح المنهج الذي سلكوه وساروا عليه وتمثلوه عَلَمًا على المنهج القويم الذي يجب أن يستقيم عليه من جاء بعدهم ، وقد سمّي بمذهب السلف الصالح ، وكلّ من سلك هذا المسلك فهو على مذهب السلف الصالح .

يقول ابن بدران معرفا بأهل الحق و مذهبهم : « الفرقة الناجية هي فرقة واحدة ، وهي ما كان على نهج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه الكرام والتابعين لهم بإحسان ، من إمرار آيات الصفات وأحاديثها على ما جاءت من غير تشبيه ولاتمثيل ولا تأويل ولا تعطيل... وإلى هذا أشار الإمام أبو محمد بن حزم في كتابه«الفصل» حيث قال :«وأهل السنة هم أهل الحق ، ومن عداهم فأهل البدعة ، فإنهم الصحابة رضي الله عنهم ، وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين رحمة الله عليهم ، ثمّ أصحاب الحديث ومن تبعهم من الفقهاء جيلا فجيلا إلى يومنا هذا ، ومن اقتدي بهم من العوام في شرق الأرض ومغربها»

ويقول السفّاريني ـ رحمه الله تعالى ـ مبينا المراد بمذهب السلف الصالح : «مذهب السلف ماكان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، وأعيان التابعين لهم بإحسان، وأتباعهم ، وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة ، وعرف عظيم شأنه في الدين، وتلقى الناس كلامهم خلف عن سلف ، دون من رمي ببدعة أو شهر بلقب غير مرضيّ ، مثل : الخوارج ، والروافض ، والقدريّة ، والمرجئة ، والجبرية ، والجهمية ، والمعتزلة ، والكرامية »[1] فإذا كان السلف الصالح هم الصحابة رضوان الله عليهم، فإنّ من جاؤوا بعدهم ، سائرين على دربهم ، حاملين منهجهم يحق لهم أن يتسمّوا بأصحاب المنهج السّلفي ، لاشتراكهم معهم في المنهج والسبيل .

وقد ورث علم السلف الصالح أئمة أعلام ، عرف الناس لهم فضلهم ، وأقروا لهم بالإمامة ، وأصبح مذهبهم ممثلا لمذاهب أهل العلم من قبلهم .

وقد ذكر شيخ الحرمين أبوالحسن محمد بن عبد الملك الكرجى وكان من أئمة الشافعية في كتابه الذي سمّاه : « الفصول في الأصول عن الأئمة الفحول إلزاما لذوي البدع والفضول » الأئمة وارثي علم السلف ، وهم الشافعي ، ومالك ، والثوريّ وأحمد بن حنبل والبخاريّ ـ صاحب الصحيح ـ وسفيان بن عيينه ، وعبدالله بن المبارك ، والأوزاعيّ ، والليث بن سعد ، وإسحاق بن راهويه ، ونقل عنهم اعتقادهم .

وأئمة السلف أكثر من هذا بكثير ، ولكنّه اقتصر على الأئمة الذين كانوا قدوة في عصرهم ، ولأنهم أرباب المذاهب في الجملة ، ولهم أهليّة الاقتداء بهم لحيازتهم شروط الإمامة ، وليس من سواهم في درجتهم ، وإن كانوا أئمة كبراء قد ساروا بسيرهم[2] .

وقد ذكر اللالكائيّ في شرحه لأصول اعتقاد أهل السنّة جمعا كبيرا من الأعلام

---

(١) لوامع الأنوار البهية : ١/ ٢١

(٢) راجع هذه الأقوال فى مجموع فتاوي شيخ الإسلام : ٤/ ١٧٥ – ١٧٩

الذين ساروا على منهج السّلف[1] .

وأبرز من استوعب منهج السلف وناضل عنه الإمام أحمد بن حنبل الذي حفظ الله به الدين في فتنة القول بخلق القرآن ، ولذا أصبحت متابعته على فقهه ممثّلة المنهج المرتضى المختار .

يقول أبوالحسن الأشعري : « وندين بحبِّ السلَف الذين اختارهم الله لصحبة نبيه عليه السلام ، ونثني عليهم ونتولاهم »[2] .

ويقول : « قولنا الذي نقول به ، وديانتنا التي ندين بها : التمسك بكتاب ربنا ـ عز وجل ـ وسنّة نبينا عليه السّلام ، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ، ونحن بذلك معتصمون ، وبما كان يقول به أبو عبدالله أحمد بن حنبل ـ نضّر الله وجهه ، ورفع درجته ، وأجزل مثوبته ـ قائلون ، ولما خالف قوله مخالفون ، لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل ، الذي أبان الله به الحقّ ، ورفع به الضلال ، وأوضح به المنهاج ، وقمع به بدع المبتدعين ، وزيف الزائفين ، وشكّ الشاكّين ، فرحمة الله عليه من إمام مقدَّم ، وخليل مفخم معظَّم »[3] .

ويقول السّفاريني ـ رحمه الله تعالى ـ بعد أن عرّف مذهب السلف الذي نقلناه عنه في أوّل هذا المبحث مبينا السبب الذي من أجله نسب مذهب السلف إلى الإمام أحمد رحمه الله تعالى : « لما كان فشوٌّ البدع وظهورها بعد المائتين لما عرّبت الكتب العجمية ، وزاد البلاء ، وأظهر المأمون القول بخلق القرآن ، وظهر مذهب الاعتزال ظهورا لامزيد عليه بسبب انحراف الخلفاء عن مذهب الحقّ ، وكان الذي قام في نحورهم وردّ مقالتهم وإبطال مذهبهم وتزييفه ، وذمّ من ذهب إليه ، أو عوّل عليه ، أو انتمى إلى ذويه ، أو ناضل عنه ، أو مال إليه ـ الإمام المبجّل والحبر البحر المفضّل أبو عبد الله الإمام أحمد بن محمد بن حنبل نسب مذهب السلف إليه ، وعوّل أهل

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة : ١/٢٩-٤٩ .

(٢) الإبانة : ص ١١

(٣) الإبانة : ص ٩

عصره من أهل الحقَ فمن بعدهم عليه .

وإلا فهو المذهب المأثور ، والحقُّ الثابت المشهور لسائر أئمة الدين وأعيان الأمة المتقدمين »[1] .

المبحث الثاني
الأسس التي تقوم عليها عقيدة أهل السنّة والجماعة في أسماء الله وصفاته

مقالة السلف الصالح تقوم على عدّة أسس وأصول كلُّها دلَّ عليها القرآن الكريم ، ومن نظر في هذه الأسس في هذا الباب اطمأن قلبه إلى أنَّ هذا المذهب هو الحقُّ الذي يجب أن يعض عليه بالنواجذ ، ويترك ما سواه .

الأساس الأول :إثبات ما أثبته الله ورسوله

السلف يثبتون لله ما أثبته الله لنفسه من صفات أو أثبته له رسوله ، وينفون عنه ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسوله .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : « الأصل في باب الصفات أن يوصف بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسله نفيا وإثباتا ، فيثبت له ماأثبته لنفسه ، وينفى عنه ما نفاه عن نفسه »[2] .

ويقول أبو إسماعيل عبد الرحمن بن إسماعيل الأنصاريُّ : « أصحاب الحديث يعرفون ربهم ــ عز وجل ـ بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله ، أو شهد له بها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما وردت الأخبار به ، ونقلته العدول الثقات عنه ، ويثبتون له جلَّ جلاله منها ما أثبته لنفسه في كتابه ، وعلى لسان رسول الله

---

(١) لوامع الأنوار البهية : ١/ ٢١

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ٣/٣

صلى الله عليه وسلم »[1] .

وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : « آمنت بما جاء عن الله ، وبما جاء عن رسوله الله على مراد رسول صلى الله عليه وسلم »[2] .

وقال الشافعيُّ أيضا ناصًا على هذا الأصل : « للّه أسماء وصفات جاء بها كتابه ، وأخبر بها نبيُّه أمَّته ، لا يسع أحد من خلق الله قامت عليه الحجة ردها ، إلى أن قال : نحو إخبار الله سبحانه إيانا أنه سميع بصير ، وأنَّ له يدين لقوله : ﴿ بل يداه مبسوطتان ﴾[3] . وأن له يمينا لقوله : ﴿ والسموات مطويات بيمينه ﴾[4] . وأن له وجها لقوله : ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾[5] . وقوله : ﴿ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾[6] . وأن له قدما لقوله صلى الله عليه وسلم : « حتى يضع الرب فيها قدمه » . « يعني جهنم »[7] .

وقال شيخ الحرمين أبوالحسن محمد بن عبد الملك الكرجي في كتابه الذي سمّاه « الفصول في الأصول عن الأئمة الفحول إلزاما لذوي البدع والفضول » الذي ذكر فيه أقوال علماء السلف في أسماء الله وصفاته ملخصا ما قاله الأئمة في هذا الأصل: « نعتقد أنَّ لله أسماء وصفات قديمه غير مخلوقة ، جاء بها كتابه ، وأخبربها الرسول وأصحابه ، فيما رواه الثقات وصححه النقاد الأثبات ، ودلَّ القرآن المبين ، والحديث الصحيح المبين على ثبوتها .

وهي أنَّ الله تعالى أوَّل لم يزل ، وآخر لا يزال ، أحد قديم ، وصمد كريم ، عليم حليم علي عظيم ، رفيع مجيد ، وله بطش شديد ، وهو يبدئ ويعيد ، فعَّال لما يريد ،

(١) عقيدة السلف واصحاب الحديث للصابونى : ص ٣

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ٢/٣

(٣) سورة المائدة : ٦٤

(٤) سورة الزمر : ٦٧

(٥) سورة القصص : ٨٨

(٦) سورةالرحمن : ٢٧

(٧) مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ١٨٢/٤

قويّ قدير ، منيع نصير ، ﴿ ليس كمثله شيء وهوالسميع البصير ﴾ [1] إلى سائر أسمائه وصفاته من النفس ، والوجه ، والعين ، والقدم ، واليدين ، والعلم ، والنظر ، والسمع ، والبصر ، والإرادة والمشيئة ، والرضى والغضب ، والمحبّة ، والضحك ، والعجب ، والاستحياء ، والغيرة والكراهة ، والسخط ، والقبض والبسط ، والقرب والدنو ، والفوقية والعلو ، والكلام والسلام ، والقول والنداء ، والتجلي واللقاء ، والنزول والصعود والاستواء ، وأنه تعالى في السماء ، وأنه على عرشه بائن من خلقه» [2] .

ويدلُّ على صحة هذا الأصل أمور :

الأول : أنَّ أسماء الله وصفاته غيب لا يعرف إلا من قبل الوحي الصادق ، وقد أثنى الربُّ ـ تبارك وتعالى ـ على عباده المؤمنين الذين يؤمنون بالغيب الذي أخبربه ﴿ الم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ﴾ [3] ، كما أثنى على الذين يؤمنون بماجاءهم من عند الله ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ﴾ [4] .

الثاني : أن رد ما أثبته الله لنفسه أو الرسول لربه تكذيب لله ولرسوله ، وكيف يدّعي مدّع الإسلام والإيمان وهو يرد على الله خبره فيما أعلمنا به من أسمائه وصفاته ، فيخبر الباري ـ تبارك وتعالى ـ أنه الحي القيوم ، العليم الخبير الحكيم ، الملك القدوس السلام ، المؤمن المهيمن العزيز الجبارالمتكبر ، فيقف جاهل مغرور بين يدي العليم الخبير جبار السموات والأرض نافيا عن الله ما أثبته لنفسه ، فيقول بأنَّ الله ليس حيًا ولا قيُّوما ولا عليما ولا خبيرا .. الخ .

وكيف يدّعي مدع أنه مصدّق بما جاءه من عند الله ، وهو ينفي عن الله صفاته

---

(١) سورة الشورى : ١١

(٢) نقله عن الكرجي شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى : ٤/ ١٨١

(٣) سورة البقرة : ١-٣

(٤) سورة البقرة : ٢٨٥

التي وصف بها نفسه من العلم والسمع والبصر والرضا والمحبّة والاستواء على العرش وغيرها ؟!!

الثالث : النصوص الآمرة بالإيمان بأسماء الله وصفاته :

المطالع في آيات الكتاب يجد النصوص التي تتحدث عن أسماء الله وصفاته لا تقف عند حد الإخبار بهذه الأسماء والصفات ، ولكنها تأمر بالإيمان بها ، وتلزم به ، أفيكون مسلما من ردَّ على الله أمره ، ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ (١) .

وصدق ربّي ، فقد أصاب كثير من هؤلاء الرادّين للأسماء والصفات الفتن ، كما أصاب كثير منهم العذاب الأليم في الدنيا قبل الآخرة ، كما علم من سيرتهم وأخبارهم .

والنصوص الآمرة بالعلم بالله ، أو العلم بأسمائه وصفاته كثيرة في كتاب الله عزّوجلّ،فقدأمرنا الحقُّ ـ تبارك وتعالى ـ بأن نعلم أن ربنا عليم بكلِّ شيء ﴿ واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم ﴾ (٢) .

وأمرنا بالعلم بأنَّ الله بصير بأعمالنا ﴿ واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير﴾ (٣) .

وأمرنا بأن نعلم بأن ربنا سميع عليم ، غفور رحيم ، غني حميد ، عزيز حكيم ، ﴿واعلموا أن الله سميع عليم ﴾ (٤) ، ﴿ فاعلموا أن الله غفور رحيم ﴾ (٥) ، ﴿واعلموا أن الله غني حميد ﴾ (٦) ، ﴿ فاعلموا أن الله عزيز حكيم ﴾ (٧) .

---

(١) سورة النور : ٦٣

(٢) سورة البقرة : ٢٣١

(٣) سورة البقرة : ٢٣٣

(٤) سورة البقرة : ٢٤٤

(٥) سورة المائدة ٣٤

(٦) سورة البقرة ٢٦٧

والله يصرف الآيات في خلقه ، ويظهر لهم بديع صنعه كي يعلموا بأنّ الله على كل شيء قدير ، وأنه مالك الملك ، ﴿ ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ، ألم تعلم أن له ملك السموات والأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ﴾ [1] .

والنصوص الدالة على وجوب التّعرف على صفات ربنا كثيرة ، والحق أن كلّ النصوص على كثرتها التي ذكر الله فيها صفاته تدلّ على وجوب التّعرُّف على الله من خلال صفاته ، فإنّ الله أمرنا بالإيمان به والعلم به ، ولا يتم إيمان عبد لم يؤمن بالصفات التي وصف بها نفسه ، أو وصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم .

وإذا لم نعلم معنى صفة من الصفات الواردة في الكتاب والسنّة ، فإنّه يجب الإيمان بها تصديقا لكتاب الله ـ تبارك وتعالى ـ وسنّة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم .

أما ما يصفه به الواصفون مما لم يرد في الكتاب والسنّة ، فيتوقف إثباته ونفيه على معرفة مراد قائله منه ، فإذا ذكر معنى صحيحا أثبتناه ، وإلا نفيناه ، وسيأتي مزيد بيان لهذا المبحث فيما يأتي إن شاء الله .

الأسماء والصفات الثابتة بالأحاديث الآحاد

الذي عليه أهل العلم إثبات ما أثبته الوحي في المسائل الاعتقادية من غير تفريق بين ما ثبت بالقرآن أو الحديث الصحيح ، ومن غير تفريق بين المتواتر والآحاد إذا كان الحديث صحيحا .

ولذا فإنّ أهل العلم يذكرون في أسمائه تبارك وتعالى : الحنّان ، والمنّان ، والشافي ، والسبّوح ، مما ورد في الأحاديث الصحيحة ، وقد خالف بعض المتأخرين من الفقهاء والأصوليين في إثبات المسائل الاعتقادية بأحاديث الآحاد .

---

(٧) سورة البقرة : ٢٠٩

(١) سورة البقرة : ١٠٦-١٠٧

والصواب صحة ذلك ، وقد حققنا هذه المسألة في كتابنا : « أصل الاعتقاد » .

الأساس الثاني :
اعتقادهم أنَّ أسماء الله كلها حسنى وصفاته كلها كاملة عليا .

فأهل السنَّة والجماعة الذين ساروا على منهج الصحابة والتابعين يعتقدون جازمين بأنَّ الصفات التي وصف الله بها نفسه ، والأسماء التي سمَّى بها نفسه لا نقص فيها بوجه من الوجوه ، وهي أحسن الأسماء وأكمل الصفات .

قال الله ـ تبارك وتعالى ـ مقررا هذه الحقيقة : ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾[1] . وقال : ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعو فله الأسماء الحسنى ﴾[2] . وقال : ﴿ الله لاإله إلا هو له الأسماء الحسنى ﴾[3] . وقال: ﴿ هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى ﴾[4] .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : « الكمال ثابت لله ، بل الثابت له هو أقصى ما يمكن من الأكملية ، بحيث لا يكون وجود كمال لا نقص فيه إلا وهو ثابت للرب ـ تبارك وتعالى ـ يستحقه بنفسه المقدسة »[5] .

ويقول ابن القيم : « صفات الله كلها صفات كمال محض ، فهو موصوف من الصفات بأكملها ، وله من الكمال أكمله . وهكذا أسماؤه الدالة على صفاته هي أحسن الأسماء وأكملها ، فليس في الأسماء أحسن منها ، ولا يقوم غيرها مقامها ، ولا يؤدي معناها »[6] .

---

(١) سورة الأعراف : ١٨٠

(٢) سورة الإسراء : ١١٠

(٣) سورة طه : ٨

(٤) سورة الحشر : ٢٤

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ٦/٧١

(٦) بدائع الفوائد : ١/١٦٨

« والحسنى جمع الأحسن ، لا جمع الحسن ، وتحت هذا سرّ نفيس ، وذلك أنّ الحسن من صفات الألفاظ ، والأحسن من صفات المعاني ، فكل لفظ له معنيان حسن وأحسن ، فالمراد الأحسن منهما ، حتى يصحّ جمعه على حسنى ، ولا يفسّر بالحسن منهما إلا الأحسن لهذا الوجه »[1] .

إذا تقرر هذا الأصل فكيف يقصد بعض المنتسبين إلى هذا الدّين إلى الأسماء التي سمّى بها نفسه ، والصفات التي امتدح بها نفسه ، فيزعمون أنه يجب أن تنفى عن الله تبارك وتعالى ، أو تؤوّل ، لأنها تستلزم التشبيه ، وأنّ كمال الباري لا يمكن أن يتحقق إلا بنفيها أو تأويلها ؟

الأدلة على اتصاف البارى جلّ وعلا بصفات الكمال

أولا : دليل الفطرة

إنّ الإقرار بكمال الله في أسمائه وصفاته أمر فطرت عليه النفوس البشرية ، ولو خلا الذين ينفون عن الله صفاته وأسماءه أو بعضا منها عن الشبهات والتخرصات التي أمرضت منهم القلوب ، وأفسدت العقول والنفوس لوجدوا أنفسهم يقرّون بصفات الكمال من غير تردد ولا شكوك ، ولكنها المبادئ الفاسدة تفسد الفطرة الإنسانية وتدسّيها ، ومن نظر في حال الذين ينفون عن الله صفاته وأسماءه يجدهم يغالبون أنفسهم وفطرتهم ويقهرونها ويجاهدون في طمس معالم الحق فيها ، فهي تدعوهم بالسليقة إلى اثبات علو الله ومحبته ورضاه وغير ذلك من صفات الكمال ، ولكنهم يدفعون الحق إعمالا لما تبنوه من نظريات فاسدة .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ في الجهمية الذين يقولون في الله الأقوال المتناقضة : « هؤلاء يُكْرِهون فطرهم وعقولهم على قبول المحال المتناقض، فيقولون : هو في العالم ، وليس هو فيه ، أو هو العالم وليس هو إياه »[2] .

---

(١) إيثار الحق : ص ١٦٦

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ٤/ ٦٠

وقال شارح الطحاوية : « أودع الله في الفطرة الإنسانية التي لم تتنجسس بالجحود والتعطيل ، ولا بالتشبيه والتمثيل ، أنه سبحانه الكامل في أسمائه وصفاته ، وأنه الموصوف بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ، وما خفي عن الخلق من كماله أعظم وأعظم مما يعرفونه منه »[1] .

وقد ردد شيخ الإسلام في مؤلفاته قصة الشيخ أبي جعفر الهمداني مع أبي المعالي الجويني في استدلال الهمداني على أبي المعالي بالفطرة على إثبات صفة العلو لله .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « ومن هذا الباب ما ذكره محمد بن طاهر المقدسي في حكايته المعروفة : أن الشيخ أبا جعفر الهمداني حضر مرة والأستاذ أبو المعالي الجويني يذكر على المنبر : « كان الله ولا عرش » ، ونفى الاستواء ، على ما عرف من قوله ، وإن كان في آخر عمره رجع عن هذه العقيدة ، ومات على دين أمة وعجائز نيسابور .

فقال الشيخ أبو جعفر : « يا أستاذ دعنا من ذكر العرش - يعني لأن ذلك إنما جاء في السمع - أخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا ، ما قال عارف قط : يا الله إلا وجد من قلبه معنى يطلب العلو ، لا يلتفت يمنه ولا يسره ، فكيف ندفع هذه الضرورة عن قلوبنا ؟

فصرخ أبو المعالي ، ووضع يده على رأسه ، وقال : حيرني الهمداني ، أو كما قال ونزل .

فهذا الشيخ تكلم بلسان جميع بني آدم ، فالإقرار بعلو الله على الخلق أمر فطري ضروري نجده في قلوبنا نحن وجميع من يدعو الله ، فكيف ندفع هذه الضرورة عن أنفسنا .

والجارية التي قال لها الرسول صلى الله عليه وسلم : « أين الله ؟ قالت : في السماء . قال أعتقها ، فإنها مؤمنة ». جارية أعجمية . أرأيت من فقهها وأخبرها بما

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية : ص ٩٥

ذكرته ؟ وإنما أخبرت عن الفطرة التي فطرها الله عليها ، وأقرها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على ذلك وشهد لها بالإيمان[1] .

ثانيا : اتصاف الإله المعبود بصفات الكمال دليل صحة ألوهيتة وربوبيته وسلبها عنه دليل بطلان الألوهية والربوبية :

الإله الربُّ المعبود لا بدَّ أن يكون كاملاً ، ونقص المعبود دليل على بطلان أُلوهيته وربوبيته ، ولهذا ذم القرآن آلهة الكفار وعابها بسلب أوصاف الكمال عنها ، فقد عابها بأنها لا تسمع ولا تبصر ولا تتكلم ولا تهدي ، ولا تنفع ولا تضر .

قال تعالى حكاية عن خليله إبراهيم في محاجته لأبيه ﴿ يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا ﴾ [2] .

وقال الخليل لقومه طاعنا في ألوهية أصنامهم : ﴿ هل يسمعونكم إذ تدعون، أو ينفعونكم أو يضرون ﴾ [3] وقال لهم بعد أن حطَّم أصنامهم : ﴿أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم ، أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون﴾[4] .

وقال الحق مبينا وجه بطلان ألوهيَّة العجل الذي عبده بنو إسرائيل : ﴿ واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ، اتخذوه وكانوا ظالمين ﴾ [5] .

فجعل الحق ـ تبارك وتعالى ـ نفي السمع وإجابة الدعاء ، وعدم النفع والضر ، وعدم الكلام والهداية دليلا على بطلان الألوهية . ومن هنا يعلم جناية نفاة الصفات الذين عَطَّلوا الربَّ ـ تبارك وتعالى ـ عن صفاته ، أو أَوَّلوا صفاته ، وزعموا أن

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام بشيء من الاختصار : ٤/ ٦١

(٢) سورة مريم : ٤٢

(٣) سورةالشعراء : ٧٢-٧٣

(٤) سورة الأنبياء : ٦٦-٦٧

(٥) سورة الأعراف : ١٤٨

التوحيد يقتضي نفي الصفات .

إن هؤلاء خالفوا أدلّة العقول الصحيحة كما خالفوا النصوص الصريحة الدالة على أنَّ الإله الحقّ المعبود لا بدّ أن يتصف بصفات الكمال والجلال ، وكلما كثرت صفات الكمال كان الحمد والتعظيم للربّ أكمل وأعظم ، ولهذا فإنّ العباد لا يستطيعون أن يحصوا الثناء على الحقّ ـ تبارك وتعالى ـ لكمال أسمائه وصفاته وكثرتها.

ثالثا : الأدلة العقلية الدالة على اتصاف الباري بصفات الكمال

أرشد القرآن عقول البشر ونبهها إلى الأدلة العقلية التي تدلها على ربها وترشدها إليه، وهي أدلة سهلة قريبة المأخذ ، تقوم على أصول صحيحة لا يخالطها باطل ، كما هو الحال في كثير من أدلة المتكلمين ، ففيها من التناقض والباطل ما يضعف الإيمان ، ويشكّك في الحق .

وقد أرشد الحق العقول إلى الدليل الذي يدلها على كماله ، وكمال أسمائه وصفاته في قوله : ﴿ للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى ﴾ [(١)] ويقول﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾[(٢)] ويقول : ﴿ ألا يعلم من خلق ﴾ [(٣)] .

ومثل السوء الذي جعله لأعدائه هو المثل المتضمن للنقائص والعيوب وسلب كمال أعدائه المشركين وأوثانهم .

والمثل الأعلى الذي يستحقه ـ الباري تبارك وتعالى ـ هو المتضمن لإثبات الكمال كلّه لله تبارك وتعالى ، ولذا فإنّ الذي يسلب عن الله صفات كماله فإنّه يجعل له مثل السوء ، وينفي عنه ما وصف به نفسه من المثل الأعلى ، وهو الكمال

---

(١) سورة النحل : ٦٠ .

(٢) سورة الروم : ٢٧

(٣) سورة الملك : ١٤

المطلق ، المتضمن للأمور الوجودية ، والمعاني الثبوتية التي كلما كانت أكثر في الموصوف وأكمل – كان بها أكمل وأعلى من غيره .

ولما كانت صفات الرب ـ سبحانه وتعالى ـ أكثر وأكمل كان له المثل الأعلى ، وكان أحق به من كل ما سواه ، بل يستحيل أن يشترك في المثل الأعلى المطلق إثنان ، لأنهما إن تكافآ من كل وجه لم يكن أحدهما أعلى من الآخر ، وإن لم يتكافآ فالموصوف به أحدهما وحده ، فيستحيل أن يكون لمن له المثل الأعلى مِثْلٌ أو نظير[1] .

هذا ما قرره شارح الطحاوية في استحقاق الباري للمثل الأعلى ، وقد دلَّ قوله تبارك وتعالى : ﴿ ولله المثل الأعلى ﴾ [2] العقول على أن الله ـ تبارك وتعالى ـ يستعمل في حقّه قياس الأولى ، وهذا يقضي بأنَّ كلَّ كمال في نفسه ثبت للمخلوق ليس فيه نقص بوجه من الوجوه فإن الخالق أولى به من المخلوق ، وكلُّ نقص تنزه عنه المخلوق ، وليس فيه كمال بوجه من الوجوه فالخالق أولى بأن يتقدس ويتنزه عنه .

فالعلم والحكمة والقدرة والقوة والسمع والبصر صفات يمدح بها العباد ، فالخالق أولى بالاتصاف بها ، والجهل والموت والعمى والصمم صفات يتنزه العباد عنها ، والباري أولى بالتنزه والتقدس عنها[3] .

وقد ورد في النصوص التصريح بأن الله تبارك وتعالى : ﴿ أرحم الراحمين﴾ [4] و ﴿ أحكم الحاكمين ﴾ [5] و ﴿ أسرع الحاسبين ﴾ [6] و ﴿أحسن الخالقين ﴾ [7] وأنه الأكبر ، والأعز ، والأعلم ، والأقوى .

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية : ١٤٤

(٢) سورة النحل : ٦٠

(٣) راجع شرح العقيدة الطحاوية : ص ١٢٢ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام : ٣/ ٣٠

(٤) سورة الأنبياء : ٨٣

(٥) سورة هود : ٤٥

(٦) سورة الأنعام : ٦٢

(٧) سورة المؤمنون : ١٤

وورد في القرآن بأنّ الرب ـ تبارك وتعالى ـ ﴿ خير الفاصلين ﴾ [1] و ﴿ خير الرازقين ﴾ [2] و﴿ خير الوارثين ﴾ [3] و ﴿خير الناصرين ﴾ [4] و ﴿خير الراحمين ﴾ [5] ، و ﴿ خيرالفاتحين ﴾ [6] ، و﴿ خير الغافرين ﴾ [7] ، ﴿ والله خير وأبقى﴾ [8] .

وكلُّ هذه النصوص تدلّ دلالة واضحة على المنهج القرآني الذي يرشد العقول إلى استعمال قياس الأولى في حقه تبارك وتعالى ، فكلّ كمال لا نقص فيه ثبت للمخلوق فالخالق أولى به . ويمكن أن يجري قياس الأولى بطريق آخر فيقال : كل كمال في المخلوق فإنّه منحة من الخالق ، فكيف يهب الكمال من لا يملكه ولا يتصف به[8] ؟ وقد قيل : فاقد الشيء لا يعطيه .

وقد سلك الفلاسفة وعلماء الكلام في استدلالهم على كمال الله بقياس التمثيل الذي يستوي فيه الأصل والفرع ، وقياس الشمول الذي تستوي أفراده ، فمثلوا الباري بغيره ، وأدخلوه هو وغيره تحت قضايا كلية تستوي أفرادها ، وهذا المنهج أدخل الخلل عليهم ، وقادهم إلى الإضطراب والشك والحيرة بسبب ضعف الأدلة التي اعتمدوها ، بخلاف المنهج القرآني الذي دلَّ على أن الباري يستعمل في حقّه قياس الأولى على النحو الذي بينّاه .

---

(١) سورة الأنعام : ٥٧

(٢) سورة المائدة : ١١٤

(٣) سورة الأنبياء : ٨٩

(٤) سورة الأنعام : ١٥٠

(٥) سورة المؤمنون : ١٠٩

(٦) سورة الأعراف : ٨٩

(٧) سورة الأعراف : ١٥٥

(٨) سورة طه : ٧٣

(٩) راجع شرح العقيدة الطحاوية : ص ١٢٢ . ومجموع فتاوى شيخ الإسلام : ٣/ ٣٠

تفسير أهل العلم للمثل الأعلى

الذي يتأمل في عبارات أهل العلم في تفسيرهم للمثل الأعلى الوارد في النص يجدها تدور على أربعة معاني :

الأول : ثبوت الصفات العليا لله ربّ العالمين ، التي هي الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بحال من الأحوال ، وهذا لا يتوقف على علم العباد بها ، فالكمال المطلق كلّه للّه، عَلِمه العباد أم جهلوه .

الثاني : المثل الأعلى هو ما في قلوب الذين يعبدون الله ويذكرونه من تعظيم الله وتقديسه ، ومحبته وخشيته والخوف منه ورجائه والاعتماد عليه والتوكل عليه ، وهو الذي في قلوبهم تجاه ربهّم ، لا يشْركه في ذلك غيره أصلا ، ولاينافي هذا ما في قلوب بعض خلقه من الشرك والكفر ، فإنّ هؤلاء يغالبون الفطرة ويدنسونها ، وعندما ينزاح الركام عن الفطرة يتبين ما في جوهر الإنسان من تعظيم الله وتمجيده وتقديسه ، وأنّ المكانة التي للربّ في قلب العبد لا تدانيها مكانة أحد .

الثالث : المثل الأعلى هو إثبات صفات الكمال للواحد الأحد ، وتنزيهها من العيوب والنقائص والتمثيل .

الرابع : المثل الأعلى عبادة الربّ ـ تبارك وتعالى ـ بواسطة العلم والمعرفة القائمة في نفوس عابديه وذاكريه ، ومن هذه العبادات القلبية مثل الإخلاص والتوكل ومحبة الله والإنابة إليه[1] .

من كمال أسماء الله وصفاته كونه ـ تبارك وتعالى ـ متصفا بها أزلا وأبدا .

ولا يجوز أن يتصور العبد أنّ الله وُصِفَ بصفةٍ بعد أن لم يكن متصفا بها ، أو أنّ بعض صفاته تزول عنه ، لأنّ إتصاف الباري بصفاته كمالٌ ، وفَقدها نقص ، والله لا

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية بتصرف : ص ١٤٤

يمكن أن يحصل له الكمال بعد اتصافه بالنقص ، كما لا يجوز أن يتصف بالكمال ثم يزول عنه .

يقول الطحاوي مقررا هذا المعنى : « ما زال بصفاته قديما قبل خلقه ، لم يزدد بكونهم شيئا لم يكن قبلهم من صفته ، وكما كان بصفاته أزليا ، كذلك لا يزال عليها أبديا ».

يقول شارح الطحاوية مبينا وموضحا :« لم يزل الله سبحانه متصفا بصفات الكمال : صفات الذات وصفات الفعل ، ولا يجوز أن يُعْتَقَدَ أنَّ الله وُصِفُ بصفة بعد أن لم يكن متصفا بها ، لأنَّ صفاته ـ سبحانه ـ صفات كمال ، وفقدها صفة نقص ، ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفا بضده ».

ثمَّ بين الشارح رحمه الله أنَّه « لا يَردُ على هذه صفات الفعل والصفات الاختيارية ونحوها كالخلق والتصوير ، والإماتة والإحياء ، والقبض والبسط والطي ، والاستواء و الإتيان والمجيء والنزول ، والغضب والرضى ونحو ذلك مما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ..... ، لأنَّ هذا الحدوث بهذا الاعتبار غير ممتنع ، ولا يطلق عليه أنَّه حدث بعد أن لم يكن ، ألا ترى أنَّ من تكلم اليوم ، وكان متكلما بالأمس لا يقال : إنَّه حدث له الكلام ، ولو كان غير متكلم لآفة كالصغر والخرس ثم تكلم ، يقال : حدث له الكلام ، فالساكت بغير آفة يسمَّى متكلما بالقوة ، بمعنى أنَّه يتكلم إذا شاء ، وفي حال تكلُّمه يسمَّى متكلما بالفعل ، وكذلك الكاتب في حال الكتابة هو كاتب بالفعل ، ولا يخرج عن كونه كاتبا في حال عدم مباشرته الكتابة»[1] .

واتصاف الباري بصفات الكمال أبدا وأزلا يدلّنا على « أن أفعال الربِّ ـ تبارك وتعالى ـ صادرة عن أسمائه وصفاته ، وأسماء المخلوقين صادرة عن أفعالهم ، فالربّ ـ تبارك وتعالى ـ أفعاله عن كماله ، والمخلوق كمالُه عن فعاله ، فاشتقت له الأسماء بعد أن كَمُلَ بالفعل . فالربُّ لم يزل كاملا ، فحصلت أفعاله عن كماله ، لأنه كامل

---

(١) شرح العقيد الطحاوية : ١٢٧-١٢٨ .

بذاته وصفاته ، فأفعاله صادرة عن كماله ، كمَل فَفَعَل ، والمخلوق فعل فكَمَلَ الكمال اللائق به» . [(١)]

ما يجوز إطلاقه على الباري وما لا يجوز

أولاً- لا يجوز إطلاق الأسماء المذمومة على الحقّ تبارك وتعالى

الأفعال والأسماء المذمومة مطلقا لا يجوز إطلاقها على الحق ـ تبارك وتعالى ـ بحال ، لا على سبيل المقابلة والجزاء ، ولا في غيرها ، فلا يقال : إنّ الله فقير وعاجز أو خائن ، ومن هنا يعلم خطأ قول من قال من الذين لا يعلمون : خان الله من يخون، وظلم الله من ظلمه ، والله يجور عليك ، فإنّ الله لا يخون ، ولا يظلم ، ولا يجور مطلقا ، ولذلك قال الله في الذين يريدون خيانة الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم ﴾ [(٢)] .

ولم يقل فيهم كما قال في المخادعين ﴿ يخادعون الله وهو خادعهم ﴾ [(٣)] لأنّ الخيانة صفة ذمّ بكلّ حال بخلاف الخداع ، فإنّه في حال المقابلة والمجازاة صفة مدح كما في الآية .

ثانيا ـ لا يجوز تسمية الله أو وصفه بما هو شرّ :

لما كانت أفعاله صادرة عن أسمائه وصفاته فإنّ أفعاله كلّها خير ، وفي الحديث «والشرّ ليس إليك » ولو جاز أن ننسب الشرّ إلى الله تعالى ، لجاز أن نشتق لله أسماء تدل على ذلك الفعل ، وبذلك لا تكون أسماء الله كلها حسنى ، بل يكون فيها ما ليس بالأحسن ، وهذا باطل ، فالشرّ لا يضاف إلى الله فعلا ولا وصفا ، وإنما يدخل في مفعولاته ، وفرق بين الفعل والمفعول ، فالشرّ قائم بمفعوله المباين له ، لا بفعله الذي هو فعله[(٤)] .

---

(١) بدائع الفوائد : ١٦٢/١

(٢) سورة الأنفال : ٧١

(٣) سورة النساء : ١٤٢

(٤) راجع بدائع الفوائد : ١٦٣/١

وقد قَرّرَ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى « أنّه لا يجيء في كلام الله وكلام رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إضافة الشر وحده إلى الله ، ولا يذكر الشر إلا على أحد وجوه ثلاثة :

١ـ إماًّ أن يدخل في عموم المخلوقات ، فإنّه إذا دخل في العموم أفاد عموم القدرة والمشيئة والخلق ، وتضمّن ما اشتمل عليه من حكمة تتعلق بالعموم كقوله تعالى : ﴿ الله خالق كل شيء﴾ [١] وكل ما أوجده الله من رحمة ونفع ومصلحة فهو من فضله تعالى ، وكلُّ ما كان غير ذلك فهو من عدله ، فكلُّ نعمة منه فضل ، وكل نقمة منه عدل .

٢ـ وإما أن يضاف إلى السبب الفاعل كقوله تعالى : ﴿ قل أعوذ برب الفلق من شرّ ما خلق ﴾ [٢] ، وقوله : ﴿ ماأصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ﴾ [٣] وقوله : ﴿ فأردت أن أعيبها ﴾ [٤] .

٣ـ وإمّا أن يحذف فاعله كقوله : ﴿ وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا ﴾ [٥][٦] .

وقال ابن القيم : « الشر لا يدخل في صفات الله ، ولا في أفعاله ولا في أسمائه ، وإنما هو في المفعولات ، مع أنه شر بالإضافة والنسبة إلى العبد ، وإلا من حيث إضافته ونسبته إلى الخالق ـ سبحانه ـ فليس بشر من هذه الجهة »[٧] .

---

(١) سورة الزمر : ٦٢

(٢) سورة الفلق : ٢-١

(٣) سورة النساء : ٧٩

(٤) سورة الكهف : ٧٩

(٥) سورة الجن : ١٠

(٦) مجموع فتاوي شيخ الإسلام : ٨/٩٤

(٧) الفوائد : ص ١٤٣

ثالثاً ـ لا يجوز تصغير أسماء الباري جلّ وعلا

لما كان التصغير قد يفهم منه التحقير فإنّ أهل العلم اتفقوا على أنّه لا يجوز أن تصغّر صفات الباري تبارك وتعالى ، وقد نقل الإجماع على عدم جواز ذلك إمام الحرمين ، ونقله عنه ابن حجر العسقلاني[1] .

رابعا ـ ما يجوز إطلاقه في حال دون حال ، وهو ما أطلق على الله على سبيل الجزاء والعدل والمقابلة ، فإن قيل : فما قولكم فيما ورد في القرآن من أفعال أو أسماء أطلقها الله علي نفسه مثل قوله تعالى : ﴿ إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم﴾[2] ، وقوله : ﴿ ومكروا ومكر الله﴾ [3] ، وقوله ﴿ نسوا الله فنسيهم﴾[4] ، وقوله : ﴿وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤن، الله يستهزئ بهم ﴾ [5] . وقوله : ﴿ ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون ﴾ [6] . وقوله : ﴿سخط عليهم ولعنهم ﴾ [7] وقوله : ﴿ إنا من ٱلْمُجْرِمِينَ منتقمون ﴾ [8] ونحو ذلك.

والجواب : أن هذه الصفات تكون كمالا في حال ونقصا في حال ، « وإذا كانت الصفة كمالا في حال ، ونقصا في حال لم تكن جائزة في حقّ الله ولا ممتنعة على سبيل الإطلاق ، فلا تُثبت له إثباتا مطلقا ، ولا تنفى عنه نفيا مطلقا ، بل لا بدّ من التفصيل ، فتجوز في الحال التي تكون كمالا ، وتمنع في الحال التي تكون نقصا ، وذلك كالمكر والكيد والخداع ونحوها ، فهذه صفات تكون كمالا إذا كانت في

---

(١) فتح الباري : ١٣/٣٦٦

(٢) سورة النساء : ١٤٢

(٣) سورة آل عمران : ٥٤

(٤) سورة التوبة : ٦٧

(٥) سورة البقرة : ١٤-١٥

(٦) سورة الدخان : ١٧

(٧) سورة المائدة : ٨٠

(٨) سورة السجدة : ٢٢

مقابلة من يعاملون الفاعل بمثلها ، لأنها حينئذ تدلّ على أن فاعلها قادر على مقابلة عدوه بمثل فعله أو أشد ، وتكون نقصا في غير هذه الحال ، ولم يذكرها الله تعالى من صفاته على سبيل الإطلاق ، وإنما ذكرها في مقابلة من يعاملونه ورسله بمثلها»[1].

ومن هنا يعلم الخطأ الذي وقع فيه من عدَّ في أسماء الله الحسنى اسم الماكر والمخادع والناسي والمستهزئ والفاتن والساخط والمنتقم ونحوها ، وقد حمل ابن القيم حملة شعواء على من ذهب هذا المذهب ، فقد نَقَلَ عنه الشيخ حافظ حكمي قوله : « إن الله تعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكروالخداع والاستهزاء مطلقا ، ولا ذلك داخل في أسمائه الحسنى ، ومن ظنّ من الجهال المصنفين في شرح الأسماء الحسنى أن من أسمائه الماكر ، المخادع ، المستهزئ ، الكائد ، فقد فاه بأمر عظيم ، تقشعر منه الجلود ، وتكاد الأسماع تُصَمّ عند سماعه ، وغرّ هذا الجاهل أنه ـ سبحانه وتعالى ـ أطلق على نفسه هذه الأفعال ، فاشتق له منها أسماء ، وأسماؤه ـ تعالى ـ كلّها حسنى ، فأدخلها في الأسماء الحسنى ، وقرنها بالرحيم الودود ، الحكيم الكريم ، وهذا جهل عظيم ، فإنّ هذه الأفعال ليست ممدوحة مطلقا ، بل تمدح في موضع ، وتذمّ في موضع ، فلا يجوز إطلاق أفعالها على الله تعالى مطلقا ، فلا يقال: « إنه تعالى يمكر ويخادع ويستهزئ ويكيد ، فكذلك بطريق الأولى لا يشتق له منها أسماء يسمى بها »[2] .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيميه ما ملخصه : « ليس من الأسماء الحسنى اسم يتضمن الشرّ، وإنما يذكر الشرّ في مفعولاته ، واسم « المنتقم » ليس من أسماء الله الحسنى الثابتة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وإنما جاء في القرآن مقيّدا كقوله تعالى : ﴿ إنا من المجرمين منتقمون ﴾[3] ، وقوله تعالى : ﴿ إن الله عزيز ذو

(١) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى للشيخ محمد صالح العثيمين : ص ٢٠

(٢) معارج القبول : ٧٦/١ .

(٣) سورة السجدة : ٢٢

انتقام﴾»[1] [2] .

٥ـ ما لا يجوز إطلاقه على الربِّ ـ تبارك وتعالى ـ لانقسامه إلى مدح وذم

وقريب مما ذكرناه مَنْ جعل من أسمائه المريد والفاعل والصانع والماهد ونحو ذلك ، وهذه ليست من أسمائه ، لأنَّ الإراده والفعل والصنع والمهد منقسمة إلى ما هو كمال وما هو نقص ، ولذا فإنَّ الله لم يطلق على نفسه منها إلا الأكمل فعلا وخبرا ، كقوله : ﴿ تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ﴾ [3] ، وقوله : ﴿والأرض فرشناها فنعم الماهدون ﴾ [4][5] .

وقد عد ابن العربي في أسمائه ـ تبارك وتعالى ـ الفاعل والزارع . والصواب من القول أن هذين وامثالهما إذا أطلقا بدون متعلق ولا سياق يدلّ على وصف الكمال فيهما فلا يفيدان مدحا ، أما في سياقها من الآيات التي ذكرت فيها فهي صفات كمال ومدح ، قال تعالى : ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين﴾[6] وقال تعالى: ﴿ أفرأيتم ما تحرثون ،أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون﴾[7] كما عدّ من أسمائه الحسنى رابع ثلاثة ، وسادس خمسة ، أخذا من آيات سورة المجادلة ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادهم ﴾[8] وهذا خطأ، فالآية لا تدلُّ على ذلك، ولا تقتضيه لا منطوقا ولا مفهوما،ومعنى النص: الله رابع كل ثلاثة في نجواهم ، وسادس كل خمسة كذلك، يعلم أفعالهم ، ويسمع أقوالهم كما هو مفهوم من صدر الآية ، وهذا هو المعنى المفهوم من سياق النص .

---

(١) سورة إبراهيم : ٤٧

(٢) مجموع فتاوي شيخ الإسلام : ٩٦/٨

(٣) سورة الأنفال : ٦٧

(٤) سورة الذاريات : ٤٨

(٥) راجع بدائع الفوائد : ١٦١/١

(٦) سورة الأنبياء : ١٠٤

(٧) سورة الواقعة : ٦٣ ـ ٦٤

(٨) سورة المجادلة : ٧

٦ـ ما لا يجوز إطلاقه على الحق سبحانه إلا مقترنا بغيره وهو الأسماء المزدوجة[١] .

وقد لاحظ علماؤنا أن بعض أسماء الله ـ تبارك وتعالى ـ لا يفيد الكمال مفردا، بل يجب اقترانه بمقابله حتى يفيد الكمال .

ومن هذه الأسماء التي لا تفيد الكمال بمفردها ، ويجب اقترانها بمقابلها اسم المذلّ الضارّ المنتقم المانع ، فلا يجوز أن يُثْنَى على الله بمجرد الإذلال والإضرار والانتقام والمنع ، والصواب أن يقال : المعزّ المذلّ ، الضارّ النافع ، العفو المنتقم ، المعطي المانع ، فالكمال لرب العالمين يتحقق في اقتران كل اسم بما يقابله على النحو الذي ذكرناه ، لأنه يراد به أنه المنفرد بالربوبية وتدبير الخلق والتصرف فيهم إعزازا وإذلالا ، وضرّا ونفعا ، وعفوا وانتقاما ، وإعطاء ومنعا ، وهذه الأسماء المزدوجة تجري الأسماء منها مجرى الاسم الواحد الذي يمتنع فصل بعض حروفه عن بعض ، فهي وإن تعددت جارية مجرى الاسم الواحد ، ولذلك لم تجئ مفردة ، ولم تطلق عليه إلا مقترنة ، فإذا قلت : يا مذلّ يا ضارّ يا مانع ، وأخبرت بذلك لم تكن مثنيا عليه ولا حامدا له حتى تذكر مقابلها .

ولاحظ بعض المحققين أن اقتران هذه الأسماء بما يقابلها يفيد العموم ، وقد تقرر أن القرآن يضيف الشر إلى الله بإحدى طرق ثلاث إحداها : دخوله في عموم المخلوقات ، وبذلك يدخل في عموم قدرته ومشيئته وخلقه ، كما سبق بيانه .

وهذه الأسماء المزدوجة قليلة ، والكثير في أسمائه هو ما يجوز إطلاقه على الله منفردا ومقترنا بغيره، ، كالعليم والسميع والبصير والحكيم ، وهذا يجوز دعاؤه به مفردا ومقترنا بغيره ، كما يجوز الثناء عليه به مفردا ومقترنا بغيره[٢] .

---

(١) هذا مبني على إثبات هذه الأسماء لله تبارك وتعالى ، وقد تبين لنا أن أكثر هذه الأسماء لم ترد في الكتاب والسنة.

(٢) راجع بدائع الفوائد : ١/١٦٧

الأساس الثالث :

تنزيه الباري - تبارك وتعالى - عن التشبيه والتمثيل وكلِّ صفات النقص

وهذا معلم واضح عند السلف الصالح وأتباعهم ، فإنَّ من أعظم مقاصدهم تقديسهم لربِّهم - تبارك وتعالى - عن كل نقص وعيب .

ولا يقف بهم تنزيه الباري عند حدّ نفي التشبه فحسب ، بل هم ينزهونه تنزيها مطلقا سواءً بنفي التشبيه أو بالإخبار بنفي ما لا يليق به من الصفات ، أو التسبيح وبغير ذلك من أنواع التنزيه ، بينما تجد الذين يخالفونهم إنصبت كلُّ جهودهم على نفي التشبيه ، وضلُّوا في هذا المسار عندما نفوا الصفات بحجة أنها تؤدي إلى التشبيه .

وهذا المعلم نصت عليه نصوص كثيرة من كتاب الله تعالى كقوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ﴾ [1] . وقوله : ﴿ ولم يكن له كفوا أحد ﴾ [2] ، وقوله : ﴿ هل تعلم له سميّا ﴾ [3]

وقد قرَّر أهل السنة والجماعة بناء على ما فقهوه من بيان الله تعالى أن الله لا يشبه شيئا من خلقه ، لا في ذاته ولا في صفاته ، يقول شارح الطحاوية رحمه الله تعالى: « اتفق أهل السنة على أن الله ليس كمثله شيء ، لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله »[4] .

ويقول الإمام أبو حنيفة في كتاب الفقه الأكبر : « وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين ، يعلم لا كعلمنا ، ويقدر لا كقدرتنا ، ويرى لا كرؤيتنا »[5] ، ويقول نعيم

---

(١) سورة الشورى : ١١

(٢) سورة الإخلاص : ٤

(٣) سورة مريم : ٦٥

(٤) شرح العقيدة الطحاوية : ص ١٢٠

(٥) شرح العقيدة الطحاوية : ص ١٢٠ .

ونعيم هذا أول من جمع المسند في حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان أعلم الناس بالفرائض ، أقام مدة في العراق يطلب الحديث ثم سكن مصر ، توفي سنة (٢٢٨) هـ.

ابن حماد : « من شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر ، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه »[1] .

ويقول إسحاق بن راهويه : « من وصف الله فشبهه بصفات أحد من خلق الله فهو كافر بالله العظيم »[2] .

ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية « عن الربيع بن سليمان أنه قال : سألت الشافعي ـ رحمه الله ـ عن صفات الله تعالى فقال : « حرام على العقول أن تُمَثِّلَ الله تعالى ، وعلى الأوهام أن تحدّه ، وعلى الظنون أن تقطع ، وعلى النفوس أن تفكر ، وعلى الضمائر أن تعمق ، وعلى الخواطر أن تحيط ، وعلى العقول أن تعقل إلا ما وصف به نفسه ، أو على لسان نبيه عليه الصلاة والسلام »[3] .

ويقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : « الله ـ سبحانه ـ ليس كمثله شيء لا في نفسه المقدّسة المذكورة بأسمائه وصفاته ، ولا في أفعاله ، فكما نتيقن أنّ الله ـ سبحانه ـ له ذات حقيقة ، وله أفعال حقيقة ، فكذلك له صفات حقيقة ، وهو ليس كمثله شيء ، لا في ذاته ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، وكل ما أوجب نقصا أو حدوثا فإنّ الله منزه عنه حقيقة ، فإنه ـ سبحانه و تعالى ـ مستحق للكمال الذي لا غاية فوقه ، ويمتنع عنه الحدوث لامتناع العدم عليه »[4] .

ويقول الشيخ مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي مبينا هذا الأصل : « الله ـ سبحانه ـ مخالف لجميع الحوادث ، ذاته لا تشبه الذوات ، وصفاته لا تشبه الصفات ، لا يشبه شيئا من خلقه ، ولا يشبه شيئا من الحوادث ، بل هو منفرد عن جميع المخلوقات ، ليس كمثله شيء ، لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، له

---

(١) المصدر السابق

(٢) شرح العقيدة الطحاوية : ص ١٢٠ إسحاق هذا عالم خرسان في عصره ، اجتمع له الفقه والحديث والحفظ والورع ، روى عنه البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ٦/٤

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ٢٦/٥ ، وانظر : ٢٦٣/٥

الوجود المطلق ، فلا يتقيد بزمان ، ولا يتخصص بمكان ، والوحدة المطلقة لقيامه بنفسه واستقلاله في جميع أفعاله ، وكل ما توهمه قلبك ، أو سنح في مجاري فكرك،أو خطر في بالك من حسن أو بهاء أو شرف أو ضياء أو جمال ، أو شبح مماثل ، أو شخص متمثل فالله ـ تعالى ـ بخلاف ذلك ، واقرأ : ﴿ ليس كمثله شيء﴾[1] ألا ترى أنه لما تجلى للجبل تَدَكْدَكَ لعظيم هيبته ، فكما أنه لا يتجلى لشيء إلا انْدَكَّ ، كذلك لا يتوهمه قلب إلا هلك ، وارض بما رضيه لنفسه ، وقف عند خبره لنفسه ، مسلِّما مستسلما مصدقا »[2] .

الفرق بين تنزيه الرسل وأتباعهم وتنزيه المعطلة

ما من طائفة إلا وتدعي أنها تريد تقديس ربها فيما تصفه به من صفات أو تنفيه عنه .

ولكن ليس كل من ادعى دعوى فقد أصاب فيما ادعاه ، فهؤلاء المعطلة يزعمون أنهم يريدون تنزيه الباري بنفي كلامه واستوائه وعروج الملائكة إليه ، ونفي علوه ووجهه ويده ونزوله ورأفته ورحمته وغضبه ورضاه ونحو ذلك .

وقد أكذبوا الله في قوله ، وتعالموا على قيوم السموات والأرض ، فضلُّوا وأضلُّوا، وهم في ذلك مخالفون للرسل الكرام ، والذين اتبعوهم بإحسان ، فطريقة اتباع الحق هو إثبات الصفات التي وصف الله بها نفسه ، أو وصفه بها رسوله ، معتقدين أنها صفات كمال وجلال ، وإنما نَفَوْا عنه صفات النقص كما نفوا عنه التشبيه .

وقد حاول بعض الباحثين أن يُقَرِّب المسافة بين أهل السنَّة والجماعة ومن انحرف عن مسارهم من نفاة الصفات بدعوى أن كلا الفريقين يريد بالمنهج الذي سلكه

---

(١) سورة الشورى : ١١

(٢) أقاويل الثقات : ص ١٣٤

تقديس الباري وتنزيهه[1] ، وهو بذلك يجد العذر للذين ضلوا في هذا الباب ، ويعدّ منهجهم في مصاف منهج أهل الحق .

إن تهوين خطيئة الذين انحرف بهم المسار فنفوا عن الله ما أثبته لنفسه من صفات خطأ كبير فيه إكْذَابٌ لله في قوله ، وتكذيب لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا يُهَوِّن من خطيئتهم أنهم يريدون الحق ، فكم من مريد للحق لا يدركه ، وهذه المقالة لو كانت صحيحة لَبُرِّرَ بها كل شرك وضلال ، فكل من سار مسارا من أهل الشرك يدعي أنه يريد تقديس معبوده وتعظيمه .

لا يكفي في التنزيه مجرد نفي التشبيه .

هناك أصلان متلازمان : الأول : وصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والثاني : نفي مشابهة صفات الله لصفات خلقه ، ولا يكفي المثبتين مجرد نفي التشبيه من غير اقتصار على الصفات المنصوص عليها ، إذ لو جاز ذلك لجاز أن يوصف ـ سبحانه ـ من الأعضاء والأفعال بما لايكاد يحصى مما هو ممتنع عليه ـ مع نفي التشبيه ، وأن يوصف بالنقائص التي لا تجوز عليه مع نفي التشبيه ، كأن يقول : إنه يبكي لا كبكاء العباد ، ويحزن لا كحزنهم ، ويجوع لا كجوعهم ، ويعطش لا كعطشهم ، ويشرب لا كشربهم[2] .

فيقال لهذا القائل : لقد أخطأت الطريق ، وانحرفت عن الصراط المستقيم ، ولم تصنع شيئا عندما نسبت إلى الله هذه النقائص والمعايب ، ونفيك المشابهة بين الخالق والمخلوق لا يغني عنك شيئا ، ولست بحاجة في رد هذه الصفات إلى نفي التشبيه ، بل يجب نفيها أصلا ، لأنها صفات نقص .

---

(١) راجع دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية لعرفان عبد الحميد : ص ٢٢٦ ، وتعليق الأستاذ محمد فهر شقفه على كتاب الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد بن حنبل : ص ٧٢

(٢) راجع مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ٨٢/٣

الأساس الرابع : إجراء الصفات على ظاهرها

الأساس الرابع الذي يقوم عليه مذهب السلف في أسماء الله وصفاته هو إجراؤها على ظاهرها .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : « حكى الخطابي وأبو بكر بن الخطيب وغيرهما أنَّ مذهب السلف إجراء أحاديث الصفات على ظاهرها »[1] .

ومراد السلف بإجرائها على ظاهرها هو الجزم بأن لها معنى حقيقيا يليق بجلال الله وكماله ، وهو المعنى الذي يظهر من اللفظ وفق ما تفقهه العرب من كلامها .

والمخالفون لمنهج السلف المقرر في هذا الأصل **ثلاث فرق** :

الأولى : الذين يجرون الصفات على ظاهرها ويجعلون ظاهرها من جنس صفات المخلوقين ، فهؤلاء المشبهة ، ومذهبهم باطل ، أنكره السلف وقبحوه ، وشنُّوا الغارة عليه وعلى أهله . وخطؤهم أنهم اعتقدوا أن الظاهر من الصفات هو التشبيه ، وكل من يعظم ربّه ويقدسه يعلم أن ظاهر الصفات التقديس والتنزيه .

الثانية : الذين يزعمون أنه يجب نفي ظاهر الصفات ، لأن ظاهرها يفيد التشبيه ، ومن هؤلاء من ينفي جميع الصفات ، ولا يثبت لله إلا الصفات السلبية أو الإضافية ، أو المركبة من السلب والإضافة ، أما صفات ثبوتيه فلا .

وبعض هؤلاء أثبت بعض الصفات دون بعض ، فيثبت منها سبعا ، أو ثمانيا ، أو خمس عشرة ، أو يثبتون الأحوال دون الصفات ، وبعضهم يُقِرُّ بالصفات الخبرية الواردة في القرآن دون ما ورد في الحديث .

وهؤلاء قسمان : قسم يتأولونها ، ويُعَيِّنون المراد مثل قولهم : استوى بمعنى استولى ، أو بمعنى علو المكانة والقدر ، أو بمعنى ظهور نوره للعرش ، أو بمعنى انتهاء الخلق إليه، إلى غير ذلك من معاني المتكلمين . وقسم يقولون الله أعلم بمراده منها ، ولكنا نعلم أنه لم يرد إثبات صفة خارجة عما علمناه .

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ١٧٧/٣٣

والفرقة الثالثة : القائلون بالوقف وهؤلاء **قسمان** :

الأول : الذين يقولون : يجوز أن يكون ظاهرها هو المراد اللائق بجلال الله ، ويجوز أن لا يكون صفة لله ، وهذه طريقة كثير من الفقهاء والمتكلمين وغيرهم .

والثاني : الذين يمسكون عن هذا كله ، ولا يزيدون على تلاوة القرآن وقراءة الحديث ، معرضين بقلوبهم وألسنتهم عن هذه التقديرات[١] .

وخلاصة القول في مذهب السلف في هذا الأصل : « أنهم يجرون أسماء الله وصفاته على ظاهرها ، موقنين أن المعنى الظاهر من هذه الأسماء والصفات هو معنى حقيقي يليق بجلال الله وكماله ، ولا يمكن أن يشابه هذا المعنى صفات المخلوقين ، ولسنا بحاجة إلى تأويل صفات الله بحال من الأحوال . »

وقد جلّى شيخ الإسلام مذهب السلف في هذا فقال : « مذهب السلف إجراء أحاديث الصفات وآيات الصفات على ظاهرها ، مع نفي الكيفية والتشبيه عنها ، فلا نقول : إن معنى اليد القدرة ، ولا أن معنى السمع العلم ، وذلك أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات ، يُحتَذى فيه حذوه ، ويتبع فيه مثاله ، فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود لا كيفية ، فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا كيفية»[٢] .

ويقول الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله تعالى : « مذهب أهل السنة والجماعة الإيمان بما ثبت في الكتاب والسنة من أسماء الله وصفاته لفظا ومعنى ، واعتقاد أن هذه الأسماء والصفات على الحقيقة لا على المجاز ، وأن لها معاني حقيقية تليق بجلال الله وعظمته ، وأدلة ذلك أكثر من أن تحصر .

ومعاني هذه الصفات ظاهرة معروفة من القرآن كغيرها لا لَبْسَ فيها ولا إشكال ولا غموض ، فقد أخذ أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عنه القرآن ،

---

(١) راجع مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ٥/١١٣

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ٣٣/١٧٧

ونقلوا عنه الأحاديث ، لم يستشكلوا شيئا من معاني هذه الآيات والأحاديث لأنها واضحة صريحة ، وكذلك من بعدهم من القرون الفاضلة »[1] .

الرد على المفوضة

الذين يجرون الصفات على ظاهرها ، ويقولون علم معانيها إلى الله تبارك وتعالى ، ونحن لا نعرف معاني هذه الأسماء يسمون بالمفوضة .

وَيدَّعِي كثير من الباحثين في هذا الموضوع أنَّ مذهب المفوضة هو مذهب السلف الصالح .

والتحقيق أنَّ السلف لا يفوضون معاني الأسماء والصفات ، وإنما يفوضون في كيفية الصفات ، أمّا المعاني فإنها معلومة من لغة العرب .

والرد على المفوضة من وجوه :

١ـ أنَّ السلف الصالح ثبت عنهم تفسير معاني أسماء الله وصفاته وفق ما تفقهه العرب من كلامها ، ولم يثبت عنهم خلاف ذلك .

يدلك على صحة هذا أنَّ الإمام مالك قال في الإجابة عندما سئل عن كيفية الاستواء: الاستواء معلوم ، والكيف مجهول . والمراد بالمعلوم ، أي معلوم معناه .

٢ـ لو كانت الأسماء ألفاظا لا معاني لها لم تكن حسنى كما أخبر الحق تبارك وتعالى، ولا كانت دالة على مدح وكمال ، لأن حسنها باعتبارمعانيها ، فأي حسن فيها إن لم يكن لها معاني[2] .

٣ـ ولو كانت ألفاظا لا معنى لها لساغ وقوع أسماء الغضب والانتقام في مقام الرحمة والإحسان وبالعكس ، فيقال : اللهم إني ظلمت نفسي فاغفر لي ، إنك أنت الجبار المنتقم ، اللهم اعطني إنك أنت الضار المانع القابض .

---

(١) فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم : ٢٢٣/١ ـ قسم العقائد . مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ١٣٩٩هـ

(٢) التفسير القيم لابن القيم : ٢٨

٤ـ ولأنّها لو كانت كما يقول النفاة لم يَجز أن يخبر عن الصفة بمصدرها ، ويوصف بها كقوله تعالى : ﴿ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ [١] فالقويُّ من أسماء الله، ومعناه الموصوف بالقوة .

وكذلك قوله : ﴿ فلله العزة جميعا ﴾ [٢] . فالعزيز من له العزة ، فلولا ثبوت القوة والعزة له لم يسم قويًا ولا عزيزا .

٥ـ ولو لم تكن أسماؤه مشتملة على معان وصفات لم يسغ أن يخبر عنها بأفعالها.

فلا يقال : يسمع ويرى ويعلم ويقدر ويريد ، فإنَّ ثبوت أحكام الصفات فرع ثبوتها ، فإنَّ انتفى أصل الصفة استحال ثبوت حكمها .

٦ـ ولو لم تكن أسماؤه ـ تبارك وتعالى ـ ذوات معاني وأوصاف لكانت جامدة كالأعلام المحضة ، التي لم توضع لمسماها باعتبار معنى قام به ، فكانت كلها سواء ، ولم يكن فرق بين مدلولاتها وهذه مكابرة صريحة ، وبُهتٌ بيّنٌ ، فإن من جعل اسم « القدير » هو معنى اسم « السميع البصير » . ومعنى اسم « التواب » هو معنى اسم « المنتقم » ومعنى اسم « المعطي » هو معنى اسم «المانع» فقد كابر العقل واللغة والفطرة[٣] .

الأساس الخامس : الإجمال في النفي والتفصيل في الإثبات

ودلالة الكتاب والسنة على هذا الأصل الذي فقهه فقهاؤنا من سلفنا الصالح في غاية الوضوح ، ونظرة سريعة في كتاب الله تدلُّ دلالة بينة على صحة هذا المعلم .

فقد وصف الله نفسه في كتابه بأنه بكل شيء عليم ، وأنه على كل شيء قدير ، وأنه حي قيوم ، وأنه عزيزحكيم ، وأنه غفور رحيم ، وأنه سميع بصير ، وأنه يحبُّ

---

(١) سورة الذاريات : ٥٨

(٢) سورة فاطر : ١٠

(٣) التفسير القيم : ٢٩

المتقين والمحسنين والصابرين ، وأنه لا يحب الفساد ، ولا يرضى لعباده الكفر ، وأنه رضي عن المؤمنين ورضوا عنه ، وأنه يغضب على الكفار ويلعنهم ، وأنه يصعد إليه الكلم الطيب ، والعمل الصالح يرفعه ، وأنه كلَّم موسى تكليما .

هذا في الإثبات أما في النفي فإنَّه يجمل فيه ، كقوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء﴾ [1] وقوله : ﴿ فلا تجعلوا لله أندادا ﴾ [2] وقوله : ﴿ هل تعلم له سميا ﴾[3] وقوله: ﴿ ولم يكن له كفوا أحد ﴾ [4] .

فبين في هذه الآيات أنَّ الله لا كفو له ، ولا ندَّ له ، ولا مثل له ، ولا سميَّ له .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « إنَّ الرسل ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ جاؤوا بنفي مجمل وإثبات مفصَّل ، ولهذا قال سبحانه وتعالى : ﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ﴾ [5] فسبَّح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل ، وسلَّم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب ، وطريقة الرسل هي ما جاء به القرآن ، والله تعالى في القرآن يثبت الصفات على وجه التفصيل ، وينفي عنه على طريق الإجمال التشبيه والتمثيل »[6] .

والسر في الإثبات المفصَّل والنفي المجمل ، أنَّ النفي المحض الذي لا يستلزم إثباتا ليس بمدح ولا ثناء لأنه عدم ، والذي يكون به المدح والثناء والتمجيد والتعظيم هو صفات الإثبات ، فلا يثبت الله لنفسه صفة سلب إلا إذا كانت متضمنه لِثُبُوتٍ كالأحد ، فإن هذه الصفة متضمنة لانفراده بالربوبية والألوهية ، وصفة السلام المتضمنة لبراءته من كلِّ نقص يضاد كماله .

---

(١) سورة الشورى : ١١

(٢) سورة البقرة : ٢٢

(٣) سورة مريم : ٦٥

(٤) سورة الإخلاص : ٤

(٥) سورة الصافات : ١٨٠ - ١٨٢

(٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ٣٧/٦

وكذلك الإخبار عنه بالسلوب ، يَرِد لتضمن هذه السلوب ثبوتا ، فإنّ عامة ما وصف الله به نفسه من النفي متضمن لإثبات المدح ، فَنَفَى الحق - تبارك وتعالى - عن نفسه السِّنَةَ والنوم في قوله : ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم﴾[1] دليل على كمال حياته وقيوميته،وقد ورد في الحديث : « إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام » .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ ولا يؤده حفظهما ﴾ [2] مستلزم لكمال قدرته وتمامها ، بخلاف المخلوق القادر إذا كان يقدر على الشيء بنوع كلفة ومشقة ، فإن هذا نقص في قدرته وعيب في قوته .

وكذلك قوله : ﴿ لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ﴾ [3] فإن نفي العزوب مستلزم لعلمه بكل ذرة في السموات والأرض . وكذلك نفي اللغوب وهو التعب في قوله : ﴿ ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب ﴾ [4] مستلزم لكمال القدرة ونهاية القوة ، بخلاف المخلوق الذي يلحقه من التعب والكلال ما يلحقه .

هذا منهج القرآن في النفي ، فإذا كان النفي لا يستلزم ثبوتا فإنّ الله لا ينفيه عن نفسه بمثل هذا التفصيل ، وإنما يدخل في النفي العام المجمل ، كقوله : ﴿ ليس كمثله شيء﴾ [5] .

وهذا النهج وهو الإكثار من نفي الصفات « مع كونه لا مدح فيه ، فيه إساءة أدب ، فإنك لو قلت للسلطان أنت لست بزبال ولا كسّاح ولا حجّام ولا حائك ، لأدبك على هذا الوصف ، وإن كنت صادقا ، وإنما تكون مادحا إذا أجملت النفي ،

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٥

(٢) سورة البقرة : ٢٥٥

(٣) سورة سبأ : ٣

(٤) سورة ق : ٣٨

(٥) سورة الشورى : ١١

فقلت : أنت لست مثل أحد من رعيتك ، أنت أعلى منهم وأشرف وأجل ، فإذا أجملت في النفي أجملت في الأدب » [1] .

هذا هو المنهج الذي فقهه علماؤنا في النفي والإثبات في صفات الله ـ تعالى ـ إجمال في النفي وتفصيل في الإثبات ، أما أصحاب المنهج الفلسفي الكلامي فقد أُغْرِموا بالنفي المفصل ، والإجمال في الإثبات فتراهم يقولون في الله : « ليس بجسم، ولا شبح ، ولا جثة ، ولا صورة ، ولا لحم ، ولا دم ، ولا شخص ، ولا جوهر ، ولا عرض ، ولا بذي لون ولا رائحة ولا طعم ، ولا بذي حرارة ولا برودة ولا رطوبة ولا يبوسة ، ولا طول ولا عرض ولا عمق ، ولااجتماع ولا افتراق ، ولا يتحرك ولا يسكن ولا يتبعض ، وليس بذي أبعاض وأجزاء وجوارح وأعضاء ، وليس بذي جهات ، ولا يمين ولا شمال وأمام وخلف وفوق وتحت ، ولا يحيط به مكان ولا يجري عليه زمان ، ولا يجوز عليه المماسة ، ولا العزلة ، ولا الحلول في الأماكن ، ولا يوصف بشيء من صفات الخلق الدالة على حدوثهم ، ولا يوصف بأنّه متناه ، ولا يوصف بمساحة ولا ذهاب في الجهات وليس بمحدود ، ولا والد ولا مولود ، ولا تحيط به الأقدار ، ولا تحجبه الأستار ، إلى آخر ما نقله أبوالحسن الأشعري ـ رحمه الله عن ـ المعتزلة » [2] .

وقد تنبه علماؤنا إلى أن الذين يصفونه بالصفات السلبية على جهة التفصيل لا يثبتون لله إلا وجودا مطلقا لا حقيقة له عند التحري والتدقيق ، وإنما يرجع إلى وجود في الأذهان ، يمتنع تحقيقيه في الأعيان .

فإذا قيل في الأحاجي : ما الشيء الذي ليس بجسم ولا شبح ولا جثة ولا صورة ولا لحم ولا يصعد ولا ينزل ولا يتكلم ... الخ لقيل هو المعدوم .

وبذلك فرَّ هؤلاء بهذا المنهج الذي سلكوه من تشبيه الباري بالموجودات إلى

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية :ص ١٠٩ ، وراجع :مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ٣٥/٣ ،وبدائع الفوائد ، لابن القيم : ١٦١/١

(٢) شرح العقيدة الطحاوية : ١٠٩

تشبيهه بالمعدومات ، والذين سلبوا عنه النقيضين شبهوه بالممتنعات .

ولو التزموا بالمنهج القرآني النبوي في إثبات أسمائه وصفاته على الوجه اللائق به ــ تبارك وتعالى ــ إثباتا من غير تمثيل ، لما وصلوا إلى هذا الدرك الهابط من التفكير .

يقول شيخ الإسلام : « قد علم بصريح المعقول أن المطلق بشرط الإطلاق لا يوجد إلا في الأذهان ، لا في الأعيان ، وأن المطلق لا بشرط لا يوجد في الخارج مطلقا ، لا يوجدإلا معينا ، ولا يكون الرب عندهم حقيقية مغايرة للمخلوقات ، بل إما أن يعطلوه أو يجعلون وجوده وجود المخلوقات أو جزءها أو وصفها والألفاظ المجملة يكفون عن معناها » [1] .

الأساس السادس : الوقف في أسماء الله وصفاته

أحد المعالم البارزة في باب أسماء الله وصفاته عدم تسمية الله بما لم يسم به نفسه، أو يسمّه به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يصفونه إلا بما وصفته به النصوص ، وهذا عائد لأمور :

الأول : أن مخالفة هذا المنهج قول على الله بغير علم ، ورجم بالغيب ، وقد حرّم الله هذا ، وعده من الجرائم العظام ، وإذا كان البشر لا يرضون أن يسَمّوا بغير أسمائهم فكيف يجوز هذا في حق خالق البشر .

الثاني : أن مخالفة هذا النهج تقديم بين يدي الله ورسوله ، وقد نهينا عن التقديم بين يدي الله ورسوله ، وكيف يجيب العبد إذا حاسبه ربّه يوم القيامة عن وصفه ــ تبارك وتعالى ــ بما لم يصف به نفسه .

الثالث : أن أسماء الله ــ تبارك وتعالى ــ حسنى ، ومهما اجتهد العبد فإنه قد لا يوفق للتعرف على الاسم الأحسن الذي يستحقه الربُّ تبارك وتعالى .

يقول ابن القيم رحمه تعالى : « لله من صفة الإدراكات العليم الخبير دون العاقل الفقيه ، والسميع البصير دون السامع والباصر، ومن صفات الإحسان : البر الرحيم

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام : ٣٨/٦

الودود ، دون الرفيق والشفيق ونحوها ، وكذلك العلي العظيم دون الرفيع والشريف ، وكذلك الكريم دون السخي ، والخالق الباري المصور دون الفاعل الصانع المشكل، والغفور العفو دون الصفوح الساتر»[1] .

وأكثر من هذا قد يتوهم بعض الفطناء أسماء حسنة يجوز اطلاقها على الله وهي ليست كذلك ، مثل العارف والعاقل والفطن . يقول ابن بدران : «لا يجوز تسميتة بالعارف ، لأن المعرفة قد يراد بها علم تسبقه الغفلة ،كما لا يجوز اتصافه بالعقل ، لأن العقل علم مانع عن الإقدام على مالا ينبغي ، مأخوذ من العقال ، وإنما يتصور هذا المعنى فيمن يدعوه الداعي إلى مالا ينبغي .

ولا يجوز اتصافه تعالى بالفطن ، لأن الفطنة سرعة إدراك ما يراد تعريضه على السامع ، فتكون مسبوقة بالجهل .

لقد فقه علماء أهل السنة والجماعة هذه القضية ، فقالوا : إن أسماء الله وصفاته توقيفية ، يقول ابن القيم رحمه الله تعالى : « ما يطلق على الله في باب الأسماء والصفات توقيفي »[2] .

وقال ابن حجر العسقلاني : « قال الفخر : المشهور عن أصحابنا أنها توقيفية...، وقال أبو القاسم القُشيْرِي : الأسماء تؤخذ توقيفا من الكتاب والسنة والإجماع»[3] ، وقال السفاريني في منظومته « الدرة البَهية » :

لكنها في الحق توقيفية لنا بذا أدلـة وفـية .

وقال في شرحه لدرته البهية : « الجمهور منعوا إطلاق ما لم يأذن به الشرع مطلقا، وجوّزه المعتزلة مطلقا ، ومال إليه بعض الأشاعرة كالقاضي أبي بكر الباقلاني، وتوقف إمام الحرمين الجويني ...، واحتَجّ للقول المعتمد بأنها توقيفية بأنه لا

---

(١) بدائع الفوائد : ١/١٦٨

(٢) بدائع الفوائد : ١/١٦٢

(٣) فتح الباري : ١١/٢٢٣

يجوز أن يسمى النبي – صلى الله عليه وسلم – بما ليس من أسمائه ، فالباري أولى»[1] .

وقال عبد القاهر البغدادي : « مأخذ أسماء الله تعالى التوقيف عليها ، إما بالقرآن وإمّا بالسنة الصحيحة ، وإما بإجماع الأمة عليه ، ولا يجوز إطلاق اسم عليه من طريق القياس .

وهذا خلاف قول المعتزلة البصرية في إجازتها إطلاق الأسماء عليه بالقياس .

وقد أفرط الجبائي في هذا الباب حتى سمى الله مطيعا لعبده إذا أعطاه مراده ، وسماه مُحْبِلا للنساء إذا خلق فيهنّ الحَبَل ، وضللته الأمة في هذا الجسارة التي تورث الخسارة»[2] .

وذكر ابن حجر العسقلاني أن المعتزلة والكرامية خالفوا أهل السنة فقالوا : « إذا دلّ العقل أن معنى اللفظ ثابت في حق الله جاز إطلاقه على الله ، وقال القاضي أبو بكر والغزالي : الأسماء والصفات توقيفية »[3] .

والمراد بالتوقيف في أسماء الله وصفاته :

١– أن يُقْتَصَر في هذا الباب على ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ، وكذلك في باب الأسماء ، ويُنْفَى عنه كل ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : « القول الشامل في جميع باب أسماء الله وصفاته أن يوصف الله بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله، وبما وصفه به السابقون الأولون لا يتجاوز القرآن والحديث .

قال الإمام أحمد رضي الله عنه : لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه ، أو

---

(١) لوامع الأنوار البهية للسفاريني : ١/١٢٤

(٢) الفرق بين الفرق : ص ٣٣٧

(٣) فتح الباري : ١١/٢٢٣

وصفه به رسوله لا يتجاوز القرآن والحديث »[1] .

٢ـ لا يجوز أن نشتق لربنا أسماء مما أخبرنا الله به عن نفسه ، فلا يقال : إن من أسماء الله : المفتي والزارع والماكر والماهد والفالق أخذا من قوله تعالى : ﴿ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن﴾ [2] ، وقوله : ﴿أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون﴾ [3] ، وقوله : ﴿ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ [4] ، وقوله : ﴿والأرض فرشناها فنعم الماهدون﴾ [5] ، وقوله : ﴿إن الله فالق الحب والنوى﴾ [6] .

يقول الصنعاني : « اختلف العلماء هل هي توقيفية ، يعني أنه لا يجوز لأحد أن يشتق من الأفعال الثابتة لله تعالى اسماً ، بل لا يطلق عليه إلا ما ورد به نص الكتاب والسنة»[7] .

ولا ينافي التوقيف اشتقاق المصدر والفعل من الأسماء الثابتة لله تعالى ، فالأسماء الثابتة للباري ـ تبارك وتعالى ـ كالسميع والبصير والقدير يطلق عليه منها السمع والقدرة ، ويخبر عنه بالأفعال من ذلك نحو قوله تعالى : ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير﴾[8] ، وقوله : ﴿فقدرنا فنعم القادرون﴾ [9] .

وينبغي أن نعلم أن الإخبار عن الباري بالأفعال مما يثبت له من أسماء مقصور على

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية : ٢٦/٥

(٢) سورة النساء ١٢٧

(٣) سورة الواقعة : ٦٣ - ٦٤

(٤) سورة الإنفال : ٣٠

(٥) سورة الذاريات : ٤٨

(٦) سورة الأنعام : ٩٥

(٧) سبل السلام : ١٤٣/٣

(٨) سورة المجادلة : ١

(٩) سورة المرسلات : ٢٣

الأفعال المتعدية فحسب ، فإن كان الفعل لازما لم يخبر عنه به ، نحو الحي يطلق على الباري منه الاسم والمصدر دون الفعل[1] .

٣ـ عدم جواز دعاء الله بغير أسمائه وصفاته الثابته بالكتاب والسنة ، يقول الزَّجَّاج فيما نقله عنه ابن العربي : « لا يجوز دعاء الله بما لم يصف به نفسه » .

وقد جعل ابن العربي الزيادة في أسماء الله من الالحاد المنهي عنه في قوله : ﴿وذروا الذين يلحدون في أسمائه ﴾[2] . فقال : « والإلحاد يكون بالزيادة فيها ، والنقصان منها ، كما يفعله الجهال الذين يخترعون أدعية يسمون فيها الباري بغير أسمائه ، ويذكرونه بما لم يذكره من أفعاله ، إلى غير ذلك مما لا يليق به ، فحذار منها»[3] .

٤ـ اعتصامهم بألفاظ النصوص من الكتاب والسنة في باب أسماء الله وصفاته ، فلا يطلقون عليه ألفاظا محدثة مبتدعة ، كما فعل المبتدعة في هذا الباب .

يقول شارح الطحاوية رحمه الله تعالى : « التعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية النبوية الإلهية هو سبيل أهل السنة والجماعة ، والمعطلة يعرضون عما قاله الشارع من الأسماء والصفات ، ولا يتدبرون معانيها ، ويجعلون ما ابتدعوه من المعاني والألفاظ هو المحكم الذي يجب اعتقاده واعتماده ، وأمّا أهل الحق والسنة والإيمان فيجعلون ما قاله الله ورسوله هو الحق الذي يجب اعتقاده واعتماده »[4] .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الموضوع : « لم يدخل السلف والأئمة مع الطوائف فيما ابتدعوه من نفي وإثبات ، بل اعتصموا بالكتاب والسنة ، ورأوْا ذلك هو الموافق لصريح العقل ، فجعلوا كل لفظ جاء به الكتاب والسنة من أسمائه وصفاته حقًا يجب الإيمان به ، وإن لم تُعْرَفْ حقيقة معناه ، وكل لفظ أحدثه الناس

(١) راجع عقيدة السفاريني : ١/١٢٦

(٢) سورة الأعراف : ١٨٠

(٣) احكام القرآن لابن العربي : ٢/٨٠٥

(٤) شرح العقيدة الطحاوية : ١٠٩

فأثبته قوم ونفاه آخرون فليس علينا أن نطلق إثباته ولا نفيه ، حتى نفهم مراد المتكلم ، فإن كان مراده حقا قبلناه ، وإن كان باطلا مخالفا لما جاء به الكتاب والسنة من نفي أو إثبات منعنا القول به »[1] .

فالسلف الصالح يُحكّمون كتاب الله وسنة رسوله فيما أطلقته الفرق المنحرفة من أسماء وصفات على الله ، فلا يبادرون بقبوله ولا ردّه حتى يعلموا مراد قائله منه، فإذا ذكر معنى خطأ ردّوه على صاحبه ، لمخالفته الكتاب والسنة ، وإن ذكر معنى حسناً قبلوه وأقرّوه ، وقالوا لقائله : مرادك صحيح ، ولكن لا تستعمل هذه الألفاظ المبتدعة الموهمة .

فإن قيل : ما قولكم في من قال لنا : هل الله شيء أو ليس بشيء ؟ وهل الله موجود أو معدوم ؟ وهل الله قديم أومحدث ؟ وهل الله قائم بنفسه أو محتاج إلى غيره ؟ فهل يجوز أن نقول : إن الله شيء ، وموجود وقديم ، وقائم بنفسه ؟ فإن قلتم : نعم، خالفتم قاعدتكم ، وإن قلتم : لا ، قلتم قولا عظيما .

والجواب : أن قولنا بأنّ الله شيء ، وقديم ، وموجود ، وقائم بالنفس هو من باب الإخبار ، لا من باب الصفات ، فباب الاخبار يتوسع فيه ، أما باب الصفات فيقتصر فيه على ما ورد ، يقول ابن القيم : « ما يطلق عليه في باب الأسماء والصفات توقيفي، وما يطلق عليه من الأخبار لا يجب أن يكون توقيفيا ، كالقديم والشيء والموجود والقائم بنفسه . فهذا فصل الخطاب في مسألة أسمائه ، هل هي توقيفية أو يجوز أن يطلق عليه منها بعض ما لم يرد به السمع »[2] .

أقول والأفضل في باب الاخبار أن يصار إلى اللفظ الوارد في الكتاب والسنة عند وجود مثل هذا اللفظ ، فنقول : الأول بدل القديم . ونقول : القيوم بدل القيام بالنفس ، ونقول : الآخر بدل الأزلي والأبدي، فالتعبير بالمنصوص أولى وأحرى .

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ٦/٣٦، ٣/٤١

(٢) بدائع الفوائد : ١/١٦٢

وهنا أمر آخر نبّه عليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، وهو أنه لا يجوز أن يخبر عن الله ـ تبارك وتعالى ـ باسم سيء ، يقول رحمه الله تعالى : « ويفرق بين دعائه والاخبار عنه ، فلا يُدْعَى إلا باسم حسن ، أو باسم ليس بسيء ، وإن لم يُحْكَمْ مثل : اسم ، شيء ، وذات ، وموجود إذا أريد به الثابت ، وأما إذا أريد به الموجود عند الشدائد فهو من أسمائه الحسنى ، وكذلك المريد والمتكلم ، فإن الإرادة والكلام تنقسم إلى محمود ومذموم ، فليس ذلك من الأسماء الحسنى بخلاف الحكيم ، والرحيم ، والصادق ، ونحو ذلك فإن ذلك لا يكون إلا محمودا »[1] .

وقد يقال : تواتر النقل عن أهل العلم من المحدثين والمفسِّرين والفقهاء وغيرهم تفسيراتهم لأسماء الله وصفاته ، فكيف يستقيم القول بأنها توقيفية مع كثرة التفسيرات ؟

والجواب : كما يقول ابن القيم رحمه الله : « أنَّ أسماءه لا يقوم غيرها مقامها ، ولا يؤدي معناها ، وتفسيرها بغيرها ليس تفسيرا بمرادف محض ، بل هو على سبيل التقريب والتفهيم »[2] .

إطلاق لفظ الصفات على الله لا ينافي التوقيف . :

زعم بعض أهل العلم أن إطلاق لفظ « الصفات » على الله ـ تبارك وتعالى ـ ينافي التوقيف الذي جعله أهل السنة أحد الأسس الذي يقوم عليه معتقدهم في هذا الباب ، وقد ظنّ القائلون بهذا القول أن هذا الإطلاق مما جاء به المبتدعة ، ولم يأت به كتاب ولا سنة ، ولا نطق به سلف الأمّة .

وليس الأمر كما يقولون ، فقد جاء في كتاب الله قوله تعالى : ﴿ سبحان الله عما يصفون إلا عباد الله المخلصين ﴾ [3] .

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ١٤٢/٦

(٢) بدائع الفوائد : ١٦٨/١

(٣) سورة الصافات : ١٥٩

فقد نزه نفسه عما وصفه به المشركون والضالون من صفات النقص والعيب ، واستثنى من ذلك ما وصفه به عباده المخلصون من صفات الجمال والجلال والكمال .

وفي صحيح البخاري عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلا على سريّة ، وكان يقرأ لأصحابه في صلاته ، فيختم بقل هو الله أحد ، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلي الله عليه وسلم ، فقال :« سلوه ، لأيّ شيء يصنع ذلك ؟ فسألوه فقال : لأنها صفة الرحمن ، وأنا أحب أن أقرأ بها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أخبروه أن الله يحبه»[1] .

والشاهد في الحديث أنَّ الصحابي قال : لأنها صفة الرحمن ، وأقرّه الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم ينكر عليه ، فلو كان هذا الإطلاق مما لا يجوز لأنكره عليه الرسول صلى الله عليه و سلم .

وجاء في شرح ابن حجر للحديث السابق الذي أورده البخاري ما نصه : « في الحديث حجة لمن أثبت أن لله صفة ، وهو قول الجمهور »، وشذَّ ابن حزم فقال: «هذه لفظة اصطلح عليها أهل الكلام من المعتزلة ومن تبعهم ، ولم تَثْبُتْ عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا عن أحد من أصحابه ، فإن اعترضوا بحديث الباب فهو من أفراد سعيد بن أبي هلال ، وفيه ضعف ، وعلى تقدير صحته(فقل هو الله أحد) صفة الرحمن كما جاء في الحديث ، ولا يزاد عليه ، بخلاف الصفة التي يطلقونها ، فإنها في لغة العرب لا تطلق إلا على جوهر أو عرض »[2] .

وعقَّب ابن حجر في رده على ابن حزم قائلا :سعيد متفق على الاحتجاج به ، فلا يلتفت إليه في تضعيفه . وكلامه الأخير مردود باتفاق الجميع على إثبات الأسماء الحسنى . قال الله تعالى : ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾[3] .

والأسماء المذكورة فيها بلغة العرب صفات ، ففي إثبات أسمائه إثبات صفاته ،

---

(١) انظر فتح الباري : ٣٤٨/١٣

(٢) فتح الباري : ١٣ / ٣٥٦

(٣) سورة الأعراف : ١٨٠

لأنه إذا أثبت أنه حي مثلا فقد وصفه بصفة زائدة على الذات وهي صفة الحياة ، ولولا ذلك لوجب الاقتصار على ما ينبئ عن وجود الذات فقط[1] .

الأساس السابع

ترك البحث في حقيقة الذات الإلهية والصفات التي تستحقها

إنّ ذات الله - تبارك وتعالى - ليس كمثلها شيء ، وكذلك صفاته تبارك وتعالى ، فالكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات ، وإذا كانت الذات لا يعلم كنهها وحقيقتها فكذلك الصفات لا يعلم كنهها وحقيقتها ، ومصداق ذلك في كتاب الله قوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾[2] .

ومن هنا منع الذين فقهوا المنهج القرآني السؤال عن الله وصفاته بكيف ، لأن حقيقة الذات والصفات لا يمكن أن تعلم ، فلا يقال : كيف الله ؟ ولا كيف استوى ؟ ولا كيف علمه وسمعه وبصره ؟

وهذا لا يقضي نفي الصفة وقد أشار الحق إلى هذه الحقيقة بقوله : ﴿ ولا يحيطون به علما ﴾[3] ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه ﴾[4] فرؤية الله في الآخرة ممكنة، ولكن الإحاطة بالله منفية ، وإدراك معنى العلم ممكن ، ولكن الإحاطة بعلم الله غير ممكنة .

وقد نهى الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن التفكر في ذات الله ، وأمر بالتفكر في خلق الله ، ففي الحديث : « تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله»[5]، وفي الحديث الآخر : « تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله »[6] .

---

(١) فتح الباري : ٣٥٧/١٣

(٢) سورة الشوري : ١١

(٣) سورة طه : ١١٠

(٤) سورة البقرة : ٢٥٥

(٥) صحيح الجامع الصغير : ٩/٣

وهو بذلك يريح الفكر الإنساني من الخوض في مجال لا يحسنه ، ولا يستطيع أن يدركه . وسئل سهل بن عبد الله التستري عن ذات الله فقال : « ذات الله موصوفة بالعلم ، غير مدركة بالإحاطة ، ولا مرئية بالأبصار في دار الدنيا ، وهي موجودة بحقائق الإيمان ، من غير حدّ ولا إحاطة ولا حول ، وتراه العيون في العقبى، ظاهرا في مُلْكِه وقدرته ، وقد حجب الخلق عن معرفة كنه ذاته ، ودلهم عليه بآياته ، فالقلوب تعرفه ، والعيون لا تدركه ، ينظر إليه المؤمن بالأبصار ، من غير إحاطة ولا إدراك نهاية»[1] .

وقال أبو جعفر الطحاوي في العقيدة التي تنسب إليه : « لا تبلغه الأوهام ، ولا تدركه الأفهام ، ولا يشبه الأنام » .

وقال أيضا : « والرؤية حقٌّ لأهل الجنة بلا إحاطة ولا كيفية ، كما نطق به كتاب ربنا ﴿ وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ربها ناظرة ﴾ »[2] [3] .

الأساس الثامن :
عدم الإلحاد في أسماء الله وصفاته

الابتعاد عن الالحاد في أسماء الله وصفاته معلم بارز من معالم أهل السنة والجماعة في هذا الباب ، واتباع هذا السبيل هو تحقيق لما حذّر الله منه في قوله : ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه ﴾ [4] وقوله : ﴿ إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا ﴾ [5] .

---

(٦) صحيح الجامع الصغير : ٩/٣

(١) شرح العقيدة الطحاوية : ص ١٧

(٢) سورة القيامة : ٢٢-٢٣

(٣) العقيدة الطحاوية : ص ٢٦

(٤) سورة الأعراف : ١٨٠

(٥) سورة فصلت : ٤٠

« والإلحاد في أسمائه هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها ، وهو مأخوذ من الميل ، كما تدل عليه مادته : (ل ح د) . فمنه اللحد ، وهو الشق في جانب القبر ، الذي قد مال عن الوسط ، ومنه الملحد في الدين المائل عن الحق إلى الباطل . قال ابن السِّكِّيتِ : الملحد المائل عن الحق ، المدخل فيه ما ليس فيه ، ومنه المُلْتَحَد ، وهو مفتعل من ذلك . وقوله تعالى : ﴿ ولن تجد من دونه ملتحدا ﴾[1] . أي من تعدل إليه ، وتهرب إليه ، وتلجأ إليه ، وتبتهل إليه ، فتميل إليه عن غيره ، تقول العرب : التحد فلان إلى فلان إذا عَدَلَ إليه »[2] .

أنواع الإلحاد في أسماء الله وصفاته

الإلحاد في أسماء الله وصفاته ثلاثة أنواع :

الأول : التكذيب بأسماء الله أو ببعض هذه الأسماء كتكذيب المشركين باسم الرحمن ، قال تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن ، قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا ﴾[3] .

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية : « أي لا نعرف الرحمن ، وكانوا ينكرون أن يسمى الله باسمه الرحمن، كما أنكروا ذلك يوم الحديبية حين قال النبي صلى الله عليه وسلم للكاتب : اكتب « باسم الله الرحمن الرحيم » . فقالوا : لا نعرف الرحمن ولا الرحيم ، ولكن اكتب كما كنت تكتب : باسمك اللهمَّ ، ولهذا أنزل تعالى : ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾[4].

وقال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية : « قل يا محمد لهؤلاء المشركين المنكرين

---

(١) سورة الكهف : ٢٧

(٢) بدائع الفوائد : ١٦٨/١ ، وراجع تفسير الطبري : ١٣٤/٩ وتفسير ابن كثير : ٢٥٨/٣

(٣) سورة الفرقان : ٦٠

(٤) سورة الاسراء : ١١٠

صفة الرحمة لله ــ عز وجل ــ المانعين من تسميته بالرحمن ﴿ ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ [1] أي لا فرق بين دعائكم له باسم الله أو باسم الرحمن ، فإنه ذو الأسماء الحسنى »[2] .

ومن هذا النوع من الإلحاد إلحاد الجهمية الذين نفوا عن الله أسماءه كما نفوا عنه صفاته ، ومنهم الذين عطلوا أسماء الله وصفاته عن معانيها وجحدوا حقائقها ، فقالوا: إن أسماء الله وصفاته ألفاظ مجردة لا تتضمن أية معاني ، فيقولون هو حي بلا حياة، وسميع بلا سمع ، وبصير بلا بصر ، ورحمن بلا رحمة .

الثاني : وصف الخالق بصفات الخلق ، فمن ذلك :

١ــ وصف الله بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص ، كقول خبثاء اليهود: ﴿ إن الله فقير ونحن أغنياء ﴾[3] ، وقولهم : ﴿ يد الله مغلولة ﴾[4] ، وقولهم : إن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام ، فتعب ، واستراح في اليوم السابع ، فأكذبهم الله في قوله : ﴿ ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب ﴾[5] .

٢ــ تسمية الله ــ تبارك وتعالى ــ بأسماء الخلق ، كتسمية النصارى له أبا ، وتسمية الفلاسفة له موجبا بذاته ، أو العلة الفاعلة ، أو العقل الفعال .

٣ــ تشبيه صفات الله بصفات خلقه ، فالمشبهة يزعمون أن لله وجها كوجهنا ، ويدا كأيدينا ، واستواءً كاستوائنا .

الثالث : منازعة الباري في أسمائه وصفاته ، ووصف المخلوقات بما يختص به الخالق .

---

(١) سورة الاسراء : ١١٠

(٢) تفسير ابن كثير : ٥/ ١٦١

(٣) سورة آل عمران : ١٨١

(٤) سورة المائدة : ٦٤

(٥) سورة ق : ٣٨

فمن ذلك دعوى الألوهية والربوبية ، كقول فرعون طاغية مصر لقومه ﴿ ما علمت لكم من إله غيري ﴾ [1] ودعواه بأنه ربهم الأعلى في قوله : ﴿ أنا ربكم الأعلى﴾ [2] .

ومن ذلك تسمية المشركين أصنامهم بأسماء الله تعالى ، فقد ذكر ابن عباس وابن جُرَيْج ومجاهد أن المشركين عدلوا بأسماء الله تعالى عما هي عليه ، فسموا بها أوثانهم ، فزادوا ونقصوا ، فاشتقوا اللات من الله ، والعزى من العزيز ، ومناة من المنان .

ومن هذا تسمية بعض المسلمين أبناءهم بأسماء الله تبارك وتعالى ، فيسمونهم باسم عزيز ، وجبار ، وقد يشتقون لهم أسماء من أسماء الله ، مثل عزات ، فإنه مشتق من العزيز .

---

(١) سورة القصص : ٣٨

(٢) سورة النازعات : ٢٤

المبحث الثالث
الأدلة على أن ما ذكرناه في المبحث السابق هو معتقد السلف

قد ينازع بعض الذين ينسبون إلى الإسلام في أنَّ الذي نقلناه عن الأئمة الأعلام هو معتقد السلف في أسماء الله وصفاته ، ويقولون : ما دليلكم على ما قررتموه؟

ويمكننا أن نستدل على إجماعهم واجتماعهم على هذا المعتقد بأدلة منها :

الأول : نَقْلُ السلف لنصوص الأسماء والصفات من غير تكذيب بها كما فعل قوم ، ومن غير تشبيه لصفات الخالق بصفات المخلوق ، كما فعل آخرون ، ومن غير تحريف وتأويل لها كما فعل فريق ثالث .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية موضحا هذا الاستدلال : « والدليل على أن هذا مذهب السلف أنهم نقلوا إلينا القرآن العظيم ، وأخبار رسول الله ـ صلى الله عيله وسلم ـ نقل مصدق لها ، مؤمن بها ، قابل لها ، غير مرتاب فيها ، ولا شاك في صدق قائلها ، ولم يفسروا ما يتعلق بالصفات منها ، ولا تأولوه ، ولا شبهوه بصفات المخلوقين، إذ لو فعلوا شيئا من ذلك لنقل عنهم ، ولم يجز أن يكتم بالكلية ، إذ لا يجوز التواطؤ على كتمان ما يحتاج إلى نقله ومعرفته ، لجريان ذلك في القبح مجرى التواطؤ على نقل الكذب وفعل ما لا يحل .

بل بلغ من مبالغتهم في السكوت عن هذا : « أنهم كانوا إذا رأوا من يسأل عن المتشابه بالغوا في كفه ، تارة بالقول العنيف ، وتارة بالضرب ، وتارة بالإعراض الدالِ على شدّة الكراهة لمسألته »[1] .

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ٣/٤

الثاني : استدلالهم بالنصوص على صحة الأصول التي قام عليها هذا المعتقد ، وقد مرَّ معنا كثير من هذه الاستدلالات .

الثالث : نقل نصوص كلامهم المتفقة في معانيها على النصّ على الأصول التي ذكرناها ، وقد نقلنا جملة من كلام السلف في هذا ، وإن شئت أن تطلع على المزيد من أقوالهم فارجع إلى المدونات التي نقلت هذه الأقوال .

الرابع : إخبار الثقات العارفين بأقوال السلف والعالمين بأقوال الغابرين من المستقيمين والمنحرفين على أنَّ هذا هو معتقد السلف لا يختلفون عليه .

يقول محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة : « اتفق الفقهاء كُلهم من الشرق والغرب، على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفات الرب ـ عزّ وجل ـ من غير تفسير ، ولا وصف ولا تشبيه، فمن فسر شيئا من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، وفارق الجماعة ، فإنهم لم يصفوا ، ولم يفسِّروا ، ولكن آمنوا بما في الكتاب والسنة ، فمن قال بقول جَهْم فقد فارق الجماعة»[1] .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن حكى مذهب السلف في أسماء الله وصفاته :« على هذا مضى السلف كلهم ، ولو ذهبنا نذكر ما اطلعنا عليه من كلام السلف في ذلك لخرجنا عن المقصود في هذا الجواب . وقد ثبت ما ادعيناه من مذهب السلف رضوان الله عليهم بما نقلناه عنهم جملة وتفصيلا ، واعتراف العلماء من أهل النقل كلهم بذلك ، ولم أعلم عن أحد منهم خلافا في هذه المسألة »[2] .

وقد بين شيخ الإسلام أنه لم ير بعد التحري التام ، ومطالعة ما أمكن من كلام السلف أحدا منهم يدلّ كلامه لا نصًا ولا ظاهرا على نفي الصفات الخبرية في نفس الأمر، وما رأى أحدا نفاها ، وإنما ينفون التشبيه ، وينكرون على المشبهة الذين

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ٤/٧

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ٥/١١١-١١٤

يشبهون الله بخلقه ، وينكرون على من ينفي الصفات ، كقول نعيم بن حماد ــ شيخ البخاري :« مَنْ شبَّه الله بخلقه كفر ، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيها »[1]

وقال ابو عمر : « أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلّها في القرآن والسنة والإيمان بها ، وحملها على الحقيقة ، لا على المجاز ، إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك ، ولا يجحدون فيه صفة محصورة .

وأما أهل البدع من الجهمية والمعتزلة والخوارج فكلهم ينكرها ، ولا يحمل شيئا منها على الحقيقة ، ويزعمون أنَّ من أقرَّ بها مشبه ، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله ، وهم أئمة الجماعة والحمد لله »[2] .

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ١٧٧/٣٣

(٢) التمهيد لابن عبد البر : ١٤٥/٧

المبحث الرابع

خصائص المنهج السلفي

للمنهج السلفي الذي كان عليه الصحابة فمن بعدهم من أئمة الهدى خصائص تميزه عن غيره من المناهج والطرائق ، وإدراك هذه الخصائص ينير الطريق أمام الباحثين عن الحق في هذا الباب . وسنسوق في هذا المبحث أهم هذه الخصائص التي ظهرت لنا من خلال هذه الدراسة :

أولا : مذهب السلف هو المذهب الأكمل والأعلم والأسلم

مذهب السلف يمثل الفقه الأصيل لما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه فهو الحق الذي لا ريب فيه ، والنور الهادي إلى سواء السبيل ، وهو المنقذ من ظلمات الباطل ، وغياهب الشرك . وقد نازعهم أهل الانحراف عن الصراط المستقيم زاعمين أنهم أهل الهداية والاستقامة ، وسيأتي مزيد بحث في أحقية السلف بالمنهج الأمثل ، وتقرير أن مسارهم هو الأعلم والأسلم في خاتمة هذا البحث تحت عنوان : « منهج السلف في معترك الصراع » .

ثانيا : التوسط والاعتدال

السلف الصالح أهل التوسط والاعتدال في الأمور كلها ، وأعظمها باب الاعتقاد، فهم وسط بين المذاهب الجافية والمذاهب الغالية ، وهم في باب الأسماء والصفات وسط بين أهل التمثيل الذين شبهوا الله بخلقه وبين النفاة أهل التعطيل الذين عطلوا الباري عن صفاته .

يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى :« قولنا هو الوسط في فرق الأمة ، كما أن الأمة هي الوسط في الأمم ، فهم وسط في باب صفات الله بين أهل التعطيل الجهمية وأهل

التمثيل المشبهة »[1] .

ويقول السفاريني : « مذهب السلف من الفرقة الناجية بين التعطيل وبين التمثيل ، فلا يمثلون صفات الله تعالى بصفات خلقه ، كما لا يمثلون ذاته بذوات خلقه ، ولا ينفون ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ، فيعطلون أسماءه الحسنى ، وصفاته العليا ، ويحرفون الكلم عن مواضعه »[2] .

والسر في هذه الوسطية أنَّ السلف استمسكوا بالحق الذي أنزل إليهم من ربهم ، والحق دائما وسط بين الافراط والتفريط وبين الغلو والتقصير .

أما الفرق الضالة عن الحق فهي دائمة التطرف ، وإذا تطرف فريق ظهر فريق آخر يقابله في الطرف الآخر ، فالجهمية بالغوا في نفي صفات الله تبارك وتعالى ، حتى أصبح وجود الباري عندهم ليس له حقيقة ، وإنما هو وجود ذهني فرضته عقولهم ، فجاء مقاتل بن سليمان وبالغ في إثبات الصفات حتى جسّم ، يقول الذهبي : « وظهر بخراسان الجهم ابن صفوان ، ودعا إلى تعطيل الرب عزَّ وجلَّ ، وخَلْقِ القرآن ، وظهر بخراسان في قبالته مقاتل بن سليمان المفسِّر ، وبالغ في إثبات الصفات حتى جسّم»[3] .

وزعمت الجهمية أن القرآن مخلوق ، فجاء ابن كلاَّب وتطرف في رده على المعتزلة ، وظنَّ أنه لا يستطيع دفع باطلهم إلا باعتقاد أن كلام الله تعالى معنى واحد قائم بذاته.

ثالثا : الاعتصام بالكتاب والسنة

أخص خصائص أتباع المنهج القرآني النبوي الذي اعتمده أهل السنة والجماعة هو الاعتصام بالكتاب والسنة استجابة لأمر الله - تبارك وتعالى - في

---

(١) العقيدة الواسطة لشيخ الإسلام : ص ٣٢ المكتبة السلفية - القاهرة ، الطبعة التاسعة ١٣٩٩ هـ

(٢) لوامع الأنوار البهية للسفاريني : ١/١١٦ .وراجع مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ٥/٢٧

(٣) تذكرة الحفاظ ١٥٩ - ١٦٠ .واشار إلى هذا المعنى شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى : ٦/٣٥

قوله: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾[1] .

ولا شك أنَّ في الاعتماد على الكتاب والسنة عصمة للعقول من الضلال ، والنفوس من الزيغ ، والقلوب من الانحراف ، ولهذا كان علماؤنا يقولون : الاعتصام بالسنة نجاة ، قال مالك رحمه الله : « السنة مثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها هلك »[2] .

فأهل الحق فقهوا معاني ما جاءهم من عند الله ، واعتمدوا على ما دلَّت عليه النصوص أو على ما استنبطوه منها ، لا على خيال فلسفي ، أو رأي أو قياس ، أو ذوق وجداني ، فأقامهم هذا المنهج على الصراط المستقيم الذي أمرنا الله باتباعه ﴿وأنَّ هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾[3] ، وَحكَمَ على الآخذين بما جاءهم من عند الله بالاهتداء إليه ، ومن يؤمن بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم .

رابعا : الطمانينة والسكينة التي يسكبها هذا المنهج في قلوب أصحابه

وهذه خاصية يعلمها من خالط القوم ، ونظر في علومهم ومؤلفاتهم وسيرهم ، فإن الناظر في ذلك كله يدرك ذلك الإيمان الراسخ والمعرفة الواضحة التي يمتاز بها علماء السلف الصالح .

والسر وراء ذلك أنَّ السلف الصالح هم أتباع المنهج القرآني النبوي ، ونصوص القرآن والسنة تقود أتباعها إلى اليقين والطمأنينة والسكينة ﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾[4] .

إن النفوس لا تثق بأقوال البشر ، وتبقى هذه الأقوال محل نظر وبحث ، فإذا كان الذي يقرر لها الحقائق الغيبية والعلوم الشرعية هو ربها ومعبودها وخالقها فإن

---

(١) سورة آل عمران : ١٠٣

(٢) مجموع فتاوي شيخ الإسلام : ١٣٧/٤

(٣) سورة الأنعام : ١٥٣

(٤) سورة الرعد : ٢٨

النفوس تخضع لقوله ، وتسكن للهدى الذي جاءها من عنده .

أضف إلى هذا أنَّ الباري ـ تبارك وتعالى ـ عليم بمداخل النفوس البشرية ، ولذا فإن القرآن إذا أقبل عليه العبد يورد على النفوس من البراهين والحقائق والمؤثرات ما يجعل النفوس توقن بصدق ما جاءها من عند الله .

ومن هنا نعلم أن دعوى الرازي وأمثاله من أن أدلة الكتاب والسنة لا تفيد اليقين ، ولا تفيد العلم دعوى باطلة ، تناقض ما يقرِّره الحق في كتابه والرسول صلى ـ الله عليه وسلم ـ في سنته[1] .

يحكي ابن تيمية أن أبا عبدالله الرازي وآخر من متكلمي المعتزلة دخلا على نجم الدين الكُبْرِي فقالا له : يا شيخ ، بَلَغَنَا أنك تعلم علم اليقين !

فقال : نعم ، أنا أعلم علم اليقين .

فقالا : كيف يمكن ذلك ، ونحن من أول النهار إلى الساعة نتناظر فلم يقدر أحدنا أن يقيم على الآخر دليلا ؟

فقال : ما أدري ما تقولان ، ولكن أنا أعلم علم اليقين .

فقالا له : صف لنا علم اليقين .

فقال : علم اليقين ـ عندنا ـ واردات ترد على النفوس ، تعجز النفوس عن ردها، فجعلا يقولان : واردات ترد على النفوس تعجز النفوس عن ردها ، ويستحسنان هذا الجواب[2] .

ولا شك أنَّ هذه الواردات التي ترد على النفوس تأتي عبر النظر في كلام الله وكلام رسوله ، والفقه عن الله وعن الرسول مرادهما ، وتأتي من خلال العمل بتوجيهات القرآن في عبادة الله وخوفه وتعظيمه .

---

(١) مجموع فتاوي شيخ الإسلام : ٤/ ١٠٤

(٢) مجموع فتاوي شيخ الإسلام : ٤/ ٤٣

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « كل من كان بالله أعرف ، وله أعبد ، ودعاؤه له أكثر ، وقلبه له أكثر ، كان علمه الضروري بذلك أقوى وأكمل »[1] .

ويقول : « ما أوتيه علماء أهل الحديث وخواصهم من اليقين والمعرفة والهدى أمر يجل عن الوصف ، بل عند عوامهم من اليقين والعلم النافع ما لم يحصل منه شيء لأئمة المتفلسفة المتكلمين[2] .

ومما يدلك على صحة ما نقول أنّ السلف الصالح وأتباعهم أعظم الناس صبرا عند المحن والبلاء والشدائد ، فلا يرجع الواحد عن معتقده مهما حلّ البلاء بساحه ، وهذا حال الرسل ، وأتباع الرسل ، وكيف يرجعون عن الإيمان الذي منحهم الله إياه، بعد أن خالطت بشاشته القلوب ، وذاقت حلاوته النفوس ، بل كثير منهم يجدون في البلاء من الحلاوة والرضا والطمأنينة أضعاف أضعاف ما يجدونه عند الرخاء . وهذا حالهم أيضا عندما ترد عليهم الشبهات ، فإنهم يدفعونها باليقين والنور الذي تلقوه من الكتاب والسنة .

خامسا : التوافق والانسجام لا التناقض والاختلاف

ما أنزل من عند الله لا اختلاف فيه بحال من الأحوال ، ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾[3] .

والمؤمنون بالمنهج القرآني النبوي في باب أسماء الله وصفاته منهجهم يصدق بعضه بعضا ، فلا اختلاف ولا تناقض بين ما يُقَعِّدونه من قواعد ، وما يأصلونه من أصول ، وما يأتون به من تفاصيل ، بخلاف أصحاب المنهج الفلسفي الكلامي ، فإنهم متناقضون مضطربون فيما يقعدونه ويفصلون فيه ، ويتبين ذلك بعدة أمور :

١ـ دعواهم أنهم بنفيهم الأسماء والصفات ، أو نفي الصفات دون الأسماء

---

(١) مجموع فتاوي شيخ الإسلام : ٤/٤٥

(٢) مجموع فتاوي شيخ الإسلام : ٤/٢٩

(٣) سورة النساء : ٨٢

يريدون تنزيه الباري جلّ وعلا ، فهم يّدعون أن إثبات الأسماء والصفات ، أو إثبات الصفات يستلزم التشبيه والتمثيل ، ولم ينتبهوا إلى أنهم إذا نفوا عن الله ما وصف به نفسه من صفات شبهوه بالمعدومات ، ولما تنبه فريق من هؤلاء إلى الضلال الذي وقعوا فيه ، نفوا عنه النقيضين ، فقالوا : لا نقول إنه داخل العالم ولا خارجه ، ولا أنه عالم ولا جاهل الخ ، ولم يتنبهوا إلى أنهم شبهوه بالممتنعات ، وهكذا كل من حاد عن المنهج القرآني لا بدّ أن يقع في التناقض والاختلاف .

٢ـ أصل الفلسفة عند أصحابها هو التشبه بالإله على قدر الطاقة ، ويجعلون هذا غاية الحكمة ونهاية الكمال الإنساني ، ويؤيدون هذا بما ينسبونه للرسول صلى الله عليه وسلم من قوله : « تخلقوا بأخلاق الله » وهذا باطل رواية ودراية ، أما رواية فليس لهذا الحديث أصل في كتب السنة ، وأمّا دراية فإن صفات الله لا تسمى أخلاقا ، ثم إنّ بعض الصفاتَ لا يجوز الاتصاف بها كالجبروت والعظمة والكبرياء[1] فكيف يدعو الفلاسفة إلى التشبه بصفات الباري ، وهم الذين يجتهدون كل الاجتهاد في نفي صفاته عنه ، أليس في هذا تناقض ؟ !!

٣ـ عمدة نفاة الصفات دعواهم أنّ العقل يحيل إثبات ما نفوه من الصفات ، فمن أنكر رؤية الله في الآخرة يزعم أن العقل يحيل رؤيته ، ولذا فإنّه مضطر لتأويل النصوص الدالّة على رؤية الله ، ومن يحيل أن لله علما وقدرة ، وأن كلامه غير مخلوق يَدّعي الدعوى نفسها في إحالة العقل ذلك ، واضطراره إلى التأويل ، بل إنّ الفلاسفة الذين أنكروا حشر الأجساد والأكل والشرب الحقيقي في الجنة يزعمون أن العقل أحال ذلك ، وأنه مضطر إلى التأويل .

وهؤلاء الذين اعتمدوا على إحالة العقل ليس لهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل ، فإنّ بعضهم يزعم إحالة العقل فيما يدعي غيره إيجاب العقل إثباته .

وعند التحقيق والنظر يظهر فساد قول هؤلاء فيما زعموا أنّ العقل أحاله ، وما

---

(١) راجع شرح العقيدة الطحاوية : ص ٢٣ .

زعموا وجوب تأويله أخطؤوا في حكمهم ، فالنصوص التي أوّلوها لا تحتمل التأويل، والعقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح بحال .

٤ـ إن أصحاب الكلام أكثر الناس انتقالا من قول إلى قول ، وجزما بالقول في موضع ، وجزما بنقيضه وتكفير قائله في موضع آخر ، وهذا دليل عدم اليقين ، ولذا فإن أصحاب الكلام كثيرو النزاع والاختلاف ، والفلاسفة أكثر منهم اختلافا ونزاعا.

وبسبب كثرة تناقضهم واختلافهم تراهم يكفّر بعضهم بعضا ، ويتبرأ بعضهم من بعض بخلاف أهل السنة .

يقول عبد القاهر البغدادي : « أهل السنة لا يكفر بعضهم بعضا ، وليس بينهم خلاف يوجب التبري والتكفير ، فهم إذن أهل الجماعة القائمون بالحق ، والله تعالى يحفظ الحق وأهله ، فلا يقعون في تناقض وتنابذ .

وليس فريق من فرق المخالفين إلا وفيهم تكفير بعضهم لبعض ، وتبري بعضهم من بعض كالخوارج ، والروافض ، والقدرية ، حتى إذا ما اجتمع سبعة منهم في مجلس واحد افترقوا عن تكفير بعضهم بعضا ، وكانوا بمنزلة اليهود والنصارى حين كَفَّرَ بعضهم بعضا »[1] .

سادسا : منهج ميسر في أسلوبه ومعانيه

الذي يطالع كتب الفلسفة وكتب علم الكلام التي تتحدث عن الله وأسمائه وصفاته يجد الأسلوب الذي صيغت به يتصف بالتعقيد والتخليط والجفاف ، وتكثر فيها المصطلحات الغريبة على الفكر الإسلامي ، وهذا النمط من الأساليب عندما تُعْرَضُ به العقيدة الإسلامية فإنّه يُذهب بهاءها ، ويُطفئ ضياءَها ، ولا يستطيع هذا الأسلوب أن يحمل المعاني التي جاءت بها نصوص الكتاب والسنة .

إنّ الأسلوب القرآني يمتاز بالسهولة واليسر والبساطة والوضوح ، وهذا يجعل

---

(١) الفرق بين الفرق : ص ٣٦١

إدراك العقيدة سهلا ميسّراً لا للعلماء فحسب ، بل لكافة المستويات من الناس على اختلاف مداركهم وفطرهم ، يأخذ كلٌّ حسب طاقته من التفكير والإقناع ، بخلاف تلك الأساليب الفلسفيّة والكلاميّة المعقّدة المليئة بالمصطلحات ، إذ لا يدرك محتوياتها إلا القليل من الناس .

أضف إلى هذا أنّ المضمون الذي تعرضه نصوص القرآن والحديث يخلو من التناقضات والمعارضات التي يوردها المتكلمون ، والتي يحطم بعضها بعضا ، ويزلزل اللاحق ما قرّره السابق ، وعند ذلك تضلّ العقول ، وتختل الموازين ، فلا تستطيع إدراك الحق من خلال سيول الشبه والمناقضات والمعارضات ، فيخرج دارسي هذا العلم من وراء دراستهم بالشبه والحيرة .

وقد أدرك الرازي هذا المعلم الذي يتصف به المنهج القرآني ، والذي خلا منه المنهج الكلامي ، فقال في وصيته التي أملاها على تلاميذه في مرض وفاته : « لقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية ، فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن العظيم ، لأنّه يسعى في تسليم العظمة والجلال بالكلية لله تعالى ، ويمنع من التعمق في إيراد المعارضات والمناقضات، وما ذاك إلا للعلم بأن العقول البشرية تتلاشى وتضمحل في تلك المضايق العميقة والمناهج الخفية .

ولهذا أقول : كلَّما ثبت بالدلائل الظاهرة من وجوب وجوده ووحدته وبراءته من الشركاء في القدم والأزلية والفاعلية ، فذلك هو الذي أقول به وألقى الله تعالى عليه»[1] .

ومن هنا نصّ العلماء على أنّه : « لا يجوز مخاصمة أهل الحق بإلقاء شبهات أهل الأهواء عليهم ، لأن في ذلك دعاء إلى الباطل ، وتلبيس الحقّ ، وإفساد دين الإسلام»[2] .

---

(١) هذا النقل مثبت عن الرازي في مقدمة محرر كتاب الرازي : اعتقادات فرق المسلمين : ص ٢٤

(٢) شرح العقيدة الطحاوية : ٣٥١

الفصل الثالث
المخالفون لمذهب السلف في باب أسماء الله وصفاته

ضلّ عن الصراط المستقيم في باب أسماء الله وصفاته الذي كان عليه السابقون الأولون من الصحابة والتابعين ، والذين سلكوا طريقهم من بعدهم أقوام انحرف بهم المسار ، وإن تفاوت ضلال هؤلاء ، فبعضهم ضلّ ضلالا كليًا ، وكان ضلال فريق آخر جزئيا .

وسنتناول في المباحث التالية أنماط هذه الانحرافات ، ونلقي عليها أضواء كاشفة تعصم مَنْ طالعها بمشيئة الله من التردّي في الهاوية .

المبحث الأول
الذين يصفون الباري بصفات النقص

وهؤلاء هم الأراذل في هذه الأمة ، الذين يسبون الخالق ، ويصفونه بصفات النقص التي يتنزه عنها العباد المخلوقون المربوبون ، وهؤلاء هم زنادقة هذه الأمّة وضلالها ، وهم في هذه الأمّة كسابقيهم من بني إسرائيل الذين زعموا أن ﴿ يد الله مغلولة ، غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ﴾ [1].

وقال قدوة هؤلاء من ضالّي بني إسرائيل : ﴿ إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب

---

(١) سورة المائدة : ٦٤

ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب السعير ﴾ .[1]

وزعم ضُلاّ ل بني إسرائيل أن الله تعب بعد خلقه للسموات والأرض في ستة أيام فاستراح في اليوم السابع فأكذبهم الله في مقالتهم عليه ﴿ ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب ﴾[2] .

وزعم بعض أهل الجاهلية أنّ الله لا يعلم حديث السرّ والنجوى ﴿ وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون ، وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين﴾ [3] . وقال في هذا الصنف : ﴿ أم يحسبون أنا لانعلم سرهم ونجواهم﴾[4].

ومن صفات النقص التي وصف الضالون ربّهم بها أنّ الملائكة بنات الله ، وان عيسى ابن الله ، وأن الله اتخذ صاحبة ، وقد نزه الله ـ تبارك وتعالى ـ نفسه عن هذا الافتراء العظيم في مثل قوله : ﴿ قل هو الله أحد، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد ﴾ .[5]

وقوله : ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ، لقد جئتم شيئا إدا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا ، وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا ﴾ .[6]

---

(١) سورة آل عمران : ١٨١

(٢) سورة ق : ٣٨

(٣) سورة فصلت : ٢٢ - ٢٣

(٤) سورة الزخرف : ٨٠

(٥) سورة الاخلاص

(٦) سورة مريم : ٨٨-٩٢

المبحث الثاني
الذين يشبّهون الله بخلقه

زعم بعض الذين يُنْسَبُون إلى الإسلام ممن ضلّ في باب الاعتقاد ضلالا عظيما أنّ صفات الله كصفات البشر ، وذاته كذوات المخلوقات ، تعالى الله عمّا يقول الظالمون علوّا كبيرا .

وما كان للمسلم أن يحكي مقالة هؤلاء لولا أن المقام مقام بيان لباطل هؤلاء وتحذير منه . والذين قالوا هذه المقالة أكثرهم من الفرق الضالة المبتدعة ، فقد زعم هذا الزعم وتوجه هذا الاتجاه غلاة الشيعة ، ووصل هذا المرض إلى بعض أهل الحديث وبعض أتباع الأئمة : أبي حنيفة ، وأحمد، والشافعي ، ومالك .

يقول الشهرستاني رحمه الله تعالى : « الذين صرحوا بالتشبيه جماعة من الشيعة الغالية ، و جماعة من أهل الحديث الحَشَوية ، مثل الهشامين من الشيعة ، ومثل مضر وكَهْمَس وأحمد الهجيمي ، وغيرهم من الحَشَوية »[1] .

وقال الرازي : « كان بُدوُّ التشبيه في الإسلام من الروافض مثل بنان بن سمعان الذي كان يثبت لله تعالى الأعضاء والجوارح ، وهشام بن الحكم بن سالم الجواليقي ، ويونس بن عبد الرحمن القُمّي ، وأبو جعفر الأحْول الذي كان يُدْعى شيطان الطاق، وهؤلاء رؤساء علماء الروافض ، ثمّ تهافت في ذلك المحدّثون الذين لم يكن لهم نصيب من المعقولات »[2] .

وفرق الشيعة الغالية التي قالت بالتشبيه وذكرها الرازي هي : الحكَمِية أصحاب هشام بن الحكم ، والجَوَاليقية أتباع هشام بن سالم الجَوَاليقي الرافضي ، واليُونسية أتباع يونس بن عبد الرحمن القُمّي ، والشيطانية أتباع شيطان الطاق ، والحواريّة

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني : ١/١٠٥

(٢) اعتقاد فرق المسلمين والمشركين : ص: ٦٣

أصحاب داود الحواري[1] . وهناك فرقة ثالثة قالت بالتشبيه وهم الكرامية أتباع أبي عبدالله محمد بن كرَّام من زهاد سجستان[2] .

ويقول ابن تيمية : « المشبهة والمجسِّمة في غير أصحاب أحمد أكثر منهم فيهم ، فهؤلاء أصناف الأكراد كلهم شافعية ، وفيهم من التشبيه والتجسيم ما لا يوجد في صنف آخر ، وأهل جيلان فيهم شافعية وحنبلية ، وأما الحنبلية المحضة فليس فيهم من ذلك ما في غيرهم ، والكراميَّة المجسمة كلهم حنفية »[3] .

وقد أطال أبو الحسن الأشعري في بيان مقالة هؤلاء فمما قاله فيهم ، ونقله عنهم: «قال هشام بن الحكم : الله جسم محدود عريض عميق طويل ، طوله مثل عرضه ، وعرضه مثل عمقه ، نور ساطع له قدر من الأقدار بمعنى أن له مقدارا في طوله وعرضه وعمقه لا يتجاوزه في مكان دون مكان ، كالسبيكة الصافية يتلألأ كاللؤلؤة المستديرة من جميع جوانبها ، ذو لون وطعم ورائحة ، ومِجَسَّة ، لونه هو طعمه ، وهو رائحته ، وهو مجسَّه ، وهو نفسه لون ، ولم يثبت لونا غيره ، وأنه يتحرك ويسكن ويقوم ويقعد ». وحكى عنه أبو الهذيل : أنه أجابه إلى أن جبل أبي قبيس أعظم من معبوده .

وحكى عنه ابن الراوندي : أنه زعم أن الله ـ سبحانه ـ يشبه الأجسام التي خلقها من جهة من الجهات ، ولولا ذلك ما دلت عليه .

وحكى عن داود الجواربي أنه كان يقول : أجوف مِنْ فيه إلى صدره ، ومُصْمَتٌ ما سوى ذلك ، وكثير من الناس يقولون : هو مُصْمَتٌ ، ويتأوَّلون قولِه تعالى : ﴿الصمد﴾ المصمت الذي ليس بأجوف .

وقال هشام بن سالم الجواليقي : « إنَّ الله على صورة الإنسان ، وأنكر أن يكون لحما ودما ، وأنه نور ساطع يتلألأ بياضا ، وأنه ذو حواس خمس كحواس الإنسان ،

---

(١) انظر كلام الرازي عليه في المصدر السابق : ص ٦٤-٦٦

(٢) انظر الكلام عليهم في المصدر السابق ص : ٦٧

(٣) العقيدة الواسطية لابن تيمية : ص ٣٠ . المطبعة السلفية القاهرة ـ الطبعة التاسعة ١٣٩٩ هـ .

سمعه غير بصره ، وكذلك سائر حواسه ، له يد ورجل وأذن وأنف وفم ، وأن له وفرة سوداء .

وممن قال بالصوره من ينكر أن يكون الباري جسما ، وممن قال بالتجسيم من ينكر أن يكون الباري صورة »[1] .

وقال الشهرستاني : « حكى الأشعري عن محمد بن عيسى أنّه حكى عن مُضَرَ وكَهْمَس وأحمد الهَجِيمِي أنهم أجازوا على ربّهم الملامسة والمصافحة ، وأن المسلمين المخلصين يعانقونه في الدنيا والآخرة ، إذا بلغوا في الرياضة والاجتهاد إلى حدّ الإخلاص والاتحاد المحض .

وحكى الكعبي عن بعضهم أنّه كان يجوز الرؤية في دار الدنيا ، وأن يزوره المؤمنون ويزورهم . وحكى عن داود الجوازبي أنه قال : أعفوني عن الفرج واللحية، وأسألوني عما وراء ذلك »[2] .

---

(١) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري : ص ٢٠٧-٢١٠

(٢) الملل والنحل للشهرستاني : ١/١٠٤

المبحث الثالث
نفاة الصفات وفرقهم

اللون الثالث من ألوان الانحراف في هذا الباب هو نفي صفات الجلال والكمال عن الله التي امتدح بها نفسه ، أو امتدحه بها رسوله صلى الله عليه وسلم ، واعتقاد أنها صفات نقص يجب أن يُنَزَّه الباري عنها ، وهؤلاء جمعوا في مقالاتهم هذه كثيرا من أصول الضلال ، فإن النفاة يكذّبون النصوص التي قررت هذه الصفات ، ويقدّمون عليها ما قررته عقولهم الضعيفة ، ويزعمون أنها صفات نقص ، والله امتدح نفسه بها ، أضِفْ إلى هذا كله أنهم يطعنون في فقه السلف من الصحابة والتابعين وعلماء الإسلام ، ويزعمون أنهم على باطل ، وأنَّ الحق فيما جاؤوا به من الضلال ، والنفاة أنماط منهم المغرق في نفي الصفات ، فنفى أسماء الله وصفاته ، ومنهم من نفى الصفات دون الأسماء ، ومنهم من نفى بعض الصفات دون بعض .

واختلفت الدوافع والبواعث عند النفاة ، فبعضهم اتخذ هذا الطريق سبيلا لهدم عقيدة الإسلام ، والتلبيس على المسلمين ، وبعض النفاة لم تسعفهم عقولهم في معرفة الحق ، فردوا صفات الله ونفوها بشبهات واهية ، وتخرّصات تأباها الشريعة الغراء ، وتردُّها الفطرة السليمة والعقول المستقيمة .

المطلب الأوّل الفرقة الأولى : الفلاسفة

وهؤلاء ينكرون ماهيّة الرب الزائدة على وجوده ، كما ينكرون صفات كماله ، وأنَّه لا سمع له ولا بصر ، ولا قدرة ولا حياة ، ولا إرادة ولا كلام ، ولا وجه ولا يدين ، وليس فيه معنيان ، يتميز أحدهما عن الآخر ألبتة .

وقد أجمع الذين سُمُّوا بفلاسفة الإسلام أمثال ابن سينا والفارابي وابن رشد وغيرهم على أن صفات الله ليست معاني قائمة بذات الله تعالى زائدة عليها ، بل

هي ذاته ، وقولهم هذا ينتهي إلى إنكار وجود الصفات ونفيها نفيا تاماً.

وقد جعل الفلاسفة الألوهية بمقالتهم هذه : فكرة مجردة لا مضمون لها ، فالذات التي لا صفات لها هي فكرة عقلية ليس لها وجود في الحقيقة ، وهي أشبه بالعدم منه بالوجود ، ولذلك ردّد علماؤنا كثيرا في مدوناتهم أنّ المشبّه يعبد صنما ، والمعطِّل يعبد عدما .

واستدل الفلاسفة على مذهبهم بأن إثبات الصفات لله يقتضي أن يكون الباري مركَّبا ، وأن يكون جسما مؤلفا ، وهذا ينافي إثبات الوحدانية لله . فجعلوا ربَّ العباد من جنس الجوهر الفرد الذي لا يُحِسُّ ولا يرى ، ولا يتميز منه جانب من جانب ، بل الجوهر الفرد يُمْكِن وجوده ، وهذا الواحد الذي جعلوه حقيقة رب العالمين مستحيل وجوده، فهو وجود مطلق لا تعيَّن فيه ، والوجود المطلق ليس له حقيقة في الأعيان ، بل هو وجود في الأذهان ، وقد أدّى هذا المسار بهم إلى نفي واجب الوجود .

والفلاسفة لا يصفون الرب إلا بصفات سلبيّة محضة ، أو إضافيّه محضة ، أو مؤلفة من إضافة وسلب . والسر في ذلك عندهم أنّ السلوب والإضافات لا توجب تعدّداً أو كثرة في ذات الله .

فإذا قيل : واحد ، فمعناه سلب الشريك والنظير وسلب الانقسام ، وإذا قيل : قديم ، فمعناه سلب البداية عن وجوده ، وإذا قيل : جواد وكريم وغني ، فمعناه إضافته إلى أفعال صدرت منه .

وكذا يتولد من وَصْفَيِّ الإضافة والسلب للأول أسام كثيرة في ذاتها ، وهؤلاء الذين يُسَمَّون بفلاسفة الإسلام الذين نظروا في كتب فلاسفة اليونان كأرسطو وأفلاطون الإسكندري ، فآمنوا بما فيها من خزعبلات وضلالات ، وقد عظم في نفوس هؤلاء تلك الفلسفة ، وظنّوها حقائق لا تكذب ، وأنوارا لا تُظْلِمُ ، لأنهم أقاموا بحوثهم على مقتضى البرهان .

وقد عظَم شأن هؤلاء عندما ترجمت كتب الفلاسفة بأمر المأمون بن هارون الرشيد ، فقد أرسل إلى الروم من عَرَّب له كتب الفلسفة ، فانتشرت مذاهب الفلاسفة في الناس ، واشتهرت كتبهم بعامة الأمصار ، وقد انجرَّ على الإسلام وأهله من وراء ذلك شرٌّ مستطير ، وبلاء عظيم .

وقد ادعى الذين ساروا على خطى الفلاسفة أنَّهم يريدون التوفيق بين منهج الفلاسفة وبين عقائد المسلمين[1] .

غلاة الفلاسفة والباطنية

وهؤلاء زعموا أنَّ الله لا يوصف بالشيء ولا يوصف بنقيضه ، فلا يقولون عن الله هو موجود ولا غير موجود ، ولا عالم ولا ليس بعالم ، ولا قادر ولا ليس بقادر ، يقول ابن تيمية : « غلاة الفلاسفة يسلبون عنه النقيضين ، فيقولون : لا موجود ولا معدوم ، ولا حي ولا ميت ، ولا عالم ولا جاهل ، لأنهم يزعمون أنهم إذا وصفوه بالإثبات شبهوه بالموجودات ، وإذا وصفوه بالنفي شبهوه بالمعدومات ، فسلبوا النقيضين »[2] .

وهؤلاء الضالون شبهوه بالممتنعات فإن الذي يمتنع وصفه بالشيء ونقيضه هو الممتنع الوجود .

المطلب الثاني
الفِرْقَة الثانيَة : الجهميّة

الجهمية أول من ذهب مذهب النفي في الإسلام ، وزعماء هذه الفرقة هم الجعد

---

(١) راجع في هذا المبحث : الدين الخالص لصديق حسن خان : ٩٦/١ ، والتوحيد للهراس : ص ٢٧٢ ، ودراسات في الفرق للدكتور عرفان عبد الحميد : ص ٢٤٤ ومقاصد الفلاسفة للغزالي : ٢٢٣ وتهافت الفلاسفة للغزالي : ص ١٥٣ ونهاية الإقدام للشهرستاني : ١٨١

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ٧/٣٠

ابن درهم ، وهو أول من جاء بهذه البدعة ، والجهم بن صفوان و هو الذي نشرها وبثها بعد أن أخذها عن شيخه الجعد بن درهم ، ولذا نُسِبتْ إليه ، وبشر المِريسي الذي قَعَّد هذا المذهب وأصَّله وناظر عليه .

يقول ابن كثير : « أخذ الجهم بن صفوان عن الجعد بن درهم ، وأخذ بشر المريسي عن الجهم ، وأخذ أحمد بن أبي دؤاد عن بشر »[1] .

ويقول ابن تيمية : « أخذ هذا المذهب عن الجعد الجهم بن صفوان فأظهره وناظر عليه ، وإليه أضيف قول الجهمية »[2] . وقال : « لما كان في حدود المائة الثالثة انتشرت هذه المقالة التي كان السلف يسمونها مقالة الجهمية بسبب بِشْرِ بن غياثٍ المرِّيسي وطبقته »[3] .

ولا شك أنَّ أصحاب هذه المَقالة الَضالة فتحوا باب شرّ على الأمّة الإسلامية ، وأفسدوا بمقالتهم هذه كثيرا من النفوس والقلوب ، وقد شكَّك كثير من أهل العلم في ولاء أصحاب هذه المقالات للإسلام وأهله ، وأشاروا إشارات واضحة إلى أنَّ مقصد هؤلاء كان إفساد هذا الدين ، يقول الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ في الجعد ابن درهم : « الجعد بن درهم الزنديق الذي كان أول من ابتدع القول بخلق القرآن»[4] .

وقال فيه الذهبي : « الجعد بن درهم ، عِدَاده في التابعين ، مبتدع ضال ، زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ، ولم يكلم موسى ، فَقُتِلَ على ذلك بالعراق يوم النحر، والقصة مشهورة »[5] .

---

(١) البداية والنهاية : ٩/ ٣٥٠

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ٦٧/١٠

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ٢٢/٥

(٤) تاريخ الطبري ، انظر حوادث سنه ١٢٨ هـ

(٥) ميزان الاعتدال للذهبي : ٣٩٩/١ ، ورقم الترجمة : ١٤٨٢ طبعة عيسي البابي الحلبي - القاهرة ، الأولى ١٣٨٢ هـ ١٩٦٣م

وقال السَفاريني : « قال الجلال السيوطي في كتاب « الأوائل » : أوّل من تفوه بكلمة خبيثه في الاعتقاد الجعد بن درهم مؤدب مروان الحِمَار آخر ملوك بني أمية ، فقال بأن الله تعالى لا يتكلم»[(١)] .

ويقول ابن نباتة : « كان الجعد بن درهم أول من تكلم بخلق القرآن من أمة محمد بدمشق ثم طلب فهرب ، ثم نزل الكوفة ، فتعلم منه الجهم بن صفوان »[(٢)] .

ويقول المقريزي : « كان الجهم أول من قال بنفي الصفات في الإسلام ببلاد المشرق ، وأنه ظهر بعد عصر الراشدين ، قبل نهاية المائة الأولى من الهجرة »[(٣)] .

وقال الذهبي في الجهم بن صفوان تلميذ الجعد : « جهم بن صفوان أبو محرز السمرقندي الضال المبتدع رأس الجهمية ، هلك في زمن صغار التابعين »[(٤)] .

ويقول الذهبي في بشر المريسي : « مبتدع ضال ، جَرَّد القول بخلق القرآن وناظر عليه ، ولم يدرك الجهم بن صفوان ، وإنّما أخذ مقالته ، واحتج لها ودعا إليها»[(٥)] .

أصل الجعد بن درهم من خراسان ، ويقال : إنه من موالي بني مروان ، كان مُؤَدِّباً لمروان بن محمد آخر ملوك بني أمية الذي كان يُدْعَى مروان الحمار ، ولذلك يُدْعَى مروان الجعدي نسبة إلى شيخه الجعد بن درهم[(٦)] .

كان الجعد أول من عُرِف عنه القول بنفي الصفات وخلق القرآن ، وقد لاحظ عليه شيخه وهب بن مُنبِّه مسلكه المنحرف ، فكان يردعه وينبهه فلم يرتدع ولم

---

(١) لوامع الأنوار البهية للسفاريني : ١/٢٣

(٢) سرح العيون ، لابن نباتة : ص ١٨٦

(٣) الخطط للمقريزي : ٤/١٨٤

(٤) ميزان الاعتدال : ١/٤٢٦

(٥) ميزان الاعتدال : ١/٣٢٢ ورقم الترجمة : ١٢١٤

(٦) راجع البداية والنهاية : ٩/٣٥٠

يتنبه[1] .

يقول ابن كثير : « ذكر ابن عساكر في التاريخ أن الجعد كان يتردد إلى وهب بن منبه ، وكان يسأل وهبا عن صفات الله عز وجلّ ، فقال له وهب يوما : ويلك يا جعد، أَقْصِرْ المسألة عن ذلك ، إني لأظنك من الهالكين ، لو لم يخبرنا الله في كتابه أنّ له يدا ما قلنا ذلك ، وأنّ له عينا ما قلنا ذلك ، وأنّ له نفسا ما قلنا ذلك ، وأنّ له سمعا ما قلنا ذلك ، وذكر الصفات من العلم والكلام وغير ذلك »[2] .

وقد صَدَقَ ظن وهب بن منبه ، فإن الجعد هلك بضلاله ، وأهلك خلقا كثيرا ، ولا يزال الضلال الذي افتراه وأخذه عمن قبله من الأمم المنحرفه يعمل عمله في إضلال العباد ، وقد خُتِمَ للجعد بخاتمة سوء .

يذكر ابن كثير في تاريخه «أنّ خالد بن عبدالله القسري قَتَلَ الجعد يوم عيد الأضحي بالكوفة ، فقد خطب الناس ، وقال في خطبته تلك : أيها الناس ضَحُّوا تقبل الله ضحاياكم ، فإني مُضَحٍّ بالجعد بن درهم ، إنّه زعم أنّ الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ، ولم يكلم موسى تكليما ، تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا ، ثم نزل فذبحه في أصل المنبر » .

يقول ابن كثير بعد روايته لهذه الحادثة : « وقد ذكر هذا غير واحد من الحفاظ ، ، منهم البخاريّ وابن أبي حاتم ، والبيهقي ، وعبدالله بن أحمد ، وذكره ابن عساكر»[3] .

وكان مقتله في سنة (١٢٤هـ) .

أما الجهم بن صفوان فهو أبو مُحْرِز السمرقندي ، وقيل الخزري ، وقيل الترمذي،

---

(١) البداية والنهاية : ٩/ ٣٥٠

(٢) البداية والنهاية : ٩/ ٣٥٠

(٣) البداية والنهاية : ٩/ ٣٥٠ ، وانظر هذه الحادثة في مجموع فتاوي شيخ الإسلام : ١٠/٦٦، ٨/٢٨٨ ، ١٣/ ١٧٧

مولى بني راسب[1] .

والمطلع على سيرة الجهم يعلم أنه كان خارجا على السلطان ، يقاتل في صفٍّ الخارجين عليه ، وقد خرج مع الحارث بن سُريج ، وكان كاتبه ومدبر عسكره ومتولي أمره ، وقتل معه في سنة (١٢٨هـ) .

وكان الذي قتله طَعَنَه في فمه ، فكان قتله على هذه الصورة جزاء وفاقا ، لأنه ادعى أن كلام الله مخلوق .

وقيل إن الجهم أُسر ، أسره سالم بن أَحْوَز صاحب شرطة نصر بن سيار ، فقتله ، ولم ينخدع بزخرف قوله ، وقال له : لو ملأت هذه كواكب ، وأنزلت عيسى بن مريم ، ما نجوتَ ، ولو كنت في بطني لشققت بطني حتي أقتلك ، ثم ضرب عنقه[2] .

أما الرجل الثالث من رجالات هذه الفرقة فهو بشر المريسي ، وقد ورث هذا الضلال عن الجهم بن صفوان وإن لم يلقه ، وهو بشر بن غياث بن أبي كريمة أبو عبد الرحمن المريسي ، من أهل مدينة بغداد ، يقول فيه الذهبي : « مبتدع ضال ، لا ينبغي أن يروى عنه ولا كرامة ، تفقه على أبي يوسف ، فبرع وأتقن علم الكلام ، ثُمَّ جَرَّد القول بخلق القرآن ، وناظر عليه ، ولم يدرك الجهم بن صفوان ، إنما أخذ مقالته واحتج لها ، ودعا إليها .

وقال أبو النضر هاشم بن القاسم : كان والد بشر المريسي يهوديّا قَصَّابا صباغا في سويقة نصر بن مالك .

قلت : وقد كان بشر أُخذ في دولة الرشيد ، وأُوذي لأجل مقالته .

وقال المروزي : سمعت أبا عبد الله ذكر بشرا ، فقال : كان أبوه يهوديا ، وكان بشر يشغب في مجلس أبي يوسف ، فقال له أبويوسف : لا تنتهي أو تصعد خشبة ،

---

(١) راجع : ميزان الاعتدال : ١/٤٦٢ ورقم الترجمة : ١٥٨٤ ، والبداية والنهاية : ٩/٣٥٠

(٢) هامش مقالات الإسلاميين : ص٦٢٦ ، والبداية والنهاية لابن كثير : ١٠/٢٧

يعني تصلب .

قال الخطيب : حُكي عنه أقوال شنيعة ، أساء أهل العلم قولهم فيه ، وكفره أكثرهم لأجلها ، مات سنة ثماني عشرة ومائتين »[1] .

وقد أطال الخطيب البغدادي المقال في ترجمته ، وذكر أقواله وأقوال أهل العلم فيه ، وذكر أنه كان معاصرا للإمام الشافعي ، وأن الشافعي ـ رحمه الله ـ جادله وخاصمه فأفحمه .

ونقل الخطيب أيضا عن أبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم أنه قال :

مررت في الطريق فإذا بشر المريسي والناس عليه مجتمعون ، فمرَّ يهودي ، فأنا سمعته يقول : ليفسدن عليكم كتابكم كما أفسد علينا أبوه التوراة ، يعني أن أباه كان يهوديا،ونقل عن أحمد بن عبدالله العجلي قال : « رأيت بشر المريسي ـ لعنه الله ـ مرة واحدة ، شيخا قصيرا ذميم المنظر وسخ الثياب ، وافر الشعر ، أشبه شيء باليهود ، وكان أبوه يهوديًا صباغا بالكوفة في سوق المراضع ، ثم قال : لا يرحمه الله كان فاسقا » .

مذهب الجهمية في صفات الله

الذي ينظر في مقالة الجهمية يجد أن كثيرا من أصول الضلال والانحراف يرجع إلى ما جاءت به وافترته ، يقول أبو الحسن الأشعري في كتابه « مقالات الإسلاميين : ذهب جهم إلى القول بأن الجنة والنار تفنيان وتبيدان ، ويفنى أهلهما حتى يكون الله موجودا لا شيء معه ، وأنه لا يجوز أن يُخلّد الله أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار[2] .

---

(١) ميزان الاعتدال للذهبي : ١/ ٣٢٢ ورمقم الترجمة : ١٢١٤

(٢) مقالات الإسلاميين : ص ١٤٦ ، ٢٧٩

وزعم أن العبد مجبور على فعله ، وأنّه لا فعل لأحد حقيقة إلا الله وحده ، والفعل ينسب إلى العبد على المجاز ، كما يقال تحركت الشجرة ، ودار الفلك ، وزالت الشمس ، والفارق بين الإنسان وغيره أن الله فعل للإنسان قوة كان بها الفعل كما خلق له طولا وعرضا[١] .

وكان ينفي أن يكون الله شيئا ، لأنَّ ذلك تشبيه له بالأشياء ، وزعم الجهم أن الإنسان إذا أتى بالمعرفة ، ثم جحد بلسانه فإنه لا يكفر بجحده ، وأن الإيمان لا يتبعض ولا يتفاضل أهله فيه ، وأن الإيمان والكفر لا يكونان إلا في القلب دون غيره من الجوارح[٢] ، والكفر عند الجهم هو الجهل بالله فقط ، ولا يكفر بالله إلا الجاهل به[٣] .

والذي يعنينا بيانه في هذا المؤلف هو مذهبهم في أسماء الله وصفاته ، ومذهبهم قائم على خلاف المنهج القرآني النبوي الذي عليه السلف الصالح ، فإن الجهمية يصفون الله بالصفات السلبية على وجه التفصيل ، ولا يثبتون له إلا وجودا مطلقا لا حقيقة له عند التحصيل ، وإنما يرجع إلى وجود في الأذهان ، يمتنع تحقيقه في الأعيان، وهم بذلك يعطّلون الباري عن صفاته وأسمائه تعطيلا يستلزم نفي الذات .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « كان جهم ينكر أسماء الله تعالى ، فلا يسميه شيئا ولا حيّا ولا غير ذلك إلا على سبيل المجاز . قال : لأنه إذا سمي باسم تسمى به المخلوق كان تشبيها »[٤] .

وقال في موضع آخر : « جهم لا يثبت شيئا من الصفات ، لا الإرادة ، ولاغيرها، فإذا قال : إن الله يحب الطاعات ويبغض المعاصي ، فمعناه الثواب والعقاب »[٥] .

---

(١) مقالات الإسلاميين : ص ٢٧٩

(٢) مقالات الإسلاميين : ص ١٣٢

(٣) مقالات الإسلاميين : ص ١٥٢ ، وراجع في التعرف على بدع الجهم بن صفوان : الملل والنحل للشهرستاني : ٨٦/١

(٤) مجموع فتاوي شيخ الإسلام : ٣١١/١٢ ، وانظر : ٨/ ٤٦٠ من مجموع الفتاوي.

(٥) مجموع فتاوي شيخ الإسلام : ٨/ ٢٣٠

ويقول شيخ الإسلام أيضا : « أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة ، أعني أن الله ليس على العرش حقيقة وأن معنى استوى بمعنى استولى، ونحو ذلك ، هو الجعد بن درهم ، وأخذها عنه الجهم بن صفوان ، فنسبت مقالة الجهمية إليه »[1] .

وقال عبدالقاهر البغدادي : « امتنع الجهم من وصف الله تعالى بأنّه شيء أو حي أو عالم أو مريد ، وقال : لا أصفه بوصف يجوز إطلاقه على غيره كشيء وموجود وحي وعالم ومريد ونحو ذلك ، ووصفه بأنّه قادر وموجد وفاعل وخالق ومحيي ومميت ، لأن هذه الأوصاف مختصة به وحده ، وقال بحدوث كلام الله كما قالته القدرية ، ولم يسم الله تعالى متكلما به »[2] .

تأثير الجهمية فيمن جاء بعدهم

قد يظن بعض أهل العلم أنّ مقالة الجهمية في نفي الصفات قد غاضت وزالت بزوال قالتها ودعاتها ، ولكنّ العالم بالفِرق ومقالاتهم يعلم أنّ كثيرا من الأصول التي أصّلها الجهمية والتأويلات التي ابتدعوها لم يزل لها وجود على مّر التاريخ الإسلامي ، وقد تبناها وذهب إليها من يدعي أنه من أهل الحق ، وحسبنا أن نعلم أن المعتزلة كانت امتدادا للجهمية وفرعا من فروعها .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « هذه التأويلات الموجودة ـ اليوم ـ مثل التأويلات التي ذكرها أبو بكر بن فورك في كتاب التأويلات ، وذكرها أبو عبدالله محمد بن عمر الرازي في كتابه الذي سماه : « تأسيس التقديس » ، ويوجد كثير منها في كلام خلق كثير غير هؤلاء ، مثل أبي على الجبّائي ، وعبدالجبار بن أحمد الهمداني ، وأبي الحسين البصري ، وأبي الوفاء بن عقيل ، وأبي حامد الغزالي وغيرهم ، هي بعينها تأويلات بشر المريسي ، التي ذكرها في كتابه ، وإن كان قد يوجد في كلام بعض هؤلاء رد التأويل وإبطاله أيضا ، ولهم كلام حسن في أشياء .

---

(١) مجموع فتاوي شيخ الإسلام : ٥/٢٠

(٢) الفرق بين الفرق : ص ٢١١ ، وانظر الملل والنحل للشهرستاني : ١/٨٦

فإنما بينت أن عين تأويلاتهم هي عين تأويلات بشر المريسي ، ويدلّ على ذلك كتاب الرد الذي صنفه عثمان بن سعيد الدارمي ، أحد الأئمة المشاهير زمان البخاري ، صنف كتاب سماه : « ردّ عثمان بن سعيد على الكاذب العنيد فيما افترى على الله في التوحيد » حكىَ فيه هذه التأويلات بأعيانها عن بشر المريسي ، بكلام يقتضي أن المريسي أقعد بها ، وأعلم بالمنقول والمعقول من هؤلاء المتأخرين الذين اتصلت إليهم من جهته وجهة غيره»[1] .

ويقول في موضع آخر : « أخذ هذا المذهب عن الجعد بن درهم الجهم بن صفوانِ فأظهره ، وناظر عليه ، ثمّ انتقل ذلك إلى المعتزلة أتباع عمرو بن عبيد ، وظهر قولهم أثناء خلافة المأمون »[2] .

وقد يظهر بعض الذين ساروا على درب الجهمية وأخذوا منهجهم مخالفتهم لهم، وموافقة أهل السنة ، ولكن إذا حققت مقالتهم وجد أنهم خالفوا الجهمية شكلا ووافقوهم حقيقة ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « ثمّ إن المعتزلة الذين اتبعوا عمرو بن عبيد على قوله في القدر والوعيد دخلوا في مذهب جهم ، فأثبتوا أسماء الله تعالى ، ولم يثبتوا صفاته ، وقالوا : « نقول إنّ الله متكلم حقيقة ، وقد يذكرون إجماع المسلمين على أن الله متكلم حقيقة ، لئلا يضاف إليهم أنهم يقولون إنه غير متكلم ، لكن معنى كونه ـ سبحانه ـ متكلما عندهم أنه خلق الكلام في غيره ، فمذهبهم ومذهب الجهمية فى المعنى سواء ، لكن هؤلاء يقولون : هو متكلم حقيقة، وأولئك ينفون أن يكون متكلما حقيقة ، وحقيقة قول الطائفتين أنه غير متكلم ، فإنّه لا يعقل متكلم إلا من قام به الكلام ، ولا مريد إلا من قامت به الإرادة ، ولا محب ولا مبغض ولا رحيم إلا من قامت به الإرادة والمحبة والرضى والبغض والرحمة »[3] .

ويقول شيخ الإسلام مبينا تأثير الجهم في غيره من الطوائف : « غلا جهم في

---

(١) مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية : ٢٣/٥

(٢) مجموع فتاوي شيخ الإسلام : ٦٧/١٠

(٣) مجموع فتاوي شيخ الإسلام : ٣١٢/١٢

النفي ، ووافقه على ذلك الباطنية والفلاسفه ونحوهم ، والمعتزلة في الصفات دون الأسماء ، والكلابيه ومن وافقهم من الفقهاء وأهل الحديث في نفي الصفات الاختيارية ، والكرامية ونحوهم وافقوه على أصل ذلك ، وهو امتناع دوام ما لا يتناهى ، وأنه يمتنع أن يكون لم يزل متكلما إذا شاء ، وفعّالا إذا يشاء ، لامتناع حوادث لا أول لها، وعن هذا الأصل نفى وجود ما لا يتناهى في المستقبل ، وقال بفناء الجنة والنار ، ووافقه أبو الهذيل إمام المعتزلة على هذا ، لكن قال بتناهي الحركات »[1] .

ويقول جمال الدين القاسمي في بيان أثر الجهمية في من بعدهم : « قد يُظَنُّ أن الجهمية أمْسَت أثرا بعد عين ، مع أن المعتزلة فرع منها ، وهي في الكثرة تعدُّ بالملايين على أن المتكلمين المتأخرين المنسوبين للأشعري يَرْجعُ كثير من مسائلهم إلى مذهب الجهمينة كما يدريه المتبحر في فن الكلام »[2] .

المطلب الثالث

الفِرقة الثالثة : المعتزلة

وهذه الفرقة أثبتت لله أسماءه الحسنى ، ونفت ما دلت عليه هذه الأسماء من صفات، وهؤلاء هم أتباع واصل بن عطاء الغزّال ، الذي اعتزل مجلس إمام أهل السنة في عصره : الحسن البصري ، واعتزل باعتزاله مذهب أهل السنة .

ولد واصل بن عطاء بالمدينة في عام (٨٠ هـ) ونشأ بالبصرة ، ولقي أبا هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية ، ولازم مجلس الحسن بن الحسين البصري ، وأكثر من الجلوس بسوق الغزال ليعرف المتعففات ، فيصرف إليهن صدقته ، فقيل له الغَزّال من أجل ذلك .

---

(١) مجموع فتاوي شيخ الإسلام : ٢٢٧/٨ وانظر : ٣٤٨/١٤ من مجموع فتاوي شيخ الإسلام .

(٢) تاريخ الجهمية والمعتزلة : ص ٩

وكان واصل بن عطاء فصيحا جداً ، ومن فصاحته إنه كان يلثغ بالراء ، فكان يتجنب الراء في كلامه ، واجتناب الكلمات التي فيها حرف الراء ليس سهلا ، لكثرة استعمالها ، توفي في سنة (١٣١ هـ)

وله كتاب المنزلة بين المنزلتين ، وكتاب الفتيا ، وكتاب التوحيد .

والمعتزلة كلهم على اختلاف فرقهم متفقون على مبادئ أساسية لا يكون معتزليا عندهم إلا من أخذ بها ، وهي : العدل والتوحيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والوعد والوعيد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

والذي يهمنا من هذه المبادئ المبدأ الأول ، وهو التوحيد ، فإنَّ هؤلاء المعتزلة قد فهموا التوحيد بأنه وحدة الذات ، بأن لا يكون لها صفات قديمة زائدة عليها ، وعلَّلوا ذلك بأن أخص صفات الألوهية هو القدم ، فلو كانت للذات صفات قديمة معها للزم أن تكون آلهة ، فيتعدد الإله .

ومصاب المعتزلة أنهم بالغوا في تقديس العقل ، واعتباره المصدر الأول للاعتقاد . وهم لا يتردَّدُون في تأويل ما يرونه من النصوص متعارضا مع حكم العقل ، لأن حكم العقل قطعي في زعمهم ، وأمَّا النصوص فدلالتها ظنية[1] .

وقد زعم المعتزلة أن « من قال لله علما وقدره فقد زعم أنه جسم مركب ، وهو مُشبِّه ، لأن هذه الصفات أعراض ، والعرض لا يقوم إلا بجوهر متحيز ، وكل متحيز مركب أو جوهر فَرْدٌ ، ومن قال بذلك فهو مُشبه ، لأن الأجسام متماثلة »[2] .

قال صاحب الطحاوية مبينا مذهبهم الباطل : « هدم المعتزلة بأصولهم الخمسة كثيراً من الدين .

فإنهم بَنَوا أصل دينهم على الجسم والعرض ، الذي هو الموصوف والصفة

---

(١) راجع خبيئة الأكوان في افتراق الأمم على الأديان ، لمحمد صديق خان ص : ١٥ ، دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ١٩٨٤ م ، وكتاب دعوة التوحيد ، للدكتور محمد خليل الهراس : ص ٢٧٠ مكتبة طنطا ، مصر.

(٢) مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية : ٥/١١١/١١٢

عندهم ، واحتجوا بالصفات التي هي الأعراض على حدوث الموصوف الذي هو الجسم ، وتكلموا بالتوحيد على هذا الأصل . فنفوا عن الله كل صفة ، تشبيها بالصفات الموجودة في الموصوفات التي هي الأجسام »[1] .

والمعتزلة تقول : « إنَّ الله عليم بذاته ، بصير بذاته ، سميع بذاته ، لا بعلم وسمع وبصر ، وهكذا بقية الصفات ، فقد أثبتوا الأسماء ونَفَوا الصفات التي تدلُّ عليها ، وتشتق منها ، ولكنهم أثبتوا لازمها مع نفيهم إياها ، والذي دعاهم إلى هذا أنَّهم زعموا أن إثبات هذه الصفات يؤدي إلى تعدد القدماء ، وهذا ينافي التوحيد ، وقالوا: هذه الصفات أعراض ، والعرض لا يقوم إلا بجوهرمتحيز ، وكل متحيز فجسم مركب أو جوهر فرد ، ومن قال بذلك فهو مشبِّه ، لأنَّ الأجسام متماثلة»[2] .

وهؤلاء خالفوا بدائه العقول ، فالعقول لا تعقل وجود ذات عالمة بغير علم ، وذات سامعة بغير سمع ، وذات قادرة بغير قدرة .

وخالفوا النصوص التي أثبتت له الصفات صراحة ، كقوله تعالى : ﴿ أنزله بعلمه﴾[3] وقوله : ﴿ وما تحمل من أنثى ولاتضع إلا بعلمه ﴾[4] ، وقوله : ﴿ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾[5] .

وفي الحديث : « اللهم إني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك »[6]

فأثبت لنفسه ــ بصريح العبارة ــ العلم والقوة والقدرة والنصوص الدالة على ذلك كثيرة .

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية : ص ٣٣٤

(٢) راجع : أقاويل الثقات في تأويل الاسماء والصفات : ص٦٩

(٣) سورة النساء : ١٦٦

(٤) سورة فاطر : ١١

(٥) سورة الذاريات : ٥٨

(٦) اخرجه البخاري: ١١٦٢ ، و ٦٣٨٨ ، والترمذي : ٤٨٠ ،وابن ماجة : ١٣٨٣، وأبو داود : ١٥٣٨، والنسائي : ٦/ ٨٠ ، واحمد: ٦/ ٨٠، ٨١

تأثير المعتزلة في من جاء بعدهم

قد يظن بعض أهل العلم أن المعتزلة قد انقرضوا وبادوا ، وهذا خطأ ،فإنه قد حمل أراءهم ومعتقداتهم كثير من الذين جاؤوا من بعدهم .

يقول جمال الدين القاسمي رحمه الله تعالى : « شيعة العراق على الإطلاق معتزلة ، وكذلك شيعة الأقطار الهندية والشامية والبلاد الفارسية ، ومثلهم الزيدية في اليمن ، فإنهم على مذهب المعتزلة في الأصول كما قاله العلامة المقبلي في « العِلْمِ الشامخ ».

وبهذا يعلم أن الجهمية المعتزلة ليسوا في قلة ، فضلا عن أن يظن أنهم انقرضوا ، وأن لا فائدة للمناظرة معهم ، وقائل ذلك جاهل بعلم تقويم البلدان ومذاهب أهلها»[1] .

(١) تاريخ الجهمية والمعتزلة : ص ٥٦

المبحث الرابع
الشبه التي اعتمد عليها نفاة الصفات والرد عليها

المطلب الأول
شبه نفاة الصفات

زعم نفاة الصفات أنهم يريدون تنزيه الباري بنفيهم صفاته ، وادّعوا أن إثبات هذه الصفات يعني تشبيه الباري بخلقه ، ورَمَوْا أهل السنة الذين يثبتون ما أثبته الله ورسوله في هذا الباب بالمشبهة ، وحملوا عليهم حملة منكرة يلمزونهم ويهمزونهم ويضللونهم ، زاعمين أن مذهب النفي هو المذهب الحق الذي يؤدي إلى توحيد الباري وتنزيهه .

وزعموا أن إثبات الصفات يؤدي إلى خلع الصفات البشرية على الذات الإلهية ، فهو يؤدي عندهم إلى التجسيم والتركيب والتحيز وغير ذلك من الألفاظ التي أطلقوها في هذا الباب مُنَفرين من المنهج القرآني النبوي السلفي .

وقد صاغوا من هذا الانحراف ألوانا كثيرة من الشبهات زعموا أنها أدلة عقلية تدلُّ على نفي الصفات ، والحق أنها ظنون وتخرُّصات ، وليست من الأدلة في شيء.

وقد أجمل شيخ الإسلام هذه التخرُّصات التي زعموها أدلة فقال : « قالت الجهمية نفاة الصفات : إثبات الصفات يستلزم التشبيه والتجسيم لله ، والله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك ، لأنَّ الصفات التي هي العلم والقدرة والإرادة ونحو ذلك أعراض ومعان تقوم بغيرها ، والعرض لا يقوم إلا بجسم ، والله تعالى ليس بجسم ،

لأن الأجسام لا تخلو من الأعراض الحادثة ، وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث .

وقالوا بهذا استدللنا على حدوث الأجسام ، فإن بطل هذا بطل الاستدلال على حدوث العالم ، فيبطل الدليل على إثبات الصانع .

وقالوا : إذا كانت الأعراض التي هي الصفات لا تقوم إلا بجسم ، والجسم مركب من أجزائه ، والمركب مفتقر إلى غيره ، ولا يكون غنياً عن غيره واجب الوجود بنفسه ، والله تعالى غني عن غيره ، واجب الوجود بنفسه .

وقالوا : الجسم محدود متناهي ، فلو كان لله صفات لكان محدودا متناهيا ، وذلك لا بد أن يكون له مخصص خصَّصه بقدر دون قدر ، وما افتقر إلى مخصص لم يكن غنيا قديما واجب الوجود بنفسه .

قالوا : ولأنه لو قامت به الصفات لكان جسما ، ولو كان جسما لكان مماثلا لسائر الأجسام ، فيجوز عليه ما يجوز عليها ، ويمتنع عليه ما يمتنع عليها ، وذلك ممتنع على الله تعالى »[1] .

وقالوا : إنَّ إثبات الصفات القديمة للباري يعني أننا جعلنا لله ندا ومثلا، والله نهانا عن ذلك وعدَّ هذا شركا ، ووجه ما قالوه أنَّ أخص صفات الله عندهم القدم ، فمن أثبت لله صفة قديمة كالسمع والبصر والقدرة والعلم فقد أثبت لله مثلا وندّا قديما ، ويسمونه مُمَثِّلا بهذا الاعتبار[2] .

ونفى هؤلاء كلام الله كما نَفَوا رؤيته في الآخرة بدعوى أن الذي يُدْرَك بالحواس الخمس هو المخلوق ، فإذا كان المخلوق يُدْرَكُ بالحواس فإن الباري لا يدرك بهذه الحواس وإلاّ لزم تشبيه الخالق بالمخلوق[3] .

وقال نفاة الصفات الاختيارية كالخلق والتصوير والإماتة والإحياء والقبض

---

(١) مجموع فتاوي شيخ الإسلام : ٦/ ٣٤

(٢) انظر مجموع فتاوي شيخ الإسلام : ٣/ ٧٠

(٣) راجع : شرح العقيدة الطحاوية : ص١٢٨

والبسط والاستواء والاتيان والمجيء والنزول والغضب والرضا ونحو ذلك : إن إثبات هذه الصفات يقتضي حلول الحوادث بالله تبارك وتعالى[1] .

المطلب الثاني
الرد على شبه هؤلاء

أولا : ليس لنفاة الصفات دليل من الكتاب والسنة ولا من سلف الأمة :

يعلم هذا الناظر في أدلتهم ، ولو كان قولهم صوابا لوجدنا نصوص القرآن والسنة تؤيده وتأمر به ، فإن القضية الكبرى التي جاءنا بها الوحي الإلهي الرباني هي تعريف العباد بربهم ، فكيف يكون طريق معرفة الله وتوحيده هو نفي الصفات ، ثم لا يأمرنا الله به ، لا أمر إيجاب ، ولا أمر استحباب .

بل إننا نجد القرآن يخالف نهجهم كما سلف أن بينا ، فهو يخبر بصفات الباري مُقَرِّراً لها ، بل ويأمر بالإيمان والعلم بها . وكيف يكون هذا هو الطريق الحق في معرفة الله ، ثم لا يعلمه الرعيل الأول من هذه الأمّة إلى أن نبتت هذه النابتة التي ادعت أنها تعلم ما لم يعلمه الصحابة والتابعون لهم بإحسان والأئمة الأعلام .

ثانيا : إثبات الصفات ليس تشبيها :

قد يزعم نفاة الصفات أن دليلهم من القرآن هو قوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾[2]، فيقولون : إنه يلزم من إثبات الصفات للباري كالسمع والبصر والاستواء واليد والوجه مشابهة الخالق بالمخلوق ، لأن البشر يتصفون بهذه الصفات ، والله يقول: ﴿ ليس كمثله شيء ﴾[3] .

واستدلالهم هذا تحريف للكلم عن مواضعه ، فالنص الذي استدلوا به أثبت

---

(١) انظر رد الدرامي على بشر المريسي : ص ٦،٥

(٢) سورة الشورى : ١١

(٣) سورة الشورى : ١١

صفتي السمع والبصر لله ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[1] .

فلو كان إثبات الصفات تشبيها لما ختم الله هذا النص بذكر هاتين الصفتين العظيمتين للباري تبارك وتعالى .

إن خاتمة النص الذي استدلوا به واضحة الدلالة في الرد عليهم ، فكأن النص يقول للعباد: لا تنفوا عني صفاتي بدعوى أن إثبات الصفات يقتضي التشبيه ، والذي عليه الأئمة الأعلام فى معنى النص أن الله لا يشبهه شيء ، لا في ذاته ولا في أسمائه وصفاته.

والمحقق المنصف يدرك بأدنى تأمل بطلان مقالة الذين ينفون صفات الباري بدعوى أن إثباتها يقضي تشبيه الخالق بالمخلوق ، فإنَّ وجود الباري يخصه ، وكذلك أسماؤه وصفاته خاصة به دون خلقه ، ولا يقتضي الاتفاق في الاسم العام عند الإطلاق تماثل صفات الخالق والمخلوق في مسمى ذلك الاسم عند إضافته إلى الباري أو تخصيصه وتقييده به .

وهذا النهج لا يرتضيه العقلاء في الأسماء المشتركة فيما بين المخلوقات ، فإذا قيل: إنَّ العرش موجود ، والقمر موجود ، والفيل موجود ، والبعوض والنمل والذباب كلُّها موجودة ، فهل يجوز لأحد أن يقول : إن وجود هذه المخلوقات متساوي ، وأنه شيء واحد ؟ فإذا كان هذا مرفوضا ، فإن التباين الذي بين الخالق والمخلوق أعظم من التباين الذي بين المخلوق والمخلوق .

وإذا قيل : إن للملائكة أجنحة ، وللطائرات أجنحة ، وللطيور أجنحة ، وللبعوض أجنحة ، فهل يلزم من ذلك أنَّ تكون هذه الأجنحة متماثلة ؟ إنَّ كلَّ العقلاء يعلمون بطلان هذا القول .

لقد أخبرنا الله عمّا في الجنة من المطاعم والمشارب والمناكح والملابس ، ونحن نعلم بما أعلمنا ربنا أن ما في الجنة من الماء واللبن والخمر والعسل ، وكل ما فيها لا

---

(١) سورة الشورى : ١١

يشبه شيئا مما في الدنيا ، وإن اشتركا في الآسماء التي تسمى بها المسميات في الدنيا وفي الجنة ، فمن ذلك أن خمر الجنة ـ كما أعلمنا ربنا ليس فيه غول ، ولا ينزفون عنها ، وأن ماءها لا يأْسَنُ ، وأن أهلها لا يذوي شبابهم ، ولا تنقضي مسراتهم ، ولا تبلى ثيابهم إلى غير ذلك من الأوصاف الدالة على مباينة ما في الجنة لما في الدنيا .

وهذه الأرواح التي تسكن أجسادنا ، أخبرنا ربنا أنها تنفخ في الجسد وتقبض منه، وتصعد وتنزل ، وهي حيَّة عالمة قادرة سميعة بصيرة ، ومع اتصافها بهذه الصفات فإنها لا تماثل ما نشاهده من المخلوقات ، فالخالق أولى بمباينة مخلوقاته مع اتصافه بما يستحقه من أسمائه وصفاته .

فإذا وجد من ينفي صفات الروح بدعوى أن إثبات هذه الصفات يقضي بمشابهتها لبقية المخلوقات فإنه يكون غالطا مخطئا .

ومن نظر في الكتاب العزيز يجد أنَّ الله سمى نفسه بأسماء ووصفها بصفات ، وسمى بعض عباده بتلك الأسماء ، فقد سمى نفسه حيّا سميعا بصيرا عليما حليما رؤوفا رحيما عزيزا جبارا متكبرا ونحو ذلك من الصفات ، كقوله تعالى : ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾[1] وقوله : ﴿ إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا﴾[2] . وقوله : ﴿ وإن الله لعليم حليم ﴾[3] وقوله : ﴿ إن الله بالناس لرؤوف رحيم ﴾[4] وقوله : ﴿ هو الله الذي لا إله إلا هوالملك القدوس السلام ، المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر﴾[5] .

وسمى بعض عباده بهذه الأسماء كقوله : ﴿ يخرج الحيّ من الميت ﴾[6] ،

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٥

(٢) سورة النساء : ٥٨

(٣) سورة الحج : ٥٩

(٤) سورة الحج : ٦٥

(٥) سورة الحشر : ٢٣

(٦) سورة الروم : ١٩

وقوله : ﴿ إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا ﴾[1] وقوله: ﴿وبشروه بغلام عليم ﴾[2] ﴿ فبشرناه بغلام حليم ﴾[3] وقوله : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾[4] وقوله : ﴿ كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار ﴾[5][6].

وما سمى الله به نفسه ووصفها به فإنه خاص بالله دون خلقه ، يناسب عظمته وجلاله وكماله ، وما وصف به العباد من تلك الصفات فإنه حق ، ولكنه مناسب لضعفهم وافتقارهم وعجزهم .

ثالثا : نفي الصفات ليس تمجيدا ولا تعظيما لرب العالمين

مقالة نفاة الصفات من أعظم التلبيس الذي كادوا به الإسلام وأهله ، فقد زعموا أنهم بنفيهم للصفات يريدون تعظيم الباري وتقديسه وتنزيهه ، وجردوا بهذه الطريقة الرب ـ تبارك وتعالى ـ عما مدح به نفسه من صفاته وأسمائه ، وبذلك أغلقوا باب معرفة الله تبارك وتعالى ، وقطعوا الخلق عن ربهم ، وبمثل هذا تظلم العقول والقلوب، وتُشْغَلُ بسفاسف الأمور، وتفسد حياة البشر .

إن كلَّ الفرق الضالة تدَّعي أنها تريد تمجيد معبودها وتقديسه ، حتى الذين يعبدون البقر والبشر والشجر والحجر يَدَّعون هذه الدعوى ، لكنهم لا يسلكون السبيل الصحيح للتنزيه والتقديس ، فقد تكون طريقة التقديس عندهم هي النقص والذم بِعَينِه ، وقد يصوغ زعماء الباطل طرق الضلال في ظلال الأهداف الخيرة ، فيروج باطلهم على أصحاب العقول الضعيفة ، وهذا من التلبيس الذي قد لا يدركه

---

(١) سورة الانسان : ٢

(٢) سورة الذاريات : ٢٨

(٣) سورة الصافات : ١٠١

(٤) سورة التوبة : ١٢٨

(٥) سورة غافر : ٣٥

(٦) راجع مجموع فتاوي شيخ الإسلام : ٣/١٤ فانه توسع في إيراد النصوص في هذا الباب .

إلا أصحاب البصائر والعقول النيرة .

رابعا : أدلة العقول توافق أدلة الرسول

الأدلة العقلية الصحيحة لا يمكن أن تناقض ما جاءنا من عند الله تبارك وتعالى ، فإن جاءت العقول بما يناقض النصوص فلا بدَّ من أحد أمرين :-

الأول : أن يكون النص غير صحيح ، كالأحاديث الباطلة والمكذوبة ، أو يكون الفهم للنص مختلا ، بحيث يفقه الناظر في النص معنى خطأ ، لم يرده الله ولا رسوله صلى الله عليه وسلم .

الثاني : أن يكون العقل قد أخطأ فيما وصل إليه من نتائج ناقض بها النصوص .

أما أن يناقض العقل السويُّ الحكم الصحيح الذي تُوصِلُ إليه النصوص الثابتة عن الله ورسوله فهذا لم يكن ولن يكون ، فالنصوص التي جاءت من عند الله العليم الخبير لا يمكن أن تناقضها الحقائق والثوابت .

وهؤلاء الذين يَدَّعون أنَّهم جاؤوا بالأدلَّة العقلية القطعية الدالة على نفي صفات الباري ليس لهم قاعدة ثابتة مستمرة فيما يزعمون أن العقل يوجبه أو يحكم باستحالته ، وبرهاننا على ذلك تناقضهم فيما بينهم ، فما يزعم بعضهم أن العقل يُوجِبُه يدعي آخر أنَّ العقل يحكم باستحالته .

فإذا كانت العقول تتفاوت فيما بينها بل تتنافض ، فإنَّها لا تصلح حكَمًا في إثبات الحقائق الغيبية فضلا عن تحكمها فيما تنازع الناس فيه .

إن القرآن جاء ليخرجنا من الحيرة والمتاهة في باب الاعتقاد وباب التشريع ، وهؤلاء يريدون إعادتنا إلى الهُوَّة التى أنقذنا الإسلام منها .

وقد جاءنا القرآن بالأدلة العقلية السويَّة التي تدل دلالة واضحة على وجود الله ووحدانيته وصفاته وكماله ، وقد عرضنا في غير هذا الموضع شيئا منها .

وقد قرر علماؤنا أن العقل السويّ لا يمكن أن يناقض في أحكامه ما قرره الحق -

تبارك وتعالى ــ فيما أنزله إلينا ، قد تأتي الشريعة بِمَحَارات العقول ، وقد تعجز العقول عن إدراك تفاصيل ما جاءت به النصوص ولكنها لا تأتي بما يناقض العقول ، ولذا قالوا : إنَّ العقل الصحيح لا بدَّ أن يوافق النقل الصريح .

خامسا : تناقض نفاة الصفات واختلافهم

المنهج القرآني النبوي لا تناقض فيه ولا اختلاف ، وما جاء من عند غير الله لا يَسْلَمُ من التناقض والاختلاف ، والمحقق في منهج نفاة الصفات يرى هذا الاختلاف والتناقض عندهم واضحا جليا ، ويتبدى اختلافهم وتناقضهم في عدة أمور :

١ ــ حكمهم على الشيء الواحد بأحكام مختلفة :

كل ما حدثنا به ربنا أو حدثنا به رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن صفاته فإنَّه يجب أن يُعْطى حكما واحدا ، لأنه باب واحد ، فلا يجوز الإيمان ببعضه والكفر ببعضه .

فالذي يؤمن بعلم الله وسمعه وبصره وحياته وقدرته ويجعل هذه الصفات صفات حقيقية للباري يكون متناقضا إذا نفى عن الله غضبه وكراهته واستواءه ومحبته ورضاه ويجعل ذلك مجازا مؤولا بشتى أنواع التأويل ، لأنه لا فرق بين الصفات التي أثبتها والصفات التي نفاها .

فإذا قال الذاهب هذا المذهب : إن علم الله وحياته وسمعه وبصره وكلامه لا يشبه شيئا من صفات المخلوقين ، بل هي صفات تليق بجلال الله وكماله ، قيل له : وكذلك بقية الصفات التي أنكرتها أو أولتها مثل اليد والوجه والمحبة والرضا والغضب صفات تليق بكمال الله وجلاله لا تشبه شيئا من صفات المخلوق .

فإن زعم أنَّ هذه الصفات التي نفاها يلزم منها تمثيل الله بخلقه ، فإنه يقال له : وكذلك ما أثبته من صفات يلزم منها اللازم نفسه .

فإذا قال : إن العقل دلَّ على الصفات التي أثبتها ، فنقول له : أقصى ما يمكن أن يقال : إنَّ العقل إذا كان لا يثبت الصفات التي نفيتها فإنه لا يدل على نفيها ، ولكنه

سكت عن ذلك ، فلا يجوز أن تزعم أن العقل ينفيها مع مجيء الشرع بإثباتها .

والحق أن أغلب الصفات يمكن إثباتها عقلا بمثل ما احتجوا به على ما أثبتوه من الصفات .

ويُرَدُّ بهذا الذي قررناه على الذين أثبتوا الأسماء ونفوا الصفات أيضا ؛ لأنه لا فرق بين إثبات الصفات وإثبات الأسماء ، فإذا كان إثبات الحياة والعلم والقدرة ونحو ذلك يقتضي التشبيه والتجسيم ، لأنّه لا نجد في الْمُشَاَهَدَ أنه يتصف بهذه الصفات إلا ما كان جسما ، فكذلك يقال في الأسماء كالحي والعليم والقدير إنه لا نشاهد من يسمى بهذه الأسماء إلا ما هو جسم .

والذين ينفون الأسماء والصفات بدعوى أنه يلزم من ذلك تشبيه الباري بالأجسام والمخلوقات ، فإنه يقال له : لقد شبهتم الله بالمعدومات ، وذلك أقبح من التشبيه بالموجودات .

والذين نَفَوْا الإثبات والنفي كالذين يقولون : ليس الله داخل العالم ولا خارجه ، ولا فوق ولا تحت ، ولا عليما ولا جاهلا ونحو ذلك ، نقول لهم : لقد شبهتم الباري بالممتنعات ، فإن الشيء يمتنع أن يكون موجوداً معدوماً ، أو لا موجودا أو لا معدوما، ويمتنع أن يوصف الشيء بالحياة والموت ، والعلم والجهل .

٢ ـ تناقضهم في الحكم على الفرع بخلاف ما حكموا به على الأصل :

فالنفاة يثبتون لله ذاتا حقيقية لا تشبه ذوات المخلوقين ، ولكنهم ينفون عن الله صفاته وأفعاله أو بعضا منها بدعوى مشابهتها لصفات الخلق ، فإذا كان لله ذات حقيقية لا تماثل الذوات ، فكذلك له صفات وأفعال حقيقية لا تماثل صفات المخلوقات وأفعالهم ، فإذا ادعى مدع أنه ينفي يد الله ووجهه واستواءه ، لأننا لا نعلم كيفية هذه الصفات ، فنقول : يلزمكم أن تنفوا ذات الله ووجوده ، لأنكم لا تعلمون كيف هو تبارك وتعالى ، فإن قلتم : وجوده يخصه ولا يشركه فيه غيره ، قلنا : وكذلك صفاته واسماؤه وأفعاله ، لأن العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف ،

فإذا كنا لا نعلم كيفية ذاته ، فكذلك يجب أن نقول في كيفية صفاته ، فالكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات .

٣ـ وقوع النفاة في مثل ما فروا منه :

نفاة الصفات تناقضوا من حيث لا يدرون ، فهم في نفيهم للصفات بحجة تنزيه الباري عن التشبيه ، وقعوا في المحذور الذي منه فروا .

وقد استغلَّ مخالفوهم هذا التناقض عندهم فألجؤوهم إلى طريق دَحْض مَزَلَّة أوصل بعضهم إلى جحد الخالق ونفيه .

فالذين يثبتون بعض الصفات وينفون بعضها بحجة أن إثباتها يقتضي التشبيه يقول لهم الخصوم: انفوا الصفات التي اثبتموها ، فإنها تؤدي إلى التشبيه ، والذين ينفون الصفات كلها يقول لهم خصومهم : انفوا أسماء الله أيضا كما نفيتم صفاته ، فإن اثبات الأسماء يقتضي التشبيه ، والذين ينفون الأسماء والصفات يقول لهم خصومهم: إذا نفيتم الأسماء والصفات خشية التشبيه فإنكم بذلك تكونون شبهتم الله بالمعدومات ، فوقعتم في أمر أعظم من الذي فررتم منه ، فأوغل آخرون وقالوا : نحن لا نقول : إن الله عالم ولا ليس بعالم ، ولا داخل العالم ولا خارجه ، ولا فوق ولا تحت ، وهكذا في صفاته كلِّها ، فقال لهم محاوروهم : لقد شبهتم الخالق ـ تبارك وتعالى ـ بقولكم هذا بالممتنعات . وقال لهم محاوروهم أيضا : إذا كان إثبات الأسماء والصفات يقتضي التشبيه ، فانفوا ذات الله ـ تبارك وتعالى ـ لأن إثبات ذات لله بناء على منهجكم هذا يفضي إلى التشبيه والتمثيل .

أرأيت هذه المزالق الخطرة الوعرة التي قاد إليها هذا التناقض الذي برأ الله منه كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وكما أخطأ نفاة الصفات في نفيهم للصفات بدعوى أنَّ إثباتها يلزم منه التشبيه والتمثيل ، أخطؤوا أيضا في ادعائهم بأن أهل السنة والجماعة المثبتون للصفات مشبهة ومجسمة ، وحاشاهم أن يكونوا كذلك .

سادسا : الرد على دعواهم أنّ الله لا يدرك بالحواس :

نفى هؤلاء رؤية الله وكلامه بدعوى أن الله لا يدرك بالحواس ، لأنّ المخلوقات هي التي تدرك بالحواس ، وقد أكذبوا بدعواهم هذه النصوص القرآنية والحديثية المصرحة بسماع العباد لكلام الله ، والمقررة رؤية العباد لربهم في يوم القيامة .

فموسى عليه السلام كلمه ربّه ﴿ وكلم الله موسى تكليما ﴾[1] ﴿ فلما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربّه ﴾[2] ، وكذلك نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ عرج به إلى السموات العلا وكلمه ربّه .

والنصوص من الكتاب والسنة المخبرة بتكليم الله لعباده وتكليمهم إياه في يوم القيامة كثيرة طيبة .

وكذلك النصوص المصرّحة برؤية المؤمنين ربهم في الدار الآخرة كثيرة كقوله تعالى: ﴿ وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ربها ناظرة ﴾[3] ، والأحاديث المثبتة لذلك تبلغ درجة المتواتر ، فكيف تُرَدُّ هذه النصوص القرآنية والأحاديث النبوية بأدلة موهومة وشبهات لا تثبت في ميدان الحجاج والنزاع ؟

ودعواهم أن القرآن نفى رؤية العباد لربهم في قوله تعالى : ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾[4] ، دعوى مردودة ، فالذي نفته الآية هو إحاطة الأبصار به ، لا نفي رؤيته ، فالمؤمنون يرونه ، ولكنهم لا يحيطون به كما أن العباد يعرفون ربهم ، ولكنهم لا يحيطون به علما ، كما قال تعالى : ﴿ ولا يحيطون به علما ﴾[5] فهذه كتلك .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى :« حَمِدَ الرب نفسه بأنه لا تدركه

---

(١) سورة النساء : ١٦٤

(٢) سورة الأعراف : ١٤٣

(٣) سورة القيامة: ٢٢-٢٣

(٤) سورة الأنعام : ١٠٣

(٥) سوزرة طه : ١١٠

الأبصار لكمال عظمته ، يرى ولا يدرك ، كما أنه يعلم ولا يحاط به علما ، وإلا فمجرد نفي الرؤية ليس بكمال ألبتة ، وإنما الكمال في كونه لا يحاط به رؤية ولا إدراكا لعظمته في نفسه، وتعاليه عن إدراك المخلوقين ، وكذلك حمد نفسه بعدم الغفلة والنسيان لكمال علمه»[1] .

سابعا : بيان اللبس الذي في المصطلحات التي استخدموها :

زعم نفاة الصفات أنَّ إثبات صفات الباري يلزم منه أن يكون الباري جسما ، وأن يكون مركبا ، وأن يكون متحيزا ، وأن يكون في جهة ، وأن يكون محلا للحوادث والأعراض ، وأن يكون له أعضاء وأركان وأدوات ولا نسلِّم لنفات الصفاة هذه الإطلاقات في باب الأسماء والصفات التي نَفَوْا بها ما أثبته الله لنفسه ، وأثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم .

وقد تنبه الحذاق من علمائنا إلى أن هذه الألفاظ ألفاظ مجملة مبهمة يراد بها حق ويراد بها باطل ، فوقفوا منها موقف الفاحص المدقق ، وطالبوا الذين أطلقوها أن يبينوا مرادهم منها ، وحكَّموا كتاب الله وسنة رسوله فيما بينه هؤلاء المطلقون ، فإن ذكروا من معانيها حقّا قبلوه ، وإن ذكروا باطلا ردوه ، مع نصحهم لهؤلاء بترك هذه الإطلاقات التي لم ترد في الكتاب والسنة والالتزام بألفاظ النصوص .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « ما تنازع فيه المتأخرون نفيا وإثباتا فليس على أحد، بل ولا له أن يوافق أحداً على إثبات لفظه أو نفيه ، حتى يعرف مراده ، فإن كان حقا قُبِل ، وإن كان باطلا رُدَّ ، وإن اشتمل كلامه على حق وباطل لم يقبل مطلقا ، ولم يرد جميع معناه ، بل يوقف ويفسر المعنى ، كما تنازع الناس في الجهة والتحيز وغير ذلك »[2] .

ويقول شارح الطحاوية في الألفاظ التي أطلقها علماء الكلام نافين صفات

---

(١) راجع التفسير القيم : ٢٧

(٢) مجموع فتاوي شيخ الإسلام : ٣/ ٤١ وانظر : ٦/ ٣٦

الباري : « الناس في إطلاق مثل هذه الألفاظ ثلاثة أقوال : طائفة تنفيها ، وطائفة تثبتها، وطائفة تُفصّل ، وهم المتبعون للسلف فلا يطلقون نفيها ولا إثباتها إلا إذا تبين ، فما أثبت بها فهو ثابت ، وما نفي بها فهو منفي ، لأن المتأخرين قد صارت هذه الألفاظ في الاصطلاح فيها إجمال وإيهام كغيرها من الألفاظ الاصطلاحية ، فليس كلهم يستعملها في معناها اللغوي .

ولهذا كان نفاة الصفات ينفون بها حقّا وباطلا ، ويذكرون عن مثبتيها ما لا يقولون به ، وبعض المثبتين لها يُدْخِل لها معنى باطلا مخالفا لقول السلف ولما دلّ عليه الكتاب والميزان .

ولم يرد نص من الكتاب ولا من السنة بنفيها ولا إثباتها ، وليس لنا أن نصف الله تعالى بما لم يصف به نفسه ، ولا وصفه به رسوله نفيا ولا إثباتا ، وإنما نحن متّبعون لا مبتدعون .

فالواجب أن يُنْظَر في هذا الباب ، أعني باب الصفات ، فما أثبته الله ورسوله أثبتناه ، وما نفاه الله ورسوله نفيناه ، والألفاظ التي وَرَدَ بها النص يُعْتَصَمُ بها في الإثبات والنفي ، وأما الألفاظ التي لم يرد نفيها ولا إثباتها ، فلا تطلق حتى ينظر في مقصود قائلها ، فإن كان معنى صحيحا قُبِل ، لكن ينبغي التعبير عنه بألفاظ النصوص، دون الألفاظ المجملة إلا عند الحاجة ، مع قرائن تبين المراد والحاجة ، مثل أن يكون الخطاب مع من لا يتم المقصود معه إن لم يخاطب بها »[1] .

وقد تعرض أهل الغلم لبيان اللبس الذي في المصطلحات الكلامية التي نَفَوْا بها صفات الباري ، وسنورد في بحثنا هذا أهم هذه المصطلحات مبينين اللبس الذي وقع فيها:

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية : ص ٢٣٩

١ ـ بيان اللبس الذي في اصطلاح التركيب :

يقول شارح الطحاوية : « التركيب له معاني : **أحدها:** التركيب من متباينين فأكثر ، ويسمى تركيب مزج كتركيب الحيوان من الطبائع الأربع والأعضاء ونحو ذلك ، هذا المعنى منفي عن الله سبحانه وتعالى ، ولا يلزم من وصف الله بالعلو ونحوه من صفات الكمال أن يكون مركبا بالمعنى المذكور .

والثاني : تركيب الجوار ، كمصراعي الباب ونحو ذلك ، ولا يلزم أيضا من ثبوت صفاته العليا إثبات هذا التركيب .

والثالث : التركيب من الأجزاء المتماثلة ، وتسمى الجواهر المفردة .

الرابع : التركيب من الهيولي والصورة كالخاتم مثلا ، هيولاه : الفضة وصورته معروفة.

وأهل الكلام قالوا : إن الجسم يكون مركبا من الجواهر المفردة، وليس هذا التركيب لازما لثبوت صفاته تعالى وعلوه على خلقه ، والحق أن الجسم غير مركب من هذه الأشياء ، وإنما قولهم مجرد دعوى .

الخامس : التركيب من الذات والصفات ، هم سموه تركيبا لينفوا به صفات الرب تبارك وتعالى ، وهذا اصطلاح منهم لا يعرف في اللغة ، ولا في استعمال الشارع ، فلسنا نوافقهم على هذه التسمية ، ولا كرامة .

ولئن سموا إثبات الصفات تركيبا ، فنقول لهم : العبرة للمعاني لا للألفاظ ، سمُّوه ما شئتم ، ولا يترتب على التسمية بدون المعنى حكم ، فلو اصطلح على تسمية اللبن خمرا لم يحرم بهذه التسمية .

السادس : التركيب من الماهية ووجودها ، وهذا يفرضه الذهن أنهما غيران ، وأما في الخارج ، هل يمكن ذات مجردة عن وجودها ، ووجودها عنها ؟ هذا محال.

فترى أهل الكلام يقولون : هل ذات الرب وجوده أم غير وجوده ؟ ولهم في ذلك خبط كثير ، وأمثلهم طريقة رأي الوقف والشك في ذلك ، وكم يزول بالاستفسار والتفصيل كثير من الأضاليل »[1] .

٢ـ بيان اللبس الذي في لفظي : الجهة والتحيز:

ومن هذه الألفاظ لفظ الجهة والتحيز اللذين نفوا بهما علو الله على خلقه ورؤيته في الآخرة ، يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : « فلفظ الجهة قد يراد به شيء موجود غير الله فيكون مخلوقا ، كما إذا أريد بالجهة نفس العرش ، أو نفس السموات ، وقد يراد به ما ليس بموجود غير الله تعالى ، كما إذا أريد بالجهة ما فوق العالم .

ومعلوم أنه ليس في النص إثبات لفظ الجهة ولا نفيه ، كما فيه إثبات العلو والاستواء ، والفوقية والعروج إليه ونحو ذلك ، وقد علم أن ما ثم موجود إلا الخالق والمخلوق ، والخالق مباين للمخلوق ،والله ـ سبحانه وتعالى ـ ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته .

فيقال لمن نفى الجهة : أتريد بالجهة أنها شيء موجود ومخلوق ؟ فالله ليس داخلا في المخلوقات ، أم تريد بالجهة ما وراء العالم ؟ فلا ريب أن الله فوق العالم مباين للمخلوقات .

وكذلك يقال لمن قال الله في جهة : أتريد بذلك أن الله فوق العالم ، أو تريد أنَّ الله داخل في شيء من المخلوقات ؟ فإن أردت الأول فهو حق ، وإن أردت الثاني فهو باطل[2] .« وكذلك لفظ التحيز : إن أراد به أن الله تحوزه المخلوقات ، فإن الله أعظم وأكبر ، بل قد وسع كرسيه السموات والأرض ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية : ص ٢٢٥

(٢) مجموع فتاوي شيخ الإسلام : ٤١/٣ ، وانظر شرح العقيدة الطحاوية : ص ٢٤٢

بيمينه﴾[1]

وقد ثبت في الصحاح عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « يقبض الله الأرض ويطوي السموات بيمينه ، ثم يقول : أنا الملك ، أين ملوك الأرض » ؟ وفي حديث آخر : « وإنه ليدحوها كما يدحو الصبيان بالكرة » ، وفي حديث ابن عباس: « ما السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن في يد الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم » .

وإن أراد أنه منحاز عن المخلوقات ، أي مباين لها منفصل عنها ليس حالاً فيها ، فهو سبحانه كما قال أئمة السنة : فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه»[2] .

٣ـ بيان اللبس الذي في حلول الحوادث :

يقول شارح الطحاوية :« حلول الحوادث بالرب تعالى ، المنفي في علم الكلام المذموم لم يَرِد نفيه ولا إثباته في الكتاب ولا في السنة ، وفيه إجمال ، فإن أريد بالنفي أنه لا يحلّ في ذاته المقدسة شيء من مخلوقاته المحدثة ، أو لا يحدث له وصف متجدد لم يكن ـ فهذا نفي صحيح .

وإن أريد به نفي الصفات الاختيارية ، من أنه لا يفعل ما يريد ، ولا يتكلم بما شاء، ولا أنه يغضب ويرضى لا كأحد من الورى ، ولا يوصف بما وصف به نفسه من النزول والاستواء والاتيان كما يليق بجلاله وعظمته ـ فهذا نفي باطل .

وأهل الكلام المذموم يطلقون نفي حلول الحوادث ، فيسلِّم السنِّي للمتكلم ذلك، على أنّه نفى عنه ـ سبحانه ـ ما لا يليق بجلاله ، فإذا سلم له هذا النفي ألزمه نفي الصفات الاختيارية وصفات الفعل ، وهو غير لازم له ، وإنما أتي هذا السني من تسليم هذا النفي المجمل ، وإلا فلو استفسر واستفصل لم ينقطع معه »[3] .

---

(١) سورة الزمر : ٦٧

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ٤٢/٣

(٣) شرح العقيدة الطحاوية : ص ١٢٩

ورد شيخ الإسلام على من نفى صفات الله الاختيارية بدعوى أن إثباتها يستلزم قيام الحوادث بالله تبارك وتعالى ، كما ردّ على الذين ينفون صفاته بدعوى أن إثباتها يستلزم قيام الأعراض به ، فقال : « لفظ الأعراض والحوادث لفظان مجملان ، فإن أريد بذلك ما يعقله أهل اللغة من أن هذه الأعراض والحوادث هي الأمراض والآفات، كما يقال : فلان عَرَضَ له مرض شديد ، وفلان قد أحدث حدثا عظيما ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » .

وقال : « لعن الله من أحدث حدثا أو آوى محدثا » .

ويقال : فلان به عارض من الجن ، وفلان حدث له مرض ، فهذه من النقائص التي ينزه الله عنها[1] .

ثم بين أنه إذا أريد بنفي الأعراض والحوادث نفي صفات الله ـ تبارك وتعالى ـ التي أثبتها الباري لنفسه فإن هذا غير صحيح ، فَجَعْلُ هذه الصفات أعراض وأحداث اصطلاح أحدثه علماء الكلام ، والعلماء باللغة وبكتاب الله لا يفقهون من هذه الألفاظ هذا المعنى الذي اصطلحوا عليه ، ونَفَوْا به صفات كماله وجلاله[2] .

ولا يلزم من إثبات الصفات الاختيارية لله كالإماتة والإحياء والخلق والتصوير والغضب والرضا ونحو ذلك مما وصف الله به نفسه حلول الحوادث بالله تبارك وتعالى ، لأن الله عندما يخلق أو يتكلم أو يغضب أو يرضى لا يكون الكلام قد حدث له بعد أن كان ممتنعا عليه ، فالله ـ تعالى ـ كما يقول الطحاوي رحمه الله تعالى : « ما زال بصفاته قديما قبل خلقه ، لم يزدد بكونهم شيئا لم يكن قبلهم من صفته ، وكما كان بصفاته أزليا ، كذلك لا يزال عليهم أبديا »[3] .

ومعنى كلامه كما يقول شارح الطحاوية :« أن الله لم يزل متصفا بصفات

---

(١) مجموع فتاوي شيخ الإسلام : ٦/٩٠

(٢) مجموع فتاوي شيخ الإسلام : ٦/٩١

(٣) شرح العقيدة الطحاوية : ص ١٢٧

الكمال : صفات الذات ، وصفات الفعل . ولا يجوز أن يعتقد أن الله وصف بصفة بعد أن لم يكن متصفا بها ، لأن صفاته ـ سبحانه ـ صفات كمال ، وفقدها صفة نقص ، ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفا بضده »[1] .

ويقول موضحا عدم لزوم حلول الحوادث في الله بإثبات هذه الصفات : «حدوث الكلام والخلق والتصوير في وقت دون وقت غير ممتنع ، ولا يطلق عليه أنه حدث بعد أن لم يكن ، ألا ترى أن من تكلم اليوم ، وكان متكلما بالأمس لا يقال : إنه حدث له الكلام ، ولو كان غير متكلم لآفة كالصغر والخرس ، ثم تكلم يقال : حدث له الكلام ، فالساكت بغير آفة يسمى متكلما بالقوة ، بمعنى أنه يتكلم إذا شاء ، وفي حال تكلمه يسمى متكلما بالفعل ، وكذلك الكاتب في حال الكتابة يسمى كاتبا بالفعل ، ولا يخرج عن كونه كاتبا بالفعل في حال عدم مباشرة الكتابة »[2] .

٤ـ بيان اللبس الذي في لفظ الأعضاء والأركان والأدوات :

استدل الجهمية والمعتزلة على نفي صفات الله من اليد والوجه والقدم بأن إثباتها يلزم منه إثبات الأعضاء والأركان والأدوات لله .

وهم بهذا يردُّون النصوص الكثيرة المثبتة لهذه الصفات ، والمخالفون لهم من أهل السنة والجماعة يقولون : « لا يقال لهذه الصفات إنها أعضاء ، أو جوارح أو أدوات ، أو أركان ، لأن الركن جزء الماهية، والله تعالى هو الأحد الصمد ، لا يتجزأ ، والأعضاء فيها معنى التفريق والتَّعْضِيَةُ ، والجوارح فيها معنى الاكتساب والانتفاع ، وكذلك الأدوات هي الآلات التي ينتفع بها في جلب المنفعة ودفع المضرة ، وكل هذه المعاني منتفية عن الله ، ولهذا لم يَرِدْ ذكرها في صفات الله تعالى»[3] .

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية : ص ١٢٧

(٢) شرح العقيدة الطحاوية : ص ١٢٨

(٣) شرح العقيدة الطحاوية : ص ٢٣٨-٢٤٢

ثامنا : بطلان دعواهم أن إثبات صفات الباري يبطل الدليل على وجوده :

أما دعواهم أن إثبات الصفات للباري يؤدي إلى بطلان الدليل الدال على وجوده فإن هذا أصل ضلالهم وسبب بلائهم .

فقد قَرَّروا في إثباتهم لحدوث العالم أنَّ كل الأجسام مُحْدَثة ، واستدلوا على حدوثها بأنها لا تخلو من الحوادث ، ولم تسبقها ، وما لم يخل من الحوادث ولم يسبقها فهو محدث .

ولما تقرر عندهم أن الأجسام محدثة ودليل حدوثها عدم خلوها من الحوادث كالحركة والسكون والمجيء والنزول والكلام ، قالوا يجب نفي الصفات عن الله ، فإن مقتضى إثباتها قيام الحوادث به ، وقالوا : لا يمكن تحقيق التوحيد إلا بنفي الصفات.

وقد ذكر شيخ الإسلام دليلهم وبين وجه الرد عليه فقال : « قالت نفاة الصفات : إنما نفينا الصفات لأن دليلنا على حدوث العالم وإثبات الصانع أثبتناه بحدوث العالم ، وحدوث العالم إنما أثبتناه بحدوث الأجسام ، والأجسام إنما أثبتنا حدوثها بحدوث الصفات التي هي الأعراض . أو قالوا : إنما أثبتنا حدوثها بحدوث الأفعال التي هي الحركات ، وأن القابل لها لا يخلو منها ، وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث ، أو أنَّ ما قبل المجيء والإتيان والنزول كان موصوفا بالحركة ، وما اتصف بالحركة لم يخل منها أو من السكون الذي هو ضدها ، وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث .

فإذا ثبت حدوث الأجسام قلنا : إن المُحدَث لا بدَّ له من مُحْدِث ، فأثبتنا الصانع بهذا، فلو وصفنا ربنا بالصفات أو بالأفعال القائمة به لجاز أن تقوم الأفعال والصفات بالقديم ، وحينئذ فلا يكون دليلا على حدوث الأجسام ، فيبطل دليل إثبات الصانع»[1] .

وشبيه بهذا الاستدلال ما قرره ابن سينا مستدلا على إثبات الواجب ، فإنه استدل

---

(١) مجموع فتاوي شيخ الإسلام : ٤٩/٦ .وراجع : ١٤٧/١٣ .من مجموع الفتاوي.

بالممكن على إثبات الواجب ، وقرر في هذا الاستدلال أن كل موجود فهو ممكن ، وليس هناك موجود واجب الوجود بنفسه ، فكان هذا دليلا على نفي واجب الوجود لأنّ الله - بناء على قوله ـ يكون ممكن الوجود[1] .

وقد رد عليهم شيخ الإسلام من ثلاثة أوجه :

الأول : أن بطلان هذا الدليل المعين لا يستلزم بطلان جميع الأدلة ، وإثبات الصانع له طرق كثيرة غير هذا الدليل .

الثاني : أن هذا الدليل لم يستدل به أحد من الصحابة والتابعين ولا أئمة المسلمين ، فلو كانت معرفة الرب ـ عزّ وجلّ ـ والإيمان به موقوفة عليه للزم أنهم كانوا غير عارفين بالله ولا مؤمنين به ، وهذا من أعظم الكفر باتفاق المسلمين .

الثالث : أن الأنبياء والمرسلين لم يأمروا أحدا بسلوك هذا السبيل ، فلو كانت المعرفة موقوفة عليه وهي واجبة لكان واجبا ، وإن كانت مستحبة كان مستحبا ، ولو كان واجبا أو مستحبا لشرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو كان مشروعا لنقلته الصحابة[2] .

تاسعا - تغييرهم معاني المصطلحات الشرعية

ومن تحريفهم الكلم عن مواضعه تغييرهم لمعاني المصطلحات الشرعية ، فإنهم يسمون تجريد الخالق عن صفاته التي مدح بها نفسه توحيدا ، ويزعمون أن من أثبت صفات ـ الباري ـ فإنه يكون مشركا ناسبا لله الذم والنقص ، لأن من أثبت الصفات ـ في زعمهم ـ فقد ادعى لله ندا قديما ، وجعل الله أجزاء وأبعاضا .

وكل هذا من الضلال الذي كاد به إبليس هذه الطائفة ، وبهذا غيروا معنى التوحيد الذي جاءت به نصوص الكتاب والسنة ، وهو أن الله واحد في ذاته وفي ألوهيته وفي أسمائه وصفاته ، وجاؤوا للتوحيد بمعنى يضاد معنى التوحيد الذي عرفنا

---

(١) راجع مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ٦/٥٠

(٢) راجع مجموع الفتاوى : ١٣/١٤٩

به الوحي ، فزعموا أن التوحيد لا يتم إلا بنفي صفات الباري التي امتدح بها نفسه .

والناظر المدقق في مقالتهم يعلم أنهم إنما أثبتوا للخالق وجودا مطلقا ليس له وجود حقيقي في واقع الأمر ، وليس له إلا وجود خيالي في الأذهان[1] .

فالذي لا صفات له ولا أسماء هو عدم محض غير موجود ، فهؤلاء نَفَوْا التوحيد من حيث زعموا أنهم بلغوا قمة التوحيد ، فسبحان الذي حجب عن هؤلاء الهدى ، وأوردهم الردى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ولقد شابه هؤلاء في مسارهم واستدلالهم قول الذين ضلوا من قبل ، فقد زعم قوم من قبلهم أنّ الله أعظم من أن يُنْزِلَ كتابا ويرسل رسولا ﴿ وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء ﴾[2] .

والمجوس والمشركون اتخذوا من دونه أولياء بدعوى أن الله أعظم من أن يعبده العابدون من غير واسطة ، فعبدوا من هم أقرب إلى الله منا ، لقد عبدوا الشمس والقمر والنجوم والملائكة وصالحي البشر ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾[3] .

(١) راجع مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ٣٨/٦

(٢) سورة الأنعام : ٩١

(٣) سورة الزمر : ٣

الفصل الرابع
أسباب الاختلاف في باب الأسماء والصفات

الكلام في صفات الباري وأسمائه طالت ذُيوله ،و تشعبت أطرافه ، وتناسبت فيه المذاهب ، وتخالفت فيه النحل ، والعالم بالمذاهب والنحل والفرق يعلم أن ذلك يعود لأسباب كثيرة سنأتي في هذا المبحث على ذكر أهمها .

أولا : الإعراض عن الكتاب والسنة وتحكيم العقل في مسائل الشرع

لقد ضلت الأمم من قبلنا في أسماء الله وصفاته كما ضلت في أمور كثيرة ، وأنزل الله وحيه على عبده ورسوله ـ محمد صلى الله عليه وسلم ـ ليخرج الناس من الضلال الذي هم فيه إلى النور ، وجاءهم الوحي بالخبر الصادق والعلم النافع ، وعرّفهم بربّهم أحكم تعريف وأقومه ، وفيما جاءهم الوحي به الهداية والكفاية .

ولكن بعض المنتسبين إلى العلم ـ كما يقول الشوكاني ـ لم يقفوا حيث أوقفهم الله، ودخلوا في أبواب لم يأذن الله بدخولها ، فطلبوا علما استأثر الله به دونهم ، وبذلك تفرقوا وتشعبوا شعبا وصاروا أحزابا[1] .

وقد أصّل كثير من الضاربين في بيداء الفكر الإنساني بغير دليل أصولا ظنوها حقا ، دفعوا بها في صدر النصوص من الكتاب والسنة وجعلوها أعلى حكما من النصوص، وفي الحقيقة لم يكن الذي قعدوه أصولا ، وإنما هي شبه وخيالات وقد أفضى هذا المسار ببعض سالكيه إلى نفي صفات الله وأسمائه ، وبعضهم لجأ إلى التأويل ، و فريق وقع في التشبيه ، وفريق هام في آخر أمره على وجهه لا يدري أين

---

(١) التحف في مذاهب السلف للشوكاني . (مجموعة الرسائل المنيرية: ٢/٨٥)

الحق ، وماذا يأخذ وماذا يرفض .

وقد تكلم ابن القيم على هذا النوع من الآراء التي عطلت أسماء الرب وصفاته وأفعاله بالمقاييس الباطلة التي وضعها أهل البدع والضلال من الجهمية والمعتزلة والقدرية ، ومن ضاهاهم حيث استعمل أهله قياساتهم الفاسدة وآراءهم الباطلة ، وشبههم الداحضه في رد « النصوص الصحيحة الصريحة ، فردوا لأجلها النصوص التي وجدوا السبيل إلى تكذيب رواتها ، وتخطئتهم في معاني النصوص التي لم يجدوا إلى رد ألفاظها سبيلا ، فقابلوا النوع الأول بالتكذيب ، والنوع الثاني بالتحريف والتأويل ، فأنكروا لذلك رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة ، وأنكروا كلامه وتكليمه لعباده ، وأنكروا مباينته للعالم ، واستواءه على عرشه ، وعلوه على مخلوقاته ، وعموم قدرته على كل شيء .

وكل من له مسكة من عقل يعلم أن فساد العالم وخرابه إنما نشأ من تقديم الرأي على الوحي ، والهوى على العقل»[1] .

ثانيا : رد المحكم واتباع المتشابه

المنحرفون عن الصراط السوي يعارضون السنن بظاهر القرآن ، ويستمسكون بالمتشابه في رد المحكم ، فإن لم يجدوا لفظا متشابهاغير المحكم يردونه به ، استخرجوا من المحكم وصفا متشابها وردوه به .

فلهم طريقان في رد السنن :

أحدهما : ردها بالمتشابه من القرآن أو من السنن .

الثاني : جعلهم المحكم متشابها ليعطلوا دلالته .

ومن أمثلة ذلك ردّ الجهمية النصوص المحكمة غاية الإحكام المبيّنة بأقصى غاية البيان أن الله موصوف بصفات الكمال من العلم والقدرة والإرادة والحياة والكلام والسمع والبصر والوجه واليدين والغضب والرضا والفرح والضحك والرحمة

(١) أعلام الموقعين : ١/ ٧١

والحكمة ، وبالأفعال كالمجيء والإتيان والنزول إلى السماء الدنيا ، ونحو ذلك بالمتشابه من قوله : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾[1] ، ومن قوله : ﴿ هل تعلم له سميا﴾[2]، ومن قوله : ﴿ قل هو الله أحد ﴾[3] .

ثم استخرجوا من هذه النصوص المحكمة المبينة احتمالات وتحريفات جعلوها من قسم المتشابه .

ومن أمثلة ذلك أيضا ردهم المحكم المعلوم بالضرورة أن الرسل جاؤوا بإثبات عُلو الله على خلقه ، واستوائه على عرشه بالمتشابه من قول الله تعالى : ﴿ وهو معكم أين ما كنتم ﴾[4] ، ﴿ ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾[5] ونحو ذلك ، ثم تحيَّلوا وتمحَّلوا ، حتى ردوا نصوص العلو والفوقية بالمتشابه[6] .

وطريقة الصحابة والتابعين والأئمة كالشافعي وأحمد ومالك وأبي حنيفة وأبي يوسف والبخاري وإسحاق عكس هذه الطريقة ، فإنهم يردون المتشابه إلى المحكم ، ويأخذون من المحكم ما يفسر لهم المشابه ، ويبينه لهم ، فتتفق دلالته مع دلالة المحكم ، وتوافق النصوص بعضها بعضا ، ويصدِّق بعضها بعضا ، فإنها كلها من عند الله ، وما كان من عند الله ، فلا اختلاف فيه ، ولا تناقض ، وإنما الاختلاف والتناقض فيما كان من عند غيره[7] .

ثالثا : تأثير الفلسفات والعقائد الضالة الوافدة

افتتح المسلمون كثيرا من بقاع الأرض ، وأصبحوا دولة عظمى لوقت غير

---

(١) سورة الشورى : ١١

(٢) سورة مريم : ٦٥

(٣) سورة الإخلاص : ١

(٤) سورة الحديد : ٤

(٥) سورة ق : ١٦

(٦) أعلام الموقعين : ٢/٣٩٦ وقد ذكر ابن القيم امثلة كثيرة لرد المحكم بالمتشابه.

(٧) أعلام الموقعين : ٢/٢٩٦

قصير، وخالط المسلمون أهل الديار التي فتحوها ، وبعض من دخل في الإسلام لم تخلص نفوسهم للإسلام وعقيدة الإسلام ، فجاؤوا ومعهم معتقداتهم أو بعضا منها ، واطلع المسلمون على الكتب المدونة في عقائد اليهودية والنصرانية والفلاسفة على اختلاف طرقهم ، وجرت محاورات ومناقشات بين علماء المسلمين وبين علماء أهل الملل المختلفة ، وكان لذلك آثار طيبة حيث دخل في الإسلام كثير من الناس عن رضى واقتناع ، ولكنَّ بعض المعتقدات الضالة وجدت طريقها إلى نفوس بعض المسلمين وإلى مدوناتهم ، وظن الذين أخذوها أنهم عثروا على كنوز العلم ، فخلطوا هذه المباحث بمباحث العقيدة الإسلامية ، فعكروا صفوها ، وشوهوا وجهها ، ووصل الداء إلى رأس الدولة في بعض الفترات ، فحاول نشر هذه الضلالات بقوة السيف كما فعل المأمون .

ومن البدع الكبار في باب العقائد قول الجهمية في باب أسماء الله وصفاته ، فبهذه المقالة المبتدعة عُطِّل الرب عن صفاته ، وهذه البدعة العظيمة التي كادت أن تنسف العقيدة الإسلامية تمتد أصولها إلى أهل الضلال من المشركين واليهود وغيرهم من الأمم ، فإن من طالع في عقائد الأمم الضالة من قبل وجد هذه الانحرافات مسطورة في كتبهم .

والجعد بن درهم تأثر بالمباحث الفلسفية التي أفرزتها عقول الفلاسفة فإنَّه نشأ في موطن الفلاسفة في بلاد حرَّان من بلاد الشام ، وهذه الديار هي ديار الصابئة وفيها بقاياهم ، وهم أتباع دين نمرود ، وكثير من الذين اتبعوا المنهج الفلسفي استقوا علومهم من أهل هذه الديار .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « أصل هذه المقالة ــ مقالة التعطيل للصفات ــ إنما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين ، فإنَّ أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام ــ أعنى أن الله سبحانه وتعالى ليس على العرش حقيقة ، وأن معنى استوى بمعنى استولى ونحو ذلك ــ هو الجعد بن درهم »[1] .

---

(١) مجموع فتاوي شيخ الإسلام : ٥/ ٢٠

ويقول أيضا : « وكان الجعد بن درهم هذا ـ فيما قيل ـ من أهل حرّان ، وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة ـ بقايا أهل دين نمرود والكنعانين الذين صنف بعض المتأخرين في سحرهم ، ونمرود هو ملك الصابئة الكلدانين المشركين ، وكانت الصابئة إلا قليلا منهم إذ ذلك على الشرك ، وعلماؤهم هم الفلاسفة ، وكثير منهم أو أكثرهم كانوا كفارا أو مشركين ، وكانوا يعبدون الكواكب ويبنون لها الهياكل .

ومذهب النفاة من الصابئة في الرب أنه ليس له إلا صفات سلبية أو إضافية أو مركبة منهما ، وهم الذين بعث إليهم إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم ، فيكون الجعد قد أخذ مقالته من الصابئة الفلاسفة .

وكذلك أبو نصر الفارابي دخل حرّان ، وأخذ عن فلاسفة الصابئين تمام فلسفته ، وأخذها الجهم أيضا فيما ذكره الإمام أحمد وغيره لما ناظر السمنية بعض فلاسفة الهند ، وهم الذين يجحدون من العلوم ما سوى الحسيات ، فهذه أسانيد جهم ترجع إلى اليهود والصابئين والنصارى والمشركين . والفلاسفة الضالون هم إما من الصابئين وإما من المشركين »[1] .

وتابع شيخ الإسلام كلامه قائلا : « ثم لما عربت الكتب الرومية واليونانية في حدود المائة الثانية زاد البلاء مع ما ألقى الشيطان في قلوب الضلال ابتداء من جنس ما ألقاه في قلوب أشباههم »[2] .

وقال في موضع آخر : « أصل قول الجهمية مأخوذ عن المشركين والصابئة والمتفلسفة ومبتدعة أهل الكتاب الذين يزعمون أن الرب ليس له صفة ثبوتية أصلا ، وهؤلاء هم أعداء إبراهيم الخليل عليه السلام ، وهم يعبدون الكواكب ويبنون الهياكل للعقول والنجوم وغيرها ، وهم ينكرون في الحقيقة أن يكون إبراهيم خليلا،

---

(١) مجموع فتاوي شيخ الإسلام : ٥/٢١-٢٢ بشيء من الاختصار ، وانظر : ١٢/٣٥٠ من مجموع فتاوي شيخ الإسلام

(٢) مجموع فتاوي شيخ الإسلام : ٥/٢٢

وموسى كليما»[1] .

وقد ذكر لنا الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ المناظرة التي جرت بين جهم وبين السمنية ، والتي كانت السبب في حرف مساره وضلاله .

يقول الإمام احمد رحمه الله : «كان مما بلغنا من أمر جهم عدوالله ، أنه كان من أهل خراسان من أهل ترمذ ، وكان صاحب خصومات وكلام ، وكان أكثر كلامه في الله تعالى ، فلقي أناسا من المشركين يقال لهم السمنية ، فعرفوا الجهم ، فقالوا له : نكلمك فإن ظهرت حجتنا عليك دخلت في ديننا ، وإن ظهرت حجتك علينا دخلنا في دينك .

فكان مما كلموا به الجهم أن قالوا له : ألست تزعم أن لك إلها ؟ قال الجهم: نعم .

فقالوا له: فهل رأيت إلهك ؟ قال : لا

قالوا : فهل سمعت كلامه ؟ قال : لا

قالوا : فشممت له رائحة ؟ قال : لا

قالوا : فوجدت له حِسّا ؟ قال : لا

قالوا : فوجدت له مِجَسًّا ؟ قال : لا

قالوا : فما يدريك أنه إله ؟قال فتحير الجهم ، فلم يدر من يعبد أربعين يوما .

ثم استدرك حجة مثل حجة زنادقة النصارى ، وذلك أن زنادقة النصارى يزعمون أن الروح الذي في عيسى هو روح الله من ذات الله ، فإذا أراد أن يحدث أمرا دخل في بعض خلقه ، فتكلم على لسان خلقه ، فيأمر بما يشاء ، وينهى عما يشاء ، وهو روح غائبة عن الأبصار .

فاستدرك الجهم مثل هذه الحجة ، فقال للسمني :

---

(١) مجموع فتاوي شيخ الإسلام : ٦٧/١٠

ألست تزعم أن فيك روحا ؟ قال : نعم

فقال : هل رأيت روحك ؟ قال : لا .

قال : فسمعت كلامه ؟ قال : لا .

قال : فوجدت له حِسًّا أو مجسًّا ؟ قال : لا .

قال : فكذلك الله لا يُرَى له وجه ، ولا يُسْمَعُ له صوت ، ولا يُشَمُّ له رائحة ، وهو غائب عن الأبصار ، ولا يكون في مكان دون مكان ، ووجد ثلاث آيات من المتشابه قوله : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾[1] ، ﴿ وهو الله في السموات وفي الأرض﴾[2] ، ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾[3] .

فبنى أصله على هذه الآيات ، وتأول القرآن على غير تأويله ، وكذب بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزعم أن من وصف الله بشيء مما وصف به نفسه في كتابه أو حدث عنه رسوله كان كافرا ، وكان من المشبهة ، فأضل بكلامه بشرا كثيرا »[4] .

وحجة هؤلاء السمنية الضالين الذين ضل بضلالهم الجهم وامثاله تتلخص في أن الذي لا يدركه الإنسان بحواسه ليس بموجود ، ولا يجوز الإيمان به وإقراره ، نأجابهم الجهم أنه قد يكون في الوجود ما لا يدركه الإنسان بحواسه كالروح .

وحجة الجهمية باطلة فإن العباد يقرون بأمور كثيرة لم يشاهدوها ولم يروها ، والجهم في رده عليهم أقر بأن الخالق لا يرى ولا يشاهد ولا يسمع ، وبالتالي فإنه لا يتكلم ، ومن ثمّ جعل التوحيد لا يتحقق إلا بنفي صفات الخالق[5] .

---

(١) سورة الشورى : ١١

(٢) سورة الأنعام : ٣

(٣) سورة الأنعام : ١٠٣

(٤) الرد على الزنادقة والجهمية : ص ٢٣ ، ٢٤

(٥) راجع : تاريخ المعتزلة والجهمية للقاسمي : ص ٢٣

وإذا كان الجعد تَشَرَّبَ هذه المقالة من الفلاسفة بحكم نشأته في ديارهم فإنه أخذها أيضا من اليهود بحكم مخالطته لهم .

يقول ابن كثير : « قال ابن عساكر وغيره : وقد أخذ الجعد بدعته عن بيان بن سمعان ، وأخذها بيان عن طالوت بن أخت لبيد بن أعصم زوج ابنته ، وأخذها طالوت عن لبيد بن أعصم الساحر الذي سحر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأخذها لبيد عن يهودي باليمن »[1] .

وقد تكلم كثير من أهل العلم عن أسباب الانحراف الاعتقادي في هذا الباب ونَصُّوا على أن الفلسفات والضلالات القديمة كان لها أثر ظاهر في ذلك الانحراف.

يقول الشهرستاني : « كان واصل بن عطاء يَشْرَعُ في نفي الصفات على قول ظاهر ، وإنما شَرَعَتْ أصحابه فيها بعد مطالعة كتب الفلاسفة »[2] .

وقال : « كان أبو الهذيل العَلاَّف شيخ المعتزلة الأكبر وافق الفلاسفة في أن الباري عالم بعلم ، وعلمه ذاته ، وابتدع بدعا في الكلام والإرادة »[3] .

وقال : « غلا إبراهيم بن سيار النظام في أيام المعتصم في تقرير مذهب الفلاسفة وانفرد عن السلف ببدع في القدر والرفض »[4] .

رابعا : الهدم العقائدي المنظم

حاول أعداء الإسلام هدم الإسلام بالقوة فلم يفلحوا ، فاتجهت جهود كثير منهم إلى إفساد عقيدة المسلمين ، وبعض هؤلاء رَأَوْا أن هدم الإسلام من داخله أسهل من هدمه من خارجه ، فدخل في الإسلام من يريد هدم عقيدة الإسلام ، وأخذ يبث سمومه في المسلمين ، وأصبحت هذه المفاسد التي نشروها وَدَوَّنوها مباءة خبيثة

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير : ٩/ ٣٥٠، وانظر مجموع فتاوي شيخ الإسلام : ٥/ ٢٠

(٢) الملل والنحل : ١/ ٤٦

(٣) الملل والنحل : ١/ ٣٠

(٤) الملل والنحل : ١/ ٣١

للملحدين والمنافقين والزنادقة .

وقد كان بعض زعماء الضلال يصرحون بمقصدهم وغايتهم ، وأكثرهم يَظْهَرُ مَقْصِدُهُم في فلتات ألسنتهم ، كما تظهره مبادؤهم الكفرية المتناقضة التي شوهت عقيدة الإسلام ، وأبطلت تعاليم القرآن .

جاء على لسان أبي ميمون القداح قوله : « إني أضيق بدين محمد ، وليس عندي جيش أحارب به ، وليس لديَّ مال ، ولكني في الحيلة طويل الباع بحيث إذا لقيت عونا قلبت دين محمد رأسا على عقب »[1] .

ويقول ابن الراوندي : « إن فصاحة أكثم بن صَيْفِي تفوق فصاحة القرآن »[2] .

ويقول أيضا : « إن القرآن غير حكيم ، وإن فيه تناقضا وخطأ وكلاما يستحيل»[3] ، ويقول أيضا : « إن الذي يأتي به الرسول لم يخل من أحد أمرين : إما أن يكون معقولا ، وإما أن لا يكون معقولا ، فإن كان معقولا فقد كفانا العقل التام بإدراكه والوصول إليه ، فأيُّ حاجة لنا إلى الرسول ؟ وإن لم يكن معقولا فلا يكون مقبولا ، إذ قبول ما ليس بمعقول خروج عن حد الإنسانية ودخول في حد البهمية»[4] .

وقد سلك هؤلاء الضالون في إفساد عقيدة الإسلام طريقتين :

الأول : طريق الغُلُوِّ والمبالغة . والثاني : طريق التحريف والتأويل .

وأكثر ما تجد الغلو عند أهل التشيع ، فإنهم يبالغون في تعظيم الأئمة حتى رفعوهم إلى مستوى الألوهية ، وخلعوا عليهم صفاتها .

يقول الشهرستاني : « الغلاة اسم علم على أولئك الذين غَلَوْا في حق أئمتهم

---

(١) بيان الأديان لعبد المعالي الحسني : ص ٤١-٤٢

(٢) تاريخ الإلحاد لعبد الرحمن بدوي : ص ١٢١

(٣) الانتصار للخياط : ص ١٢

(٤) تاريخ الإلحاد في الإسلام لعبد الرحمن بدوي : ص ١٤١

حتى أخرجوهم من حدود الخليقة ، وحكموا فيهم بأحكام الألوهية ، فربما شبهوا واحدا من الأئمة بالإله ، وربما شبهوا الإله بالخلق ، وهم على طرفي الغُلُوّ والتقصير، وإنما نشأت شبهاتهم عن مذاهب الحلولية ومذاهب التناسخية ومذاهب اليهود والنصارى.

واول من توجه هذا التوجه قاصدا هدم الإسلام من داخله بإفساد عقيدته ـ فيما علمنا ـ هو عبدالله بن سبأ اليهودي ، يقول البغدادي : « قال المحققون من أهل السنة إن ابن السوداء ـ أي ابن سبأ ـ كان على هوى دين اليهود ، وأراد أن يفسد على المسلمين دينهم بتأويلاته في عليّ وأولاده ، لكي يعتقدوا فيه ما اعتقده النصارى في عيسى عليه السلام »[1] .

وقد ادعى هذاالمأفون ومن سار مساره في عليّ وأبنائه من بعده دَعَاوى رفعتهم إلى مستوى الآلهة ، وأصبغت عليهم صفات الألوهية ، ولحظ ابن حزم هذا الملحظ في الفرس ، فإنهم لما فشلوا في حرب الإسلام بالسيف ، فكروا في وسيلة أخرى لحربه ، فأظهر قوم منهم الإسلام ، واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل البيت واستشناع ظلم علِي ـ رضي الله عنه ـ ثم سلكوا بهم مسالك شتى ، حتى أخرجوهم عن الإسلام[2] .

والذي يدُقّقّ النظر في مقالة الجهمية يعلم أنها تفضي إلى إنكار الخالق ، ولذا رأى علماء أهل السنة أنّ الذين ابتدعوا هذه المقالة هم من الزنادقة الذين ينكرون الخالق ويجحدونه ، ولكنهم تستروا وراء فلسفات ونظريات ضالة تُوصِلُ إلى مرادهم ، وتخفي قصودهم على خصومهم .

والذين يجحدون صفات الخالق قولهم كقول فرعون ونمرود الذين يجحدون الخالق لأن الذي لا صفات له لا وجود له ، ولاتُمْكِن معرفته .

---

(١) الفرق بين الفرق : ص ٣٣٥

(٢) الفصل لابن حزم : ٢/١١٥ اللالكائي ١/٤٠

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « رؤساء الرافضة والجهمية كانوا زنادقة ، وأول من ابتدع الرفض كان منافقا ، وكذلك التَّجَهُّم أصله زندقة ونفاق ، ولهذا كان الزنادقة المنافقون من القرامطة الباطنية المتفلسفة وأمثالهم يميلون إلى الرافضة والجهمية لقربهم منهم »[1] .

ويقول أيضا : « المأثور عن السلف والأئمة إطلاق أقوالٍ بتكفير الجهمية المحضة الذين ينكرون الصفات ، وحقيقة قولهم أن الله لا يُرى ، ولا يتكلم ، ولا يباين الخلق ، ولا قدرة له ، ولا علم ولا بصر ولا حياة ، بل القرآن مخلوق ، وأهل الجنّة لا يرونه كما لا يراه أهل النار ، وأمثال هذه المقالات »[2] .

ويقول أيضا :« حقيقة قول الجهمية المعطلة هو قول فرعون ، وهو جحد الخالق ، وتعطيل كلامه ودينه ، كما كان فرعون يفعل ، فكان يجحد الخالق جّل جلاله ، ويقول : ﴿ ما علمت لكم من إله غيري ﴾ [3]، ويقول لموسى : ﴿ لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنَّك من المسجونين ﴾ [4] .

ويقول : ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾ [5] ، وكان ينكر أن يكون الله كلَّم موسى ، أويكون لموسى إله فوق السموات ، ويريد أن يبطل عبادة الله وطاعته ، ويكون هو المعبود المطاع .

فلما كان قول الجهمية المعطلة نفاة الصفات يؤدي إلى قول فرعون كان منتهى قولهم إنكار رب العالمين ، وإنكار عبادته وإنكار كلامه ، حتى ظهر بدعوى التحقيق والتوحيد والعرفان ، فصاروا يقولون العالم هو الله ، والوجود واحد ، والموجود القديم الأزلي الخالق هو الموجود المحدث المخلوق ، والرب هو العبد ، ما ثمَّ رب

---

(١) مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية : ٣٥٣

(٢) مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية : ٣/٣٥٢

(٣) سورة القصص : ٣٨

(٤) سورة الشعراء : ٢٩

(٥) سورة النازعات: ٢٤

وعبد، وخالق ومخلوق .

ولهذا صاروا يعيبون على الأنبياء وينتقصونهم ، ويعيبون على نوح وعلى إبراهيم وغيرهما ، ويمدحون فرعون ويجوزون عبادة جميع المخلوقات ، وجميع الأصنام ، ولا يَرْضَوْن بأن تعبد الأصنام حتى يقولوا : إن عُبّاد الأصنام لم يعبدوا إلا الله ، وإن الله نفسه هو العابد وهو المعبود ، وهو الوجود كله ، فجحدوا الرب وأبطلوا دينه ، وأمره ونهيه ، وما أرسل به رسله ، وتكليمه لموسى وغيره ، وقد ضل في هذا جماعة لهم معرفة بالكلام والفلسفة والتصوف المناسب لذلك ، كابن سبعين ، والصدر القُونَوي ، تلميذ ابن عربي ، والبلياني والتلمساني ، وهو من حذاقهم علما ومعرفة ، وكان يظهر المذهب بالفعل ، فيشرب الخمر ويأتي المحرمات »[1] .

ويذكر ابن تيمية أنه حدثه من يثق به أنه قرأ « فصوص الحكم » لابن عربي على التلمساني ، وكان يظنه من كلام أولياء الله العارفين ، فرآه يخالف القرآن ، فقال للتلمساني : هذا الكلام يخالف القرآن . فقال : القرآن كله شرك ، وإنما التوحيد في كلامنا ، وكان يقول : ثَبَتَ في الكشف ما يخالف صريح المعقول .

ويذكر أيضا أنه حدثه من كان معه ، ومعه آخر نظير له ، فمرا على كلب أجرب ميت بالطريق ، فقال له رفيقه : هذا أيضا هو ذات الله ؟

فقال : وهل ثَمَّ شيء خارج عنها ؟ نعم الجميع ذاته .

ويتابع الشيخ كلامه قائلا : « حقيقة قول هؤلاء قول فرعون ، لكن فرعون ما كان يخاف أحدا فينافقه ، فلم يُثْبِتْ الخالق ، وإن كان في الباطن مقرا به ، أما هؤلاء فهم من وجه ينافقون المسلمين ، فلا يمكنهم إظهار جحود الصانع ، ومن وجه هم ضُلّال يحسبون أنهم على حق ، وأن الخالق هو المخلوق ، فكان قولهم هو قول فرعون ، لكن فرعون كان معاندا مظهرا للجحود والعناد ، وهؤلاء إما جهال ضلال ، واما منافقون مبطنون الإلحاد والجحود ، يوافقون المسلمين في الظاهر ويذكر الشيخ أن

(١) مجموع فتاوي شيخ الإسلام : ١٣/ ١٨٥

بعض ضَلاّلهم اعترف أنهم على قول فرعون ونهجه »[1] .

ولقد اتخذ جمع من أهل الضلال التأويل طريقا للإضلال وهدم دين الإسلام ، وهذا هو طريق الباطنية ، يقول محمد بن الحسن الديلمي فيهم : « وُضع مذهب الباطنية في سنة خمسين ومائتين من الهجرة ، وضعه قوم تطابقوا ، وكان في قلوبهم بغض للإسلام ، وبغض للنبي عليه السلام من الفلاسفة والملحدة والمجوس واليهود ليسلخوا الناس عن الإسلام بعد قُوّتِه ، وبعثوا الدعاة إلى الآفاق والأطراف ليدعوا الناس إلى هذا المذاهب المشؤوم لعلّ الملك يرجع إليهم ، ويبْطل دين النبي العربي .

وكان آخر دعاتهم ميمون القداح الثنوي ، ولما وضعوا هذا ادّعوا التشيع ومذهب الإمامية ، وأصولهم في الاعتقاد مثل اعتقاد الفلاسفة ، وظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض .

وجعل ميمون القدّاح لكلّ آية من كتاب الله تفسيرا ، ولكل حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تأويلا ، وزخرف الأقاويل وضرب الأمثال ، وجمع الأعداد والمقابلات ، وقال : إن جميع المفروضات والمسنونات رموز وإشارات وأمثال ممثلات ، وأن الظواهر كلّها قشور وبواطنها هو اللب المقصود ، وأمر بالاعتصام بالغائب المفقود ، والإعراض عن الحاضر الموجود ، وجعل أصل دعوته لعلي بالتقديم والإمامة ليستر بجلالة الإسلام وبجاه علي وأولاده عليهم السلام ـ كفره العظيم ، وإفكه القديم ، وإلحاده المبين ، والطعن على جميع الصحابة والتابعين، وكان الملعون يعتقد اليهودية ويظهر الإسلام ، وكان حريصا على هدم شريعة الإسلام لما في اليهود من عداوة النبي عليه السلام .

وللباطنية ألقاب عشرة : « الإسماعيلية ، والباطنية ، والقرامطة ، والسبعية ، والبابَلية، والمحمرة ، والتعليميةُ ، والقرمطية ، والخرّمندينية »[2] .

---

(١) مجموع فتاوي شيخ الإسلام ١٣/١٨٦

(٢) بيان مذهب الباطنية لمحمد بن الحسن الديلمي :ص ٣ بشيء من التصرف والاختصار ، نشر مكتبة دار ابن قتيبة – الكويت .

وقد ذكر الديلمي كثيرا من تأويلات الباطنية ، فهم يقولون : إن الوحي والملائكة والمعجزات رموز وإشارات وأمثال ممثلات لم يعلمها أهل الظاهر ، فثعبان موسى غلبة موسى فرعون ، وإظلال الغمام أمره عليهم ، ومعنى كون عيسى من غير أب ، أنه لم يأخذ العلم من إمام ، وإنما أخذه من نائب الإمام ، وأولوا نبع الماء من بين أصابع الرسول صلى الله عليه وسلم بتكثير العلم ، وطلوع الشمس من مغربها بخروج الإمام .

ومعنى القيام من القبور المذكور في الكتاب والسنة عندهم قيام قائم الزمان ، وهو خروج إمامهم ، والمعاد عود كل شيء إلى أصله من الطبائع الأربعة ، ومعنى الغسل المأمور به شرعا تجديد العهد عليه ، ومعنى الجماع مكالمة من لا عهد له بالباطن ، والزنا إلقاء العلم في سمع من لم يعاهده ، والاحتلام سبق اللسان لمذهب أهل الباطن، والطهور التبرؤ من كل مذهب خالف الباطنية ، والتيمم الأخذ للعلم المأذون، والصلاة الدعاء لإمامهم ، والزكاة بث العلوم لمن يتزكى بها ويستحقها ، والصوم كتمان العلم عن أهل الظاهر . والكعبة النبي ، والباب علي ،والصفا النبيُّ ، والمروة عليّ ، والميقات إمامهم ، والتلبية ، إجابة الداعي إلى باطلهم ، والطواف بالبيت سبعا هو تطواف بمحمد إلى تمام الأئمة السبعة ، والنار هي التكاليف بالعبادات، وهي موظفة على الجهال بعلم الباطن ، والجنة علم الباطن .

والطوفان العلم غرق فيه أهل السنة ، والظاهر السفينة حَرْزَه الذي تحصن به المستجيب ، ونار إبراهيم غضب نمرود عليه ، وذبح إسحاق أخذ العهد عليه ، وعصا موسى حجته التي غلب بها عند المناظرة ، وتسبيح الجبال هم رجال شداد منهم ، والجن أصحاب سليمان باطنية ذلك الزمان .

وقد ألف جمع من أهل العلم في بيان مذهب الباطنية وبطلانه ، فمن هذه المؤلفات : فضائح الباطنية للغزالي – نشرته الدار العربية للطباعة والنشر- ١٣٨٣ هـ ١٩٦٤م

وكتاب القرامطة لابن الجوزي – نشره المكتب الإسلامي – بيروت ١٤٠١هـ ١٩٨٨م وهو اختصار لكتاب لغزالي .

وإبليس وآدم : أبوبكر وعلي ، ويأجوج ومأجوج أهل الظاهر[١] .

وقد تنبه العلماء إلى الغرض الذي يرمي إليه هؤلاء الباطنية في دعواهم أن للنصوص ظاهرا وباطنا ، وهو التلاعب بهذا الدين كيف شاؤوا .

يقول ابن الجوزي : « وغرضهم فيما وضعوا من ذلك إبطال الشرائع ، لأنهم إذا حَرَّفُوا العقائد عن موجب الظاهر تحكموا بدعوى الباطن على ما يوجب الانسلاخ من الدين »[٢] .

وذكر الديلمي أن الباطنية في زعمها « أن الله لا يوصف بنفي ولا إثبات ، أي لا يقال: إنه موجود ولا معدوم ، ولا قادر ولا غير قادر ، ولا عالم ولا غير عالم ، وكذلك في باقي الصفات مرادهم جحد الصانع ، وإنما تستروا بهذه العبارات عند العامة ، حتى لا يُفْهَمَ مقصودهم ، فإنه لا نفي أبلغ من القول بأنه ليس بشيء ، ولا موجود ولا معدوم»[٣] .

وقال الغزالي بعد ذكره معتقدهم في الله الذي ذكره ابن الجوزي والديلمي : «وكأنهم يتطلعون في الجملة لنفي الصانع ، فإنهم لو قالوا إنه معدوم لم يقبل منهم ، بل منعوا الناس من تسميته موجودا ، وهو عين النفي مع تغير العبارة ، لكنهم تَحَذَّقُوا ،فسموا هذا النفي تنزيها ، وسموا مناقِضَه تشبيها ، حتى تميل القلوب إلى قبوله »[٤]

خامسا : الأحاديث الضعيفة والموضوعة :

عملت الأحاديث الباطلة عملها في إفساد عقيدة المسلمين ، فمِن هذه الأحاديث المكذوبة أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ سئل فقيل له : مِمَّ ربنا ، فقال : « من ماء مرور لا أرض ولا سماء ، خَلَقَ خيلا فأجراها فَعَرِقَت ، فخلق نفسه

---

(١) انظر هذه التأويلات التي تحكي ترهات وأباطيل هذه الطائفة في المصدر السابق : ص ٥-١٠

(٢) القرامطة – لابن الجوزي : ص ٣٧ – المكتب الإسلامي بيروت .الطبعة الخامسة : ١٤٠١هـ ١٩٨١م

(٣) بيان مذهب الباطنية للدلمي : ص ٧٢

(٤) فضائح الباطنية : ص ٢٩

من ذلك العَرَقِ »[1] .

ومن الأحاديث الباطلة المنسوبة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم : « رأيت ربي يوم عرفات بعرفات على جمل أحمر ، عليه إزاران ، وهو يقول : قد سمحت ، قد غفرت إلا المظالم »[2] .

ومنها « رأيت ربي في المنام في أحسن صورة ، شابًا مُوَفَّرا ، رجلا في خَضِرةٍ ، عليه نعلان من ذهب ، على وجهه فراش من ذهب »[3] .

ومنها ما ذكره ابن أبي عاصم في كتابه « السنة » « لما قضى الله خلقه استلقى ، ثم وضع إحدى رجليه على الأخرى »[4] .

وقد علق عليه محققه الشيخ ناصر الدين الألباني قائلا :« إسناده ضعيف ، والمتن منكر ، كأنه من وضع اليهود »[5] .

---

(١) تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعه و الموضوعة : ١/ ١٣٤

(٢) تنزيه الشريعة : ١/ ١٣٩

(٣) تنزيه الشريعة : ١/ ١٤٥

(٤) السنة لابن أبي عاصم حديث رقم : ٥٦٨

(٥) المصدر السابق .

الفصل الخامس

مذهب السلف الصالح في معترك الصراع

المبحث الأول

مزاحمة المناهج الباطلة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم

إن الذين انحرف بهم المسار عن نهج السلف الصالح في باب الاعتقاد ينازعون السلف ، ويزعمون أن منهجهم هو المنهج الأسلم والأعلم والأحكم ، وقد يدلّس بعضهم عندما يدعي أن منهج السلف أسلم ، ومنهج الخلف أحكم .

وقد غلا بعض المخالفين وتجاوز حدّه عندما اتهم الصحابة بالسذاجة ، وأنهم لم يفقهوا الحق الذي أنزله تبارك وتعالى .

وجاوز الظالمون حَدَّهَمْ عندما طعنوا في علم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفقهه ، وهؤلاء الأغرار يَدَّعُون أن الرسل لم يعرفوا حقائق العلوم الإلهية والكلية ، ولذا فإن الرسل ـ في زعمهم ـ لا يصلحون لمخاطبة أصحاب العقل والعلم والمعرفة، وإنما يصلحون لمخاطبة عوام الناس ، ويزعم آخرون أن الرسل علمت حقائق العلوم ، ولكنهم لم يبينوها للناس ، بل خاطبوا الناس بما يخيل إليهم ، ونسبوا الرسل ـ بهذا القول ـ إلى التلبيس والضلال .

وزعم آخرون أن الرسل علموها وبينوها ، لكن لا يمكن معرفة الحق من كلامهم، بل يحتاج كلامهم إلى تأويل .

وقد سمى شيخ الإسلام ابن تيمية هؤلاء بأهل التخييل ، وأهل التأويل ، وأهل التجهيل ، وأطال في مؤلفاته الحديث عنهم لمنازعتهم الرسول فيما جاء به ، وتلبيسهم على الناس الباطل والزور الذي جاؤوا به .

« فأهل التخييل هم المتفلسفة ومن سلك سبيلهم من تكلم ومتصوف ومتفقه ، فإنهم يقولون : إن ما ذكره الرسول ـ صلى الله عليه وسلمَ ـ من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر إنما هو تخييل للحقائق لينتفع به الجمهور ، لا انه بين به الحق ، ولا هدى به الخلق ، ولا أوضح به الحقائق .

ثم هم على قسمين : منهم من يقول : إن الرسول لم يعلم الحقائق على ما هي عليه ، ويقولون : إن من الفلاسفة الإلهية مِن علمها ، وكذلك من الأشخاص الذين يسمونهم الأولياء مَنْ علمها ، ويزعمون أن من الفلاسفة والأولياء من هو أعلم بالله واليوم الآخر من المرسلين ، وهذه مقالة الملحدين من الفلاسفة والباطنية : باطنية الشيعة ، وباطنية الصوفية ، وهذا يقوله الفارابي وأمثاله .

ومنهم من يقول بأن الرسول علمها ، وإنما تكلم بما يناقضها ، وأراد من الخلق فَهْم ما يناقضها ، لأن مصلحة الخلق في هذه الاعتقادات التي لا تطابق الحق ، ومن القائلين بهذا القول ابن سينا .

ويقول هؤلاء : يجب على الرسول أن يدعو الناس إلى اعتقاد التجسيم مع أنه باطل ، وإلى اعتقاد معاد الأبدان مع أنه باطل ، ويخبرهم أن أهل الجنّة يأكلون ويشربون مع أن ذلك باطل .

قالوا : لأنه لا يمكن دعوة الخلق إلا بهذه الطريق التي تتضمن الكذب لمصلحة العباد، فهذا قول هؤلاء في نصوص الإيمان بالله واليوم الآخر »[1] .

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ٣٢/٥. وراجع أيضا مجموع الفتاوى : ٤٤/١٦

« وأما أهل التأويل فيقولون إن النصوص الواردة في الصفات لم يقصد بها الرسول أن يعتقد الناس الباطل ، ولكن قصد بها معاني ، ولم يبين لهم تلك المعاني ولا دلَّهم عليها، ولكن أراد أن ينظروا فيعرفوا الحق بعقولهم ، ثم يجتهدوا في صرف تلك النصوص عن مدلولها ، ومقصوده امتحانهم وتكليفهم ، واتعاب أذهانهم وعقولهم في أن يصرفوا كلامه عن مدلوله ومقتضاه ، ويعرفوا الحق من غير جهته ، وهذا قول المتكلمة والجهمية والمعتزلة ، ومن دخل معهم في شيء من ذلك »[1] .

والصنف الثالث : وهم أهل التجهيل ، فهم كثير من المنتسبين إلى السنة واتباع السلف ، يقولون : إن الرسول صلى الله عليه وسلم « لم يعرف معاني ما أنزل إليه من آيات الصفات ولا جبريل يعرف معاني الآيات ، ولا السابقون الأولون عرفوا ذلك .

وكذلك قولهم في أحاديث الصفات إن معناها لا يعلمه إلا الله ، مع أن الرسول تكلم بها ابتداء ، فعلى قولهم تكلم بكلام لا يُعْرَفُ معناه »[2] .

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ٥/٣٣ .وراجع ايضا : ١٦/ ٤٤١

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ٥/٣٤. وراجع : ٦/ ٤٤٢ من مجموع الفتاوى

المبحث الثاني

الأدلة على أن معتقد السلف هو الأعلم والأسلم والأحكم

١ـ « من المحال في العقل والدين أن يكون السراج المنير الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور ، وأنزل معه الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وأمر الناس أن يردوا ما تنازعوا فيه من أمر دينهم إلى ما بعث به من الكتاب والحكمة، وهو يدعو إلى الله وإلى سبيله بإذنه على بصيرة ، وقد أخبر الله بأنه أكمل له ولأمته دينهم ، وأتمّ عليهم نعمته ، فمحَال مع هذا وغيره : أن يكون قد ترك باب الإيمان بالله والعلم به متلبسا مشتبها عليهم ، ولم يميز بين ما يجب لله من الأسماء الحسنى والصفات العليا ، وما يجوز عليه، وما يمتنع عليه .

فإن معرفة هذا هو أصل الدين وأساس الهداية ، وأفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب، وحصلته النفوس وأدركته العقول ، فكيف يكون ذلك الكتاب وذلك الرسول وأفضل خلق الله بعد النبين لم يحكموا هذا الباب اعتقادا وعملا[١] ؟

٢ـ شهد الله لأصحاب نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان بأنهم على الحق وأثنى عليهم ، وأخبر برضاه عنهم ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه ، وأعدّ لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم ﴾[٢] .

وقال فيهم أيضا :﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ٦/٥

(٢) سورة التوبة : ١٠٠

ما في قلوبهم ، فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ﴾[1] .

وقد تهدد رب العزة الذين يتبعون غير سبيلهم بالعذاب الأليم ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ﴾[2] .

ولا شك أن سبيل المؤمنين هو سبيل الصحابة من المهاجرين والأنصار ، وهو السبيل الذي جاء به القرآن ، وبينه خير الأنام ، وقد كان هذا السبيل واضحا معلوما ، والذين يدَّعون أن الصحابة لم يكونوا يعرفون طريق الإيمان والإسلام أعظموا على الله الفريَة .

وثبت في السنة أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ علَّم صحابته كل شيء حتى الخِراءة وقال : « تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك » . وقال فيما صح عنه : « ما بعث الله من نبي إلا كان حقا عليه أن يدلَّ أمته على خير ما يعلمه لهم ، وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم » .

وقال أبو ذر : لقد توفي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علما .

وقال عمر بن الخطاب : « قام فينا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مقاما ، فذكر بدء الخلق ، حتى دخل أهل الجنّة منازلهم ، وأهل النار منازلهم ، حفظ ذلك من حفظه ، ونسيه من نسيه ». رواه البخاري .

ومحال مع تعليمهم كل شيء لهم فيه منفعة في الدين ـ وإن دقت ـ أن يترك تعليمهم مايقولونهبألسنتهم ، ويعتقدونه في قلوبهم في ربهم ومعبودهم رب العالمين ، الذي معرفته غاية المعارف ، وعبادته أشرف المقاصد ، والوصول إليه غاية المطالب ، بل هذا خلاصة الدعوة النبوية ، وزبدة الرسالة الإلهية ، فكيف يتوهم من في قلبه

---

(١) سورة الفتح : ١٨

(٢) سورة النساء : ١١٥

أدنى مسكة من إيمان وحكمة أن لا يكون هذا الباب قد وقع من الرسول على غاية التمام ؟

ثم إذا وقع ذلك منه : فمن المحال أن يكون خير أمته وأفضل قُرونها قَصَّرُوا في هذا الباب ، زائدين فيه أو ناقصين عنه ؟ .

٤ـ الذين يزاحمون صحابة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في المنهج والسبيل هم أفراخ المتفلسفة ، وأتباع الهند واليونان ، وورثة المجوس والمشركين وضلال اليهود والنصارى والصابئين وأشباههم ، فكيف يكون هؤلاء أعلم بالله من ورثة الأنبياء وأهل القرآن ؟

المبحث الثالث

تناقض علماء الكلام وحيرتهم واضطرابهم

ومما يدل على أن مذهب السلف هو المذهب الأحكم والأسلم والأعلم أن كثيراً من الذين بلغوا الغاية في علم الكلام تراجعوا عنه وذموه ، بعضهم تراجع عنه وفي العمر بقية ، وبعضهم أعلن توبته وهو على فراش الموت ، ومنهم من كان يدرك ضلاله وحيرته ، ولكنه لم يكن يعرف سبيل الهداية ، « هذا الرازي ـ وهو أحد هؤلاء ـ يعلن في نهاية المطاف بعد أن أضناه المسير ، وعالج في مسيره كثيرا من العنت أنه لم يصل إلى شيء ، لقد ابتعد عن المنهج القرآني النبوي ، وجرى وراء نتائج العقول الإنسانية ، فلم تقده الأفكار والنظريات والمقالات إلى اليقين الذي يجده الناهل من وحي السماء ، لقد أدرك في نهاية المسار أن روحه لم ترتو من المنهل الذي ورده ، وأن الغاية التي سعى إليها لم تتحقق ، وأن ما اعتمد عليه وجمعه أقوال تتصارع وتتضارب .إني كلما قرأت أبياته التي أوردها في كتابه « أقسام اللذات » اشتمّ منها رائحة النواح الحزين الصاعد من قَلْبٍ مكلوم ، إنه النواح على النفس التي ضيعت المسيرة في غير مسارها الحق ، اسمعه وهو ينوح على نفسه فيقول :

نهايـة إقدام العـقول عقـال ... وأكثر سعي العالمين ضـلال

وأرواحنا في وَحْشَةٍ من حسومنا ... وغـايـة دنيـانا أذى ووبـال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقال

وكم قـد رأيـنا رجـالا ودولـة ... فبادوا جميعا مسرعين وزالوا

وكم مـن جـبال قد علا شرفاتها ... رجال ـ فزالوا ـ والجبال جبال[1]

---

(١) الصواعق المرسلة لابن القيم ص ٧ـ مطبعة الامام القاهرة ومقدمة – كتاب اعتقادات فرق المسلمين للرازي ص٢٣

ووعظ يوما بحضرة السلطان شهاب الدين الغوري فناداه قائلا : « يا سلطان العلماء لا سلطانك يبقى ، ولا تلبيس الرازي يبقى »[1] .

وقال ابن الصَّلاح : « أخبرني القطب الطوغاني مرتين أنه سمع فخر الدين الرازي يقول : يا ليتني لم أشتغل بعلم الكلام ، وبكى »[2]

ويقول في كتابه « أقسام اللذات » : « لقد تأملت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فما رأيتها تشفي عليلا ، ولا تُرْوِي غليلا ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن ، أقرأ في الإثبات : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾[3] ، ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب ﴾[4] .

وأقرأ في النفي : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾[5] ، ﴿ ولا يحيطون به علما ﴾.[6]
ويختم حديثه قائلا : « ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي »[7] .

ويصور لنا عبدالكريم الشهرستاني ـ وهو العلَم الذي لا يشق له غبار في علم الملل والنحل ـ حال أصحاب الكلام في علوم العقائد في مقدمة كتابه « نهاية الكلام في علم الكلام » فيقول :

لعَمْري لقد طفت المعاهد كلَّها ... وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعا كفَّ حائر ... على ذقن أو قارعا سنَّ نادم

ولا يجوز أن ننسى في هذا المقام الجويني ، وهو الذي كان يدْعَى بإمام الحرمين ، وهو من هو في علم الكلام والجدل والبحث والنظر ، وقد حضره الموت ، فإذا به

(١) مقدمة محرر كتاب اعتقادات فرق المسلمين : ص ٢٣
(٢) مقدمة محرر كتاب اعتقادات فرق المسلمين للرازي : ٢٣
(٣) سورة طه : ٥
(٤) سورة فاطر : ١٠
(٥) سورة الشوري : ١١
(٦) سورة طه : ١١٠
(٧) الفتوى الحموية الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية : ص ٧

ينظر في مساره في الحياة ، وينظر إلى حصيلته التي حصلها ، فيبكي بكاء الثكلى ، لقد أضاع الكثير من عمره في مسار لم يوصله إلى الشاطئ ، لقد كان يخوض في بحر خضم من الأفكار والعقائد والموازين ، لا يقر قلبُ من خاضها على قرار ، استمع إليه يوصي أصحابه وهو يعالج سكرات الموت فيقول : « لقد خُضْتُ البحر الخضم ، وتركت أهل الإسلام وعلومهم ، وخُضْتُ في الذي نَهَوْني عنه ، والآن إن لم يتداركني الله برحمته فالويل لي ، وها أنا ذا أموت على عقيدة أمي »[1] .

وهذا عالم آخر من علماء الكلام يفتش عن حصيلة العمر ، وهو على فراش الموت فلا يجد عنده من الحق شيئا ، فيعلن ذلك لمن حوله ، ويقول : « اشهدوا عليَّ أني أموت وما عرفت إلا أنَّ الممكن مفتقر إلى واجب ، ثمَّ قال : والافتقار أمر عدمي ، فلم أعرف شيئا »[2] .

ويقول آخر من علماء الكلام : « أكثر الناس شكًّا عند الموت أصحاب الكلام »[3] .

وقال شمس الدين الخسروشاهي ، وكان من أجّل تلامذة الفخر الرازي لبعض الفضلاء وقد دخل عليه يوما : ما تعتقد ؟ قال : ما يعتقده المسلمون . فقال : وأنت منشرح الصدر لذلك مستيقن به ؟ قال : نعم .

فقال : اشكر الله على هذه النعمة ، لكني والله ما أدري ما أعتقد ، والله ما أدري ما أعتقد ، وبكى حتى أخضل لحيته[4]

ولابن أبي الحديد من شعره :

فـيك ياأغلُوطة الفكر   حار أمري وانقضى عمـري

---

(١) نهاية الإقدام في علم الكلام للشهرستاني : ص ٣ ـ نشر مكتبة المثنى – بغداد

(٢) الصواعق المرسلة ،لابن القيم : ص ٧

(٣) الصواعق المرسلة ،لابن القيم : ص ٧

(٤) شرح الغقيدة الطحاوية : ص ٢٢٨

سافرتَ فيك العقولَ فما ربحت إلا أذى السفر

فَلَحَى الله الأُلى زعموا أنّك المعروفُ بالنظر

كذبوا إنَّ الذي ذكروا خارجٌ عن قوة البشر

وقال المرتضى اليماني الشهير بابن الوزير « خالف بعض المتكلمين والمبتدعة أسلوب الأنبياء والأولياء والأئمة والسلف في النظر ، فتكلفوا وتعمقوا وعبَّروا عن المعاني الجليّة بالعبارات الخفية ، ورجعوا بعد السفر البعيد إلى الشكِّ والحيرة والتعادي والتكاذب .

وقد اعترف أكثر المتكلمين بالوقوع في الحيرة ، والأمور المشكلة المتعارضة ، فقال ابن أبي الحديد ـ وهو من كبراء المعتزلة ـ بعد عظيم توغله في علم الكلام .

فإذا الذي استكثرت منه هو الـ جَاني علَى عَظائم المحن

فظللتُ في تيهٍ بلا علَمٍ وغرقتُ في بحر بلا سفنِ

وقال صاحب كتاب الإمام

تجاوزتُ حد الأكثرين إلى العلا وسافرتُ واستبقيتهم في المراكز

وخضت بحارا ليس يُدْرَكُ قعرها وسيَّرتُ نفسي في فسيح المفاوز

ولجت في الأفكار ثمَّ تراجع اخـ تياري إلى استحسان دين العجائز [1]

ومن المتأخرين الذين خاضوا في علم الكلام ولم يرجعوا منه بفائدة ، ووقعوا في الحيرة الشوكاني ، فإنه حدَّث عن نفسه فقال : « ها أنا أخبرك عن نفسي ، وأوضح لك ما وقعت فيه أمسي ، فإني في أيام الطلب وعُنفُوان الشباب ، شغلت بهذا العلم الذي سموه تارة علم الكلام ، وتارة علم التوحيد ، وتارة علم أصول الدين ،

---

(١) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان ،لأبي عبد الله محمد بن المرتضي اليماني المشهور بابن الوزير : ص ٤٤ دار الكتب العلمية بيروت ، ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤م

وأكببتَ على مؤلفات الطوائف المختلفة منهم ، ورمت الرجوع بفائدة والعود بعائدة ، فلم أظفر بغير الخيبة والحيرة ، وكان ذلك من الأسباب التي حببت إلي مذهب السلف ، على أني كنت قبل ذلك عليه ، ولكن أردت أن أزداد منه بصيرة وشغفا ، وقلت عند ذلك في تلك المذاهب :

وغاية ما حصلته من مباحثي ... ومن نظري من بعد طول التدبر

هو الوقف بين الطريقين حيرة ... فما علم من لم يلق غير التحير

على أني قد خضت منه غِمَاره ... وما قَنِعتُ نفسي بغير التبحر[1]

إن الناظر في حيرة علماء الكلام يعلم صدق قول شيخ الإسلام فيهم : « أوتوا ذكاءً و ما أوتوا زكاءً ، وأعطوا فهوما ، وما أعطوا علوما ، وأعطوا سمعا وأبصار وأفئدة ،﴿ فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ﴾[2][3] .

ويقول شيخ الإسلام مبينا حال علماء الكلام : أهل الكلام أعظم الناس شكا واضطرابا ، وأضعف الناس علما ويقينا ، وهذا أمر يجدونه في أنفسهم ، ويشهده الناس منهم ، ولذا تجدهم أكثر الناس انتقالا من قول إلى قول ، وجزما بالقول في موضع ، وجزما بنقيضه وتكفير قائله في موضع آخر ، وهذا دليل عدم اليقين .

وإنما فضيلة أحدهم باقتداره على الاعتراض والقدح والجدل ، ومن المعلوم : أن الاعتراض والقدح ليس بعلم ، ولا فيه منفعة ، وأحسن أحوال صاحبه أن يكون بمنزلة العامي ، وإنما العلم في جواب السؤال ، ولهذا تجد غالب حججهم تتكافأ ، إذ كل منها يقدح في الآخر .

وقد قيل : إنَّ الأشعري ــ مع أنه أقربهم إلى السنة والحديث وأعلمهم بذلك ــ

---

(١) التحف في مذاهب السلف للشوكاني ، مطبوعة في مجموعة الرسائل المنيرية : ٢/٩٣

(٢) سورة الأحقاف : ٢٦

(٣) مجموع فتاوي شيخ الإسلام : ٥/١١٩

صنف في آخر عمره كتابا في تكافؤ الأدلة ، يعني أدلة علم الكلام .

وكان ابن واصل الحموي ـ وهو من فضلاء المتأخرين وأبرعهم في الفلسفة والكلام ـ يقول : « أستلقي على قفاي ، وأضع الملحفة على نصف وجهي ، ثم أذكر المقالات ، وحجج هؤلاء وحجج هؤلاء ، واعتراض هؤلاء وهؤلاء حتى يطلع الفجر، ولم يترجح عندي شيء ، ولهذا أنشد الخطابي :

حجج تَهَافَتُ كالزجاج تخالُها حقًّا وكلٌّ كاسر مكسور[1]

والسر وراء هذه الحيرة والشقوة التي تحدَّث عنها أساطين علماء الكلام أن طبيعة المنهج الذي أخذوا به وسلكوه يسقط هيبة الرب من القلوب ، والقلب إذا عَرِيَ من الهيبة عري من الإيمان كما يقول الجنيد رحمه الله تعالى[2] .

إن علم الكلام يتحدث عن الله كما يتحدث عن أي موضوع من الموضوعات أو مخلوق من المخلوقات ، أضف إلى هذا أن أدلة علم الكلام أدلة عقلية من صنع الإنسان فيها مجال واسع للأخذ والرد ، يقول الغزالي رحمه الله تعالى : « الإيمان المستفاد من الدليل الكلامي ضَعيف جدًا مشرف على الزوال بكل شبهة ، بل الإيمان الراسخ إيمان العوام الحاصل بتواتر السماع »[3] .

إيمان السلف ليس بإيمان العجائز

هذا الذي ذكرناه عن الغزالي في آخر المبحث السابق من وصفه الإيمان الراسخ بأنه إيمان العوام ، وقول الآخرين فيه : إيمان العجائز ونحو ذلك ليس هو بإيمان أهل العلم من أتباع المنهج القرآني النبوي ، إن إيمان أهل العلم من أتباع المنهج القرآني النبوي من سلفنا إيمان يقيني مبصر لا يتزلزل ولا يتزعزع ، فالمنهج القرآني يجعلهم لا

---

(١) راجع مجموع فتاوي شيخ الإسلام : ٤/٢٧،٥.

(٢) نقله عنه الشيخ مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي في كتابه أقاويل الثقات : ص ١١٣

(٣) الجواهر، للغزالي : ص ٩٩

يشكون ولا يحتارون ، لأنهم على بينة من ربهم ، وإذا كان العوام من أهل السنة هذه حالهم ، فكيف بمن تأسوا بهم من أهل العلم والفضل حُفَّاظ كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

إن عوام أهل السنة فضلا عن علمائهم كما يقول المرتضى اليماني : « لو اجتمع عليهم جميع الفلاسفة وشعل الذكاء المتقدة من المتقدمين والمتأخرين يوردون عليهم الشبه التي تتحير فيها أفهام الفطناء ، وتدحض في مزالقها أقدام الأذكياء ما أصغوا إلى كلامهم ، ولا مالوا إلى مقالتهم ، ولا قدحت قويات شبههم نار الشك في قلوبهم ، ولا ترددوا في الجزم على اعتقادهم .

وهذا ليس بطريقة النظار ، فإن العلوم من أرباب النظر أنهم يجدون الشكوك عند ورود الشبه ، حتى أن بعض علماء الكلام ارتدوا إلى الكفر بعد الإسلام»[1] .

---

(١) البرهان الساطع في إثبات الصانع لمحمد بن إبراهيم الوزير : ص ٥٢ ، المكتبة السلفية - القاهرة - ١٣٤٩ هـ

المبحث الرابع
موقف علماء السلف من مخالفيهم

كان علماء السلف يخشون أن تتغلغل شبهات أهل الضلال في صفوف المسلمين من أهل السنة ، ولذلك فإنهم حرصوا على تحصين أهل السنة ضد الاتجاهات الضالة بأمور عدة منها :

١ـ التحذير من مخالطة أهل البدع ومجالستهم ، روى ابن بطة عن عبدالله بن السري أنه قال : « ليس السنة عندنا أن يُرَدَّ على أهل الأهواء ، ولكن السنة أن لا يُكلَّم أحد منهم »[١] .

وقال الإمام أحمد ـ رحمه الله فيما رواه عنه الذهبي:ـ سمع بشر بن السري البصري من سفيان ألف حديث ، وسمعنا منه ، فذكر حديث : ﴿ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾[٢]، فقال : ما أدري ما هذا ؟ إيش هذا ؟ فوثب به أهل مكة والْحُمَيْدي فأسمعوه ، فاعتذر بعد ، فلم يُقْبَلْ منه ، وزهد الناس فيه ، فلما قَدِمْتُ مكة المرة الثانية كان يجيء إلينا فلا نكتب عنه ، وجعل يتلطف فلا نكتب عنه[٣] .

٢ـ نشر المعتقد الصحيح وإظهاره ، كما فعل علماؤنا في كل عصر ومصر ، وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ أن إمام الأئمة في عصره أبا إسحاق الأسفراييني كان يأتي في كل يوم جمعة أثناء خروجه إلى الصلاة مكانا يقيم فيه طلبة العلم الذين يأتون بغداد من مختلف الأقطار لتلقِّي العلم ، وكان يُدْعَى مثل هذا المكان بالرباط ، فَيُكلِّم من يجده من طلبة العلم ، ويقول لهم : اشهدوا عليَّ بأن القرآن كلام الله غير مخلوق كما قال الإمام أحمد ، لا كما يقول الباقلاني .

---

(١) الإبانة : ٢/٣٦٥

(٢) هذه آية وليس حديثا ، ولعله ساق حديثا يفسر الآية ، فقال ما قال .

(٣) ميزان الاعتدال : ٣١٨/١

ولما سئل عن سر تكرار مقالته في كل جمعة . قال : حتى تنتشر في الناس وفي أهل البلاد ، ويشيع الخبر في أهل البلاد أني بريء مما عليه الباقلاني وأصحابه[1] .

٣ـ عدم نشر بدعهم والرد عليها خشية انتشارها ، إلا إذا شاعت بين الناس فأمرضت القلوب والعقول ، فإنهم لا يجدون بدًّا في هذه الحال من الرد عليها وبيان عوارها .

روى البغوي عن سفيان الثوري أنه قال : « من سمع بدعة فلا يحكها لجلسائه ، لا يلقها في قلوبهم »[2] .

وقد نصح الإمام أحمد رجلا رغب في الرد على أهل البدع من أهل الكلام وغيرهم بأن لا يفعل[3] .

فالسلف لم يكونوا يخشون أهل البدع ، ولكنهم يكفون أنفسهم عنهم خشية نشر بدعهم وضلالاتهم ، ولكنهم عندما كانوا ينزلون الحلبة يصارعون أهل الباطل، فإنك ترى أنوارا تَبْهَرُ الناظرين وتهزم جيوش الظلام ، وكانت سيوف الحق تقهر شبهات المبطلين .

لقد نازل ابن عباس الخوارج ، فأزاح بحواره الغشاوة عن بصائر ألفين منهم رجعوا عن باطلهم .

وجادل عمر بن عبدالعزيز الخوارج والقدرية فعلا حقُّه باطلَهم ، وعندما واجه الإمام أحمد الجهمية وأفراخهم من المعتزلة دمغ الحقُّ الذي جاء به باطلَهم ، فاستطالوا عليه بالسلطان ، بعد أن أعجزهم قهره بالحجة والبرهان .

وقد بين عَلَمٌ من أعلام أهل السنة وهو عثمان بن سعيد الدرامي المتوفى عام (٢٨٢هـ) في مقدمة كتابه الذي رد فيه على بشر المريسي ـ المنهج الذي سلكه

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية : ص ٣٦

(٢) شرح السنة للبغوي : ١/٢٢٧

(٣) الابانة لابن بطة : ١/٤٤

علماؤنا في الرد على المنحرفين عن الحق في باب أسماء الله وصفاته ، ومما جاء في مقدمته قوله : « لولا ما بدأكم هذا المعارض بإذاعة ضلالات المريسي وبثها فيكم ما اشتغلنا بذكر كلامه ، مخافة أن يعلق بعض كلامه بقلوب الجهال ، فيلقيهم في شك من خالقهم وفي ضلال ، أو أن يدعوهم إلى تأويله المحال ، لأن كل كلامه نقص ووقيعة في الرب ، واستخفاف بجلاله وسب ، وفي التنازع فيه يُتَخَوَّفُ الكفر ويرهب .

ولذلك قال عبدالله بن المبارك : « لأن أحكي كلام اليهود والنصاري أحب إليَّ من أن أحكي كلام الجهمية » فمن أجل ذلك كرهنا الخوض فيه ، وإذاعة نقائصه حتى أذاعها المعارض فيكم وبثها بين أظهركم ، فخشينا أنه لا يسعنا إلا الانكار على من بثها ، ودعا الناس إليها ، منافحة عن الله ، وتثبيتا لصفاته العليا ، ولأسمائه الحسنى ، ودعاءً لطريقته المثلى ، ومحاماة عن ضعفاء الناس وأهل الغفلة من النساء والصبيان أن يضلوا بها ، أو أن يفتتنوا ، إذ بثها فيهم رجل كان يشير إليه بعضهم بشيء من فقه وبصر ، ولا يفطنون لعثراته إن هو غَشَّ ، فيكونوا من أخواتها منه على حذر .

وقد كتب إلي عليٌّ بن خُشرم أنه سمع يونس يقول : « لا تجالسوا الجهمية ، وبينوا للناس أمرهم كي يعرفوهم فيحذروهم »[1] .

والمتأمل في هذا النقل عن الدرامي يفقه منهج السلف من أهل البدع والرد عليهم .

وهناك أمر آخر يحسن التنبيه إليه في منهج السلف في ردهم على أهل البدع ، فهم يجمِلون في إيراد الشبه التي يشوش بها أهل البدع على أهل الحق ، ويفصِّلون في الإجابة عليها ، ومنهجهم هذا موافق للمنهج القرآني ، فترى القرآن يُجمِل في أقوال أهل الضلال ، مثل دعوى النصارى أن عيسى ابن الله ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ، ولكنه يفصل القول في بيان الحق ورد الباطل .

---

(١) رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد : ص ٤

المبحث الخامس
تشويه مذهب السلف الصالح

دأب المخالفون لأصحاب المنهج الأصيل على تشويه مذهب السلف الصالح، وسنأتي على أهم الطرائق التي استخدمها هؤلاء لتحقيق هدفهم ومرادهم.

أولا : دعواهم أنهم أصحاب المنهج الأفضل :

وقد أطلنا من قبل في مناقشة هذه الشبهة، وبينا أن مذهب السلف الصالح هو الأعلم والأسلم خلافا لمن يدعي هذه الدعوى.

ولا يزال الذين يَزْوَرُّون بالحقائق ويزوِّرونها يزعمون أن المنحرفين عن الصراط المستقيم كالمعتزلة والفلاسفة هم أصحاب المنهج العقلي الأصيل، وأنهم أحرار الفكر الإسلامي، فمحقق كتاب «رسائل العدل والتوحيد» للقاضي عبد الجبار المعتزلي وآخرون يرى أن تلك الرسائل «نصوص إسلامية من عيون الفكر العقلاني» ويزعم أن فقه المعتزلة للتوحيد ـ وهو الفقه الذي نفوا به صفات الباري تبارك وتعالى ـ «هو التصور الأرقى الذي بلغه العقل الإنساني».

وزعم أن كتّاب تلك الرسائل هم «أعلامٌ تألّقوا في عصور تراثنا المتعاقبة» وزعم أيضا «أن المعتزلة والشيعة والإمامية والزيدية وأهل السنة اتفقت مدارسهم وتياراتهم الفكريه في هذه الأصول الفكرية والجوهرية والقضايا الأمهات في العدل والتوحيد، وهما جماع فلسفة الإنسان المسلم وتصوره للذات الإلهية»[1].

وكل هذا وأمثاله من تزييف الحقائق، فالمعتزلة لا يمثّلون صفوة هذه الأمة، وليسوا بأحرار الفكر الإسلامي، ولا أصحاب المنهج السليم، لقد كان المعتزلة

---

(١) مقدمة كتاب «رسائل العدل والتوحيد»: ص ٨

أعظم الناس استبدادا وضيقا بالرأي المخالف ، اضطهدوا خصومهم عندما مال السلطان إلى باطلهم ، وفتنوا الأمّة كلها ، وحاولوا إكراه الناس على معتقداتهم ، وضربوا بالنصوص من الكتاب والسنة والأصول العقلية التي جاءت بها النصوص عرض الحائط ، وتعالموا على قيوم السموات والأرض عندما قرروا قواعد وأصولا تخالف ما جاء به الوحي .

وخلاصة ما جاؤوا به نفي الصفات ، ورمي من أثبتها بالشرك والتشبيه ، وهو لا يدل على النضج العقلي أو التفكير الحر ، بل هو انحراف عن المنهج الحق ، وتقصير في فهمه وعلمه .

ثانيا : ادّعاء بعض المخالفين للسلف أنهم على مذهب السلف:

قد يَدّعي بعض المشبهة أو النفاة أن ما هم عليه من أقوال مبتدعة هو مذهب السلف الصالح ، وبذلك يخلطون على الناس الحق بالباطل ، ويلبسون على الناس دينهم .

وجوابنا عن هذه الدعوى أن مذاهب السلف مشهورة منقولة عنهم في مدونات، ولم تكن يوما من الأيام عقائد سريّة خفية مجهولة ، فمن ادعى أن قوله هو قول السلف فعليه أن ينقل عنهم أنهم قالوا بالقول الذي ابتدعه وأحدثه .

وقد ذكرنا فيما مضى جملة من أقوال السلف التي تظهر مذاهبهم ، وتفصح عن أصولهم .

ومن عجب أن يدّعي أمثال هؤلاء أنهم على مذهب السلف ، ثم يخالفونهم فيما أصّلوه وقرروه ، ومن كان على مذهب إنسان فإنّه يشايعه ويتابعه ، ولا يناقضه ويخالفه .

وكيف يكون هؤلاء على مذهب السلف وهم يضللون السلف ويخطئونهم ، بل كثير من مخالفي السلف يكفرون السلف كالخوارج والروافض . والمعتزلة يفسقون كثيرا من الصحابة ، ويحكمون على علماء الأمة بالجهل وقلة العلم بالعلوم

والفنون.

إن أصحاب المناهج المخالفة لمنهج السلف يعلمون أنهم ليسوا على طريقهم ، ولكنه التدليس والتلبيس ، وقد رأيت بعض مَنْ كَتَبَ مدعيا أنه على طريقة السلف ، ولكنه قرر في كتابه خلاف قولهم .

ثالثا : نبْزُ أهل السنة بالألقاب الشنيعة :

من طالع كتب المخالفين لمنهج أهل السنة تراهم يرمون أهل السنة بالألقاب التي تُكَرِّه الناس بهم ، فمن ذلك رميهم بالتجسيم والتشبيه ، وقد حاولوا بهذه التهمة الباطلة ، وهذا التزوير للحقائق أن يدنسوا صفحتهم الناصعة البياض عند المسلمين كي يصرفوا الناس عن المنهج الذي سلكوه ، ولكنْ أنى للباطل أن يكسف شمس الحقيقة، وكيف يستطيع الظلام أن يغطي أضواء الحق الساطعة .

وقد اتهم بهذه التهمة الشنيعة الباطلة شيخ الإسلام ابن تيمية ، رماه بها خصومه في حياته وبعد مماته ، وقد كشف شيخ الإسلام زيف ما رمي به في مؤلفاته ، ودافع عنه محبو الحق والحقيقة بعد وفاته ، ومع ذلك فلا يزال بعض الناس ينسبون إليه هذه التهمة الباطلة حتى اليوم .

ففي المناظرة التي جرت بين شيخ الإسلام وعلماء عصره في كتابة « العقيدة الواسطية » يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « وأخذوا ـ أي المناظرون له ـ يذكرون نفي التشبيه والتجسيم ، ويطنبون في هذا ، ويُعْرِضون بما ينسبه بعض الناس إلينا من ذلك »[1] .

وقد ادعى الرحالة ابن بطوطة أنه سمع ابن تيمية يقول من فوق المنبر : إن الله ينزل إلى السماء الدنيا كنزولي هذا ونزل درجة .

والذين بحثوا في هذه المقولة أثبتوا كذب ابن بطوطة ، ففي العام الذي دخل فيه ابن بطوطة دمشق كان ابن تيمية رهين السجن ، ثمّ إن شيخ الإسلام دَوَّنَ مذهبه في

---

(١) العقيدة الواسطية : ص ٣٠ المكتبة السلفية . القاهرة

الاعتقاد ، وأوضح قوله في هذه المسألة في عشرات المواضع من كتبه ، وكلها تدل دلالة صريحة على براءته مما نسب إليه .

وقد رُمِيَ أتباع إمام أهل السنة الإمام أحمد الذي وقف في وجه المعتزلة الذين أرادوا اغتيال هذا الدين وإطفاء نوره بالتجسيم والتشبيه ، ووصفوا بأنهم حشوية .

وقد رد كثير من المحققين على هذه المقولات وأبطلوها وبينوا عوارها[1] ، ومن هؤلاء الشيخ مرعي بن يوسف الكرمي فإنه قال : « ومن العجب أن أئمتنا الحنابلة يقولون بمذهب السلف ، ويصفون الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه رسوله ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، ومع ذلك فتجد من لا يحتاط في دينه ينسبهم إلى التجسيم ، ومذهبهم أن المجسِّم كافر ، بخلاف مذهب الشافعية، فإن المجسم عندهم لا يكفر ، فقوم يكفِّرون المجسمة فكيف يقولون بالتجسيم »[2] .

ولم يقف الأمر بهذا الفريق عند حدّ رمي أتباع الأئمة بهذه الألقاب المقيتة ، بل تعدى بعضهم هذا إلى رمي الأئمة الأعلام بهذه التهم الباطلة ، تنفيرا من مذهبهم .

يقول الرازي رحمه الله تعالى :« اعلم أن جماعة من المعتزلة ينسبون التشبيه إلى الإمام أحمد رحمه الله تعالى ، وإسحاق بن راهويه ، ويحيي بن معين ، وهو خطأ .

فإنهم منزهون في اعتقادهم عن التشبيه والتعطيل . لكنهم كانوا لا يتكلمون في المتشابهات ، بل كانوا يقولون آمنا وصدقنا ، مع أنهم كانوا يجزمون بأن الله تعالى لا شبيه له ، وليس كمثله شيء ، ومعلوم أن هذا الاعتقاد بعيد جدّاً عن التشبيه »[3] .

ولم يقف هؤلاء عند رمي الأئمة بالتشبيه ، بل غلا بعضهم وَرَمَوْا الرسل بهذه الألقاب الشنيعة ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « الجهمية والمعتزلة إلى اليوم يُسَمُّون من أثبت شيئا من الصفات مشبها كذبا منهم وافتراء ، حتى إن منهم من غلا ورمى

---

(١) انظر العقيدة الواسطية : ص ٣٤

(٢) اقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات لمرعي بن يوسف الحنبلي : ص ٦٤

(٣) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي : ص ١٦

الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم بذلك ، حتى قال ثُمَامَةَ بن الآشْرَسِ من رؤساء الجهمية : ثلاثة من الأنبياء مشبهة : موسى حيث قال : ﴿ إن هي الا فتنتك ﴾[1] . وعيسى حيث قال : ﴿ تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك ﴾[2] . ومحمد صلى الله عليه وسلم حيث قال : « ينزل ربنا »[3] .

وبذلك يتبين أن كل من أثبت الصفات للواحد الأحد هو في نظر نفاتها مشبهة مجسمة ، إلاّ أن بعضهم يرمي بهذه الألقاب أتباع هذا المنهج ولا يتجرؤون على رمي الأعلام به ، وإن كان في قرارة أنفسهم أنهم مشبهة ، ومنهم من يتجرؤون على رمي الأئمة بذلك ، ومنهم من يتهم الرسل بهذه التهمة ، ولن يستطيع السائر على هذا الدرب أن يتخلص من هذه التهم .

يقول الشيخ محمد بن محمد بن أبي العز الحنفي رحمه الله : « ما من أحد من نفاة شيء من الأسماء والصفات إلا يسمي المثبت لها مشبها ، فمن أنكر أسماء الله بالكلية من غالية الزنادقة : القرامطة والفلاسفة ، وقال : إن الله لا يقال له : عالم ولا قادر ، يزعم أن من سماه بذلك فهو مشبه ، لأن الاشتراك في الاسم يوجب الاشتباه في معناه .

ومن أثبت الاسم وقال : هو مجاز كغالية الجهمية ، يزعم أن من قال : إن الله عالم حقيقة ، قادر حقيقة فهو مشبه .

ومن أنكر الصفات ، وقال : إن الله ليس له علم ، ولا قدرة ولا كلام ولا محبة ولا إرادة ، قال لمن أثبت الصفات : إنّه مشبه ، وإنه مجسم .

وكُتُب نفاة الصفات من الجهمية والمعتزلة والرافضة ونحوهم كلها مشحونة بتسمية مثبتة الصفات مشبهة ومجسمة ، ويقولون في كتبهم : إن من جملة المجسمة قوما يقال لهم : المالكية ، ينسبون إلى رجل يقال له : مالك بن أنس ، وقوما يقال

(١) سورة الأعراف : ١٥٥

(٢) سورة المائدة : ١١٦

(٣) مجموع فتاوي شيخ الإسلام : ٥/١١٠

لهم: الشافعية ، ينسبون إلى رجل يقال له محمد بن إدريس ، حتى الذين يفسرون القرآن منهم ، كعبد الجبار والزمخشري وغيرهما يسمون كل من أثبت شيئا من الصفات وقال برؤية الله في الآخرة مشبها ، وهذا الاستعمال قد غلب عند المتأخرين من غالب الطوائف .

ولكن المشهور من استعمال هذا اللفظ عند علماء السنة المشهورين : أنهم لا يريدون بنفي التشبيه نفي الصفات ، ولا يصفون به كل من أثبت الصفات ، بل مرادهم أنه لا يشبه المخلوق في أسمائه وصفاته وأفعاله ، وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[1] فنفى المثل وأثبت الصفة »[2] .

وقد أضحى تلقيب أهل السنة بالتشبيه والتجسيم والوقيعة بأهل الأثر معلما من معالم أهل الضلال ، يعرفهم أهل الحق به .

يقول محمد بن محمد بن أبي العز الحنفي : « قال إسحاق بن رَاهَوَيْه : علامة جَهْمٍ وأصحابه : دعواهم على أهل السنة والجماعة ما أولعوا به من الكذب : أنهم مشبهة ، وكذلك قال خلق كثير من أئمة السلف : علامة الجهمية تسميتهم أهل السنة المشبهة »[3] .

وقال ابن أبي حاتم : « علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر ، وعلامة الزنادقة : تسميتهم أهل السنة حَشَوِيّة يريدون إبطال الآثار .وعلامة الجهمية : تسميتهم أهل السنة مشبهة »[4] .

وقد تناقل أهل العلم هذه الأقوال ورددُّوها في مدوناتهم ومحاضراتهم.[5]

إن هؤلاء المنحرفين عن كتاب الله وهدي المصطفى المختار ظنوا أن الحق هو ما

---

(١) سورة الشوري: ١١

(٢) شرح العقيدة الطحاوية : ص ١٢١ ، وراجع مجموع فتاوي شيخ الإسلام : ٦/ ٤٠

(٣) شرح العقيدة الطحاوية : ص ١٢١

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي : ١٧٩

(٥) راجع المصدر السابق : ١/ ١٨٢ ، وعقيدة السلف للصابوني : ص ١٠١

أنتجته عقولهم الباطلة ، ولذلك حكموا بأن الذين ساروا على المنهج الحق بالخطأ والضلال ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « لا بدَّ للمنحرفين عن سنة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يعتقدوا في أهل السنة نقصا يذمونهم به ، ويسمونهم بأسماء مكذوبة »[1] .

رابعا : رميهم أهل السنة بالشرك والكفران .:

ومن أعظم ما دندنوا به دعواهم أنهم على التوحيد ، وأن أهل السنة الذين أثبتوا الصفات مشركون ، ذلك أن إثبات الصفات في زعمهم يعني إثبات قديم أزلي مع الله تبارك وتعالى ، والتوحيد يقضي نفي صفات الباري حتى يكون واحدا لا شريك له ، وقد بينا عوار هذه الشبهة فيما مضى .

---

(١) مجموع فتاوي شيخ الإسلام : ٥/ ١١١

الخاتمة
يجب أن يبقى منهج أهل السنّة متفردًا لا يختلط بغيره

إن من أعظم النعم التي ينعم بها المسلمون أن المنهج الإيماني القرآني الذي أنزله الرب على عبده ورسوله ـ محمد صلى الله عليه وسلم ـ بقي صافيا واضحا بينا لم يختلط بغيره من العقائد الفاسدة والمذاهب الزائغة ، وكان هذا من حفظ الله لدينه ، الذي تكفل به في محكم كتابه .

وقد سبقت الإسلام أديان ومذاهب ، ونشأت مذاهب أخرى بعد نزوله واستقراره ، وكل هذه المذاهب وتلك الأديان يحاول أصحابها حرف الإسلام عن مساره ، والزعم بأنّه يمكن التوفيق بين الإسلام وبين غيره من الأديان المحرفة والمذاهب الباطلة .

لقد أجهد الفلاسفة أنفسهم في التوفيق بين حقائق الإسلام وبين خزعبلات الفلاسفة مدعين دعوى المشركين في ذلك حيث حكى عنهم رب العزة أنهم قالوا : ﴿ إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا ﴾ [1] واليوم تثور دعوات مشبوهة تنادي بحرارة وقوة للتوفيق بين الإسلام والنصرانية واليهودية والشيوعية زاعماً أصحابها أنهم يريدون الإحسان والتوفيق .

والفرق الإسلامية التي انحرف مسارها وشكلت منهجا عقائديا أو سلوكيا ينادي بعض أتباعها إلى التقارب مع أصحاب المنهج الحق ، وقد انخدع بكل تلك الدعوات بعض أتباع المنهج الحق ، وظنوا أن في ذلك خيرا للإسلام وأهله .

ونحن نقول : إننا لا نرفض الحوار الهادف الذي تكشف فيه الحقائق ، وتُكشف

---

(١) سورة النساء : ٦٢

به العقائد الزائغة والمنحرفة ، فذلك منهج أصيل دعا إليه ديننا ، ولكننا نرفض أن تُحرَّف حقائق الإسلام كي تلتقي مع أباطيل النصرانية واليهودية والشيوعية وغيرها .

ومن هذا المنطلق فإننا ننكر على الذين يجهدون أنفسهم من أهل المنهج الصحيح كي يعقدوا جسورا مع المناهج الخاطئة في باب الأسماء والصفات وفي غيرها .

إن القيمة الكبرى هو أن يبقى المنهج الحق واضح المعالم لطالبي الحق ، ظاهرةً أنواره ، بارزةٌ خطوطه ، وأن يبقي الفرق بينه وبين غيره مُستعلنا ، كي تقوم حجة الله على خلقه ، وكي يستطيع الباحثون عن الهدى أن يعرفوه ، وقد ذم الله اليهود الذين ألبسوا الحق بالباطل ، وخلطوا دين الله بغيره ، فغيروا معالم دين الله ، بحيث أصبح الباحثون عن دين الله يعتاص عليهم الوصول إليه .

لقد رأيت كثيرا من الباحثين المعاصرين من أفاضل أهل العلم انطلت عليهم الحيلة فأصبحوا دعاة للتقريب بين المناهج المنحرفة والمنهج الحق ، وأخذوا يبررون ضلال أهل الباطل ، ويتلمسون لهم المعاذير ، إن المنهج الذي نختطه هو ما علمنا الله إياه في أمره لرسوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾[1] .

وختاما نقول كما علمنا الله أن نقول : ﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين ﴾[2] .

---

(١) سورة يوسف : ١٠٨

(٢) سورة الصافات : ١٨٠

أهم مراجع البحث

١ـ الإبانة لأبي الحسن الأشعري ، مطبوعات الجامعة الإسلامية . المدينة المنورة .

٢ـ أبجد العلوم لصديق حسن خان . وزارة الثقافة . سوريا . الأولى . ١٩٨٨ م .

٣ـ أحكام القرآن لابن العربي . مكتبة عيسى البابي الحلبي . ١٣٠٧ هـ =١٩٦٧م .

٤ـ بدائع الفوائد لابن القيم . دار الكتاب العربي . بيروت .

٥ـ أعلام الموقعين .دار الكتب الحديثة . القاهرة . ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩ م .

٦ـ ايثار الحق لابن الوزير ، دارالكتب العلمية . بيروت الأولى١٤٠٣ هـ =١٩٨٣ م .

٧ـ بصائر ذوي التميز للفيروز آبادي . طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية . القاهرة .

٨ ـ البداية والنهاية لابن كثير . مكتبة المعارف ، بيروت . الثانية . ١٣٩٤ هـ =١٩٧٤ م .

٩ـ البرهان الساطع لابن الوزير . المكتبة السلفية القاهرة .

١٠ـ تاريخ المعتزلة والجهمية . لجمال الدين القاسمي . مؤسسة الرسالة ـ بيروت . الأولى ١٣٩٩هـ =١٩٧٩م .

١١ـ التحف في مذاهب السلف للشوكاني . مطبوع ضمن مجموعة الرسائل المنيرية .

١٢ـ ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير . دار الكتب العلمية . بيروت .

١٣ـ تفسير ابن كثير . طبعة دار الأندلس . بيروت الأولى . ١٣٨٥هـ = ١٩٦٤ م.

١٤ـ تفسير الطبري . مصطفى البابي الحلبي . القاهرة . الثانية . ١٣٧٣ هـ =١٩٥٤ م .

١٥ـ تلخيص الحبير لابن حجر . شركة الطباعة الفنية . القاهرة .

١٦ـ تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة والموضوعة .

١٧ـ جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير . مكتبة الحلواني وآخرون سوريا . ١٣٩١هـ=١٩٧١ م .

١٨ـ خبيئة الأكوان في افتراق الأمم على الأديان لمحمد صديق خان . دار الكتب العلمية . بيروت . الأولى ١٤٠٥هـ=١٩٨٤ م .

١٩ـ دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية . د. عرفان عبدالحميد ، مؤسسة الرسالة . بيروت . الأولى ١٤٠٤هـ=١٩٨٤ م .

٢٠ـ الرسالة المدنية لشيخ الإسلام ابن تيمية . دار طيبة . الرياض . الأولى ١٤٠٨ هـ .

٢١ـ دعوة التوحيد لمحمد خليل الهراس . مكتبة طنطا . مصر .

٢٢ـ الدين الخالص لصديق خان . مكتبة دارالعروبة القاهرة . ١٣٧٩ هـ١٩٧٩ م .

٢٣ـ الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد بن حنبل . المطبعة السلفية .القاهرة ١٣٩٩ هـ.

٢٤ـ رسائل العدل والتوحيد . للقاضي عبدالجبار وآخرون . دار الشروق . القاهرة . الثانية ١٤٠٨ هـ=١٩٨٨ م.

٢٥ـ سبل السلام شرح بلوغ المرام للصنعاني . دار الفرقان ـ عمان .

٢٦ـ السنة لابن أبي عاصم . المكتب الإسلامي . بيروت . الأولى ١٤٠٠هـ=١٩٨٠ م .

٢٧ـ سنن ابن ماجة . طبعة دار احياء الكتب العربية . القاهرة تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي . ١٩٧٣هـ=١٩٥٣ م .

٢٨ـ سنن الترمذي . دار التراث العربي ـ بيروت .

٢٩ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ، نشر دار طيبة ـ الرياض .

٣٠ـ شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية ، دار الكتب الحديثة . القاهرة .

٣١ـ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبدالبر ـ نشر وزارة الأوقاف في المملكة المغربية ١٣٩٩هـ=١٩٧٩ م.

٣٢- شرح العقيدة الطحاوية لمحمد بن محمد ابن أبي العز الحنفي . المكتب الإسلامي . بيروت .

٣٣- صحيح البخاري . اعتمدنا على متن فتح الباري . طبعة السلفية . القاهرة . الأولى .

٣٤- صحيح الجامع الصغير . المكتب الإسلامي . بيروت - الأولى .

٣٥- صحيح سنن ابن ماجة . مكتب التربية العربي لدول الخليج . ١٤٠٨ هـ =١٩٨٨م .

٣٦- صحيح سنن الترمذي . مكتب التربية العربي لدول الخليج الأولى ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

٣٧- مسند الإمام أحمد . تصوير المكتب الإسلامي . بيروت .

٣٨- صحيح مسلم بشرح النووي . المطبعة المصرية ومكتبتها .

٣٩- الصواعق المرسلة لابن القيم . مطبعة الإمام القاهرة .

٤٠- العقود الياقوتية لابن بدران - مطبعة الصحابة - الكويت الأولى ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م .

٤١- العقيدة الواسطية لابن تيمية . المكتبة السلفية . القاهرة . الطبعة التاسعة ١٣٩٩ هـ .

٤٢- فتح الباري لابن حجر . المكتبة السلفية . القاهرة الأولى .

٤٣- الفرق بين الفرق لعبدالقاهر البغدادي . دار المعرفة - بيروت . تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد .

٤٤- فضائح الباطنية للغزالي . الدار العربية للطباعة والنشر . ١٣٨٣ هـ =١٩٦٤م .

٤٥- الفوائد لابن القيم . مكتبة صبيح . القاهرة .

٤٦- القرامطة لابن الجوزي . نشر المكتب الإسلامي . بيروت . ١٤٠١ هـ =١٩٨ م .

٤٧- لسان العرب . ترتيب يوسف خياط ونديم مرعشلي . دار لسان العرب . بيروت . الأولى .

٤٨- لوامع الأنوار البهية . للسفاريني . طبع دولة قطر .

٤٩ـ مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية . جمع ابن قاسم . نشر المملكة العربية السعودية .

٥٠ـ المحلى لابن حزم . المكتب التجاري . بيروت تحقيق أحمد شاكر .

٥١ـ مذهب الباطنية لمحمد بن الحسن الديلمي . مكتبة دار ابن قتيبة ـ الكويت .

٥٢ـ مشكاة المصابيح . المكتب الإسلامي ـ الأولى .

٥٣ـ معارج القبول للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي . مطبوعات دائرة الإفتاء بالمملكة العربية السعودية .

٥٤ـ الملل والنحل للشهرستاني . دار المعرفة للطباعة بيروت . الثانية ١٣٩٥ هـ = ١٩٧٥ م .

٥٥ـ مفتاح دار السعادة لابن القيم . مطبعة صبيح . القاهرة .

٥٦ـ مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري . دار احياء التراث العربي ـ بيروت .

٥٧ـ الملل والنحل للشهرستاني .دار المعرفة للطباعة بيروت . الثانية١٣٩٥ هـ =١٩٧٥م .

٥٨ـ موسوعة الأسماء الحسنى للشرباصي . الأولى ١٤٠٢هـ =١٩٨١ م .

٥٩ـ نهاية الإقدام في علم الكلام للشهرستاني . مكتبة المثنى ـ بغداد .

٦٠ـ نيل الأوطار للشوكاني مصطفى البابي الحلبي . القاهرة .

الفهرس

الفصل الأول : أسماء الله الحسنى

الفصل الثاني : عقيدة أهل الحق في أسماء الله وصفاته

الفصل الثالث : المخالفون لمذهب السلف في باب اسماء الله وصفاته

الفصل الرابع : اسباب الاختلاف في باب الأسماء والصفات

الفصل الخامس مذهب السلف الصالح في معترك الصراع

هذا الكتاب

هذا الكتاب بيان لمذهب أهل السنة والجماعة في باب أسماء الله وصفاته ، وقد عرض المؤلف فيه الأسس التي يقوم عليها مذهبهم والخصائص التي تميزهم عن غيرهم ، وتجلّي في الوقت نفسه معالم المنهج القرآني النبوي في هذا الموضوع .

وقد عرض المؤلف للمناهج المنحرفة التي تزاحِم منهج أهل الحق ، وأبان عوار ما جاءت به بالحجة والبرهان ، ودعى في خاتمة البحث إلى التزام المذهب الأسلم والأعلم والأحكم مذهب أهل السنة والجماعة .

الناشر